الصَّحِيحُ

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN : ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧ ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٥ ـ ٣ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

هكذا يحارب علي ×..

أوامر وتوجيهات قتالية:

قالوا:

وخرج علي بنفسه في البدريين، والمهاجرين والأنصار، وربيعة وهمدان في اليوم الثامن، وهو يوم الأربعاء**(1)**.

وعن ابن عباس: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً [مجرباً] يوزن به، لرأيته ـ يوم صفين ـ وعلى رأسه عمامة [سوداء]، [بيضاء، تبرق]، قد أرخى طرفيها [على صدره وظهره] كأن عينيه سراجاً سليط وهو يقف على [شرذمة] يحضهم حتى انتهى إلي وأنا في كنف من الناس، فقال:

معاشر المسلمين! استشعروا الخشية، وغضوا الأصوات، وتجلببوا السكينة، واعملوا الأسنة، وأقلقوا السيوف قبل السلة

---

(1) مروج الذهب ج2 ص379 ونهج السعادة ج2 ص235.

[والحظو الشزر]، واطعنوا [الخزر]، [النتر]، [الهبر]، [الوجر] ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، والنبال بالرماح، فإنكم بعين الله ومع ابن عم نبيه «صلى الله عليه وآله».

عاودوا الكر، واستحيوا من الفر؛ فإنه عار باق في الأعقاب والأعناق، ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم أنفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً.

وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب [السرادق الأدلم، والرواق المظلم]، فاضربوا ثبجه؛ فإن الشيطان راكب صعبه، ومفرش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً حتى يتجلى لكم عمود الدين **(وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)**(1). [ها أنا شاد فشدوا، بسم الله الرحمن الرحيم حم لا ينصرون](2).

---

(1) الآية 35 من سورة محمد.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص460 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج4 ص288 و 289 وج6 ص106 و 107 عنه، ومروج الذهب ج2 ص379 و 380 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص133 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص346 - 348 ونهج البلاغة الخطبة رقم 66 وخصائص الأئمة «عليهم السلام» ص75 و 76 وبشارة المصطفى ص172 و 173 و (ط جماعة المدرسين) ص223 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص294 و295 وبحار الأنوار ج32 ص601

وأنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدين لي كشفت غوامضها بالنظر
وإن برقت في مخيل الظنون عمياء لا تجتليها الفكر
مقنعة بغيوب الأمور وضعت عليها حسام العبر
معي أصمع كظبى المرهفات أفري به عن بنات الستر(1)
لسان كشقشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر
ولست بإمعة في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين أقيس بما قد مضى ما غبر

قال ابن عباس: ثم غاب عني «عليه السلام»، ثم رأيته قد أقبل وسيفه ينطف دماً، وهو يقرأ: **(فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)**(2)»(3).

و 602 ونهج السعادة ج2 ص228 وتفسير فرات ص431 و 432 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص111 و 112 وج32 ص513 عن ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (ط دار التعارف ـ بيروت) ج3 ص145 وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج18 ص49.

(1) أو: عن بنات السرر.

(2) الآية 12 من سورة محمد «صلى الله عليه وآله».

(3) خصائص الأئمة «عليهم السلام» ص75 و 76 وبهج الصباغة ج10

زاد في نص آخر قوله:

وأقبل معاوية في الكتيبة الشهباء وهي زهاء عشرة آلاف، بجيش شاكين في الحديد، لا يرى منهم إلا الحدق تحت اللثام.

[فاقشعر الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: فيما النخع والخنع يا أهل العراق هل هي إلا أشخاص مائلة..]، فقال «عليه السلام»: ما لكم تنظرون فما تعجبون؟! إنما هم جثث ماثلة، فيها قلوب طائرة، مزخرفة بتمويه الخاسرين. ورجل جراد زفت به ريح صبا. ولفيف سداه الشيطان ولحمته الضلالة.

وصرخ بهم ناعق البدعة، وفيهم خور الباطل، وضحضحة المكاثر. فلو قد مسها سيوف أهل الحق لتهافتت تهافت الفراش في النار، [أو: لو مستها سيوف أهل الحق لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح في يوم عاصف.

ألا فاستشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وادرعوا الصبر، وغضوا الأصوات، وقلقلوا الأسياف الخ..] ألا فسووا بين الركب، وعضوا على النواجذ، واضربوا القوابض [القوانص] بالصوارم، واشرعوا الرماح في الجوانح، وشدوا فإني شاد.. حم لا ينصرون.

فحملوا حملة ذي لبد، فأزالوهم عن مصافهم، ودفعوهم عن

ص170 و 171 عنه.

أماكنهم، ورفعوهم عن مراكبهم، وارتفع الرهج، وخمدت الأصوات فلا يسمع إلا صلصلة الحديد وغمغمة الأبطال، ولا يرى إلا رأس نادر ويد طائحة.

وأنا كذلك إذ أقبل أمير المؤمنين «عليه السلام» من موضع يريد أن ينجلي من الغبار، وينفذ [ينفض] العلق من ذراعيه، سيفه يقطر الدماء، وقد انحنى كقوس النازع، وهو يتلو هذه الآية: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ)**[1]. فما رأيت قتالاً أشد من ذلك اليوم[2].

ثم حمل عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» وتبعته، خويلة[3] لم تبلغ المائة فارس، فأجالهم فيها جولان الرحى المسرحة بثقالها، فارتفعت عجاجة منعتني النظر ثم انجلت، فأثبت النظر فلم نر إلا رأساً نادراً، ويداً طايحة. فما كان بأسرع من أن ولوا مدبرين، كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة. فإذا أمير المؤمنين قد أقبل وسيفه ينطف، ووجهه كشقة القمر وهو يقول: **(فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا**

---

(1) الآية 9 من سورة الحجرات.

(2) تفسير فرات ص432 وبشارة المصطفى ص172 و 173 و (ط جماعة المدرسين) ص223.

(3) خويلة: تصغير خيل.

أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)[1]»[2].

نص آخر للخطبة:

قال نصر: قال عمر بن سعد، عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن، عن أبيه: أن علياً أمير المؤمنين حرض الناس فقال: إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفى بكم على الخير [والإيمان]، إيمان بالله ورسوله، وجهاد [والجهاد] في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، فأخبركم بالذى يحب فقال: **(إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)**[3].

فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس [النواجذ] فإنه أنبى للسيوف عن الهام، و [غضوا الأبصار، فإنه] أربط للجأش، وأسكن للقلوب.

وأميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل، وأولى بالوقار.

والتووا في أطراف الرماح، فإنه أمور للأسنة.

وراياتكم فلا تميلوها، ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا في أيدى

---

(1) الآية 12 من سورة محمد «صلى الله عليه وآله».

(2) بشارة المصطفى ص172 و 173 و (ط جماعة المدرسين) ص223 و 224 وبحار الأنوار ج32 ص602.

(3) الآية 4 من سورة الصف.

شجعانكم، المانعى الذمار، والصُبَّر عند نزول الحقائق، [وهم] أهل الحفاظ، الذين يحفون براياتكم ويكتنفونها، [ويصيرون حفافيها، ووراءها وأمامها، ولا يضيعونها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها] يضربون خلفها وأمامها، ولا تضيعوها.

أجزأ كل امرئ منكم ـ رحمه الله ـ [وقذ] قرنه، وواسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك لائمة، ويأتي به دناءة.

وأنى هذا، وكيف يكون هكذا؟! هذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك يده، قد خلى قرنه على أخيه هاربا منه، وقائماً ينظر إليه!!

من يفعل هذا يمقته الله.

فلا تَعَرَّضوا لمقت الله، فإنما مردكم إلى الله.

قال الله لقوم: **(قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)(1)**.

وأيم الله، لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة.

استعينوا بالصدق والصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر.

[فجاهدوا في الله حق جهاده، ولا قوة إلا بالله](2).

---

(1) الآية 16 من سورة الأحزاب.

(2) صفين للمنقري ص235 و 236 والفتوح لابن أعثم ج3 ص72 و 73 و

وفي كلام آخر له «عليه السلام»:

وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإذا بدأوا بكم فانهدوا إليهم، وعليكم السكينة والوقار، وعضوا على الأضراس، فإنه أنبا للسيوف عن الهام، وغضوا الأبصار، ومدوا جباه الخيول، ووجوه الرجال، وأقلوا الكلام، فإنه أطرد للفشل، وأذهب بالوهل.

ووطنوا أنفسكم على المبارزة، والمنازلة، والمجادلة [المجاولة]، [زاد في الإرشاد قوله: والمبالطة، والمبالدة، والمعانقة، والمكادمة] [والمناضلة].

واثبتوا واذكروا الله عز وجل كثيراً، فإن المانع للذمار عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم، ويضربون حافتيها وأمامها.

وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد.

(ط دار الأضواء) ج3 ص49 والكافي ج5 ص39 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص2 ـ 4 الخطبة رقم 124 وبحار الأنوار ج32 ص562 و 565 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص16 و (ط الأعلمي) ج4 ص11 و 12 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص53 ـ 55 وج3 ص283 و 284 ونهج السعادة ج2 ص161 ـ 164 و 198 ـ 201 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص187 و 188 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص95 و 96 و (الإسلامية) ج11 ص71 و 72 ومستدرك الوسائل ج11 ص84 و 85 والإرشاد للمفيد ج1 ص265 و 266 .

وعليكم بالتحامي، فإن الحرب سجال.

لا يشتدن عليكم كرة بعد فرة(1)، ولا حملة بعد جولة.

ومن ألقى إليكم السلام فاقبلوا منه، واستعينوا بالصبر، فإن بعد الصبر النصر من الله عز وجل إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين(2).

إيضاحات:

المبالطة: تجالد المقاتلين بالسيوف على أرجلهم. ولا يقال ذلك إذا كانوا ركباناً.

المبالدة: المضاربة بالسيوف والعصي.

---

(1) هذا هو الظاهر الموافق للمختار [16] من الباب الثاني من كتاب نهج البلاغة، وفيه: «لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة، ولا جولة بعدها حملة..». وفي طبع الكمباني من بحار الأنوار: «لا يشدون عليكم..».

(2) بحار الأنوار ج32 ص564 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص96 و (الإسلامية) ج11 ص72 و 73 وراجع ص566 والكافي ج5 ص41 ونهج السعادة ج8 ص343 - 345 وراجع: الإرشاد للمفيد ج1 ص265 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص26 وصفين للمنقري ص203 و 204 والفتوح لابن أعثم ج3 ص86 ومستدرك الوسائل ج11 ص87 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص106 و 107 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص12 والكامل في التاريخ ج3 ص297 والبداية والنهاية ج7 ص292.

المناضلة: المراماة.

المكادمة: أن يعض أحدهما الآخر، أو يؤثر فيه بحديدة

الذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه.

نزول الحقائق: نزول الشدائد الحقة المتيقنة.

الحفاظ: الذب عن المحارم.

أشفى على الشيء: أشرف.

نبا: تجافى وتباعد.

أمور: ـ أفعل تفضيل ـ من المور، وهو التردد، والمجيء والذهاب.

وقذه: ضربه شديداً. وقيل: حتى استرخى، وأشرف على الموت.

سراج سليط: السليط: الزيت الجيد.

الشزر: الشديد. والطعن عن يمين وشمال.

الخزر: النظر بلحظ العين.

السنان: نصل الرمح.

الظبا: جمع ظبة، وهو حد السيف.

مشياً سجحاً: أي هيناً ليناً.

الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر. ومن كل شيء وسطه، ومعظمه، وأعلاه.

النتر: الطعن النافذ.

الهبر: هو الضرب الذي يلقي قطعة من اللحم.

الوجر: الطعن بالرمح في الفم، أو في الصدر.

الأدلم: الشديد السواد.

المخيل: القوة التي تخيل الأشياء وتصورها للإنسان.

الشقشقة: لهاة البعير. وقيل: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. ويقال للفصيح: هدرت شقشقته.

الأرحبي: الفحل.

السرر: خطوط الكف والجبهة.

الإمعة: الذي لا يثبت على رأي، بل يتابع هذا مع ذاك.

المدره: السيد الشريف. والمقدم في اليد واللسان عند الخصومة والقتال.

الأصغران: القلب واللسان.

ينطف: أي يسيل قليلاً قليلاً، أو قطرة قطرة.

الأشهب: ما كان لونه الشهبة، وهي بياض يخالطه سواد، أو بياض غلب على السواد.

البخع: هو بلوغ المجهود. وبخع بخوعاً أقر إقرار مذعن بالغ جهده في الإذعان.

أما كلمة النخع، فقد يقال: إنها لا مورد لها هنا. ولكن ورد: أن

الأنخع اسم تفضيل بمعنى: الأذل والأقهر، والأشد إهلاكاً(1).

رجل جراد: أي طائفة عظيمة من الجراد.

زفت به ريح الصبا: أي رمت به بسرعة.

السُّدى: من الثوب ما مد من خيوطه حين النسج، وهو بخلاف اللحمة.

اللُّحمة: ما لُحِمَ به سدى الثوب، أو ما نسج عرضاً. وهو خلاف سداه.

الضحضحة: ضحضح السراب ترقرق، والأمر تبين. والضحضاح: الماء القريب القعر. والضحضح كجعفر: الماء اليسير.

القوانص: جمع قانصة، وهي في الطائر كالحوصلة للإنسان. والقوانص أيضاً: الصيادون.

العلق: الدم، أو الشديد الحمرة، أو الغليظ، أو الجامد منه. وكل ما علق.

نزع القوس: إذا جذب وترها. ونزع عن القوس: رمى عنها.

خويلة: تصغير كلمة خيل. وهي جماعة الأفراس.

المسرحة: التسريح: التسهيل والإطلاق.

الثفال: جلد يبسط فتجعل فوقه الرحى، فتطحن باليد، ليسقط عليه

---

(1) راجع: أقرب الموارد ج2 ص1282 وج1 ص32.

الدقيق.

القسورة: الأسد. والرماة من الصيادين.

الرهج: الغبار، أو ما أثير منه. والشغب والفتنة.

ذو لبد: لقب الأسد.

الأصمعي: السيف القاطع.

الرحى: الطاحون.

الحمر: جمع حمار.

الجلباب: ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها. أو الملحفة.

الإستشعار: هو لبس الشعار، وهو ما تحت الدثار من اللباس. والشعار هو ما يلي شعر الجسد.

لا بد من مراجعة ما سبق:

قد مرت معنا فقرات مشابهة لكثير مما ورد في هذه الخطبة التي ذكرنا عدداً من نصوصها، وقد شرحنا هناك ما تيسر لنا.. فلا بأس بمراجعة الموارد التي سلفت, وربما كانت متعددة..

ونحن سنشير هنا إلى بعض ما تقضي الحاجة بالإشارة إليه مما تبقى من ذلك، فنقول:

متى قال × هذا؟!:

ذكر المنقري: أن النص المتقدم الذي ذكرناه أولاً قد قاله أمير

المؤمنين «عليه السلام» في أول الحرب، لكن المعتزلي يقول: إن هذا الكلام قد خطب به في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير كما في كثير من الروايات[1].

ويقول المسعودي: إنه «عليه السلام» قد خطب به في اليوم الثامن، يوم الأربعاء[2].

ولنا أن نحتمل أن يكون «عليه السلام» قد كرر هذه الكلمات في أكثر من يوم، وأكثر من موقف، لأن الحاجة إليها تتكرر، والتذكير بها لازم. فإن للحرب أصولاً لا بد من مراعاتها في مختلف المواقف.

ويشير إلى ذلك: قول الشريف الرضي: «ومن كلام له «عليه السلام» كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين»[3]..

وقد يشهد على ذلك أيضاً: وجود تفاوت كبير بين النصوص، حيث يبدو أنه كان «عليه السلام» يلاحظ المستجدات، فيضيف إلى التوجيهات بعض ما تمس الحاجة إليه في الأوضاع الحاضرة لديه، وقد يتخلى عن بعض الأمور إما لعدم توفر ما يقتضيه، أو لأجل أن مراعاته حاصلة، فلم يكن لذكره حاجة..

على أن ما ذكره ابن أبي الحديد، من أن هناك روايات كثيرة تدل

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص175.
(2) مروج الذهب ج2 ص379.
(3) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص114 الخطبة رقم 66.

على ما قال، لم يظهر لنا وجهه، فإننا لم نجد لهذه الروايات أثراً فيما بين أيدينا من مصادر..

الخشية.. والسكينة:

وبالعودة إلى مضمون النصوص المتقدمة نقول:

1 ـ قال «عليه السلام»: «استشعروا الخشية..».

والخشية: هي فعل قلبي قد لا يظهر له أثر على الجوارح، والإستشعار هو: لبس الشعار، وهو الثوب الداخلي الذي يلي شعر الجسد.. أو هو طلب الشعور والأحساس بالخشية لله تعالى في داخل القلب، من خلال تجسدها فيه..

وما أشد حاجة الإنسان في مثل هذه المواقف الصعبة إلى أن تكون خشية الله حاضرة في قلبه.. فلا يخشى أحداً سواه، فإن هذه الخشية سوف تسهل عليه كل عسير، وستدعوه إلى بذل المزيد من الجهد في جهاد أعداء الله، والعمل على التخلص بذلك من الشعور بالتقصير، الذي ينشأ عن الخوف من سيوف الأعداء..

وهذا يعطي: أن المطلوب أولاً وبالذات هو العمل على التربية الروحية للمقاتل في سبيل الله. شرط أن يكون مرتكز هذا العمل هو الربط بالله مباشرة، وتأكيد حضوره في قلبه، والكون معه وفي رحابه، واستحضار عظمته وجبروته وقوته..

ولا يكتفى بمجرد الترغيب في الجنة، والحور والقصور، فإنه قد

يتخلى عن ذلك كله لأجل نعيم دنيوي موهوم يرى أنه هو الأقرب إليه والحاضر لديه، فإنه قد يؤثره على نعيم موعود لا يراه، ولا يتلمس آثاره بما يكفي لدفعه إلى التخلي عن النعيم الحاضر..

2 ـ وفي نص آخر قال «عليه السلام»: «وادرعوا الصبر».

فإن الصبر بمثابة درع يقي الإنسان من الضعف أمام النوازل، ويدفع عنه السهام الإبليسية التي تريد إسقاط مقاومته، وتبديد جهده، وسحق إرادته وعزيمته.

3 ـ وقال «عليه السلام»: «تجلببوا السكينة..».

والسكينة هي: هذا الهدوء الظاهر من حال الأشخاص، الذي ينبي بالثبات، والصلابة، والعزم، أو هي على الأقل لا تدل على عكس ذلك..

والخلاصة: أن هذه السكينة تجعل العدو في حيرة وتوجس مما يظن أنه خافٍ عنه، لأن الإنسان يخاف من المجهول أكثر بكثير من خوفه مما يعاينه ويراه..

وفي مقابل السكينة التزلزل والضياع، والإضطراب، الذي قد يفسر على أنه ناتج عن رعب داخلي يمنع من الإستقرار. الأمر الذي يطمع العدو، ويدعوه لإيراد ضرباته بقوة وعزم، إلى أن يبلغ ضعفه واضطرابه حد فقدان السيطرة، وفقدان القدرة على اتخاذ القرار المناسب للخروج من الحال التي هو عليها إلى ما هو أولى وأفضل..

وهذ التوجيه يعطي: أن للإيحاءات الظاهرية أهميتها القصوى

في الحرب، وهي من الوسائل الناجحة في كبت العدو، وفي عدم قدرته على اتخاذ القرار، وقد سجل لنا التاريخ: أن المشركين في بدر قد ماتوا رعباً حين رأوا المسلمين على هذه الحال..

أنواع الأسلحة، ومختلف الفنون:

ثم إن الكلام المتقدم لأمير المؤمنين «عليه السلام» قد أشار إلى أمور عديدة، نذكر منها:

أولاً: أن المطلوب في الحرب هو تحقيق غاياتها ونتائجها، وأنها مرهونة بأهدافها ودوافعها، سواء في تحديد قيمتها، أو في مبررات الدخول والإستمرار فيها..

وهي التي تعطيها صفة المشروعية وعدم المشروعية، والظلم والعدل، والحق والباطل، وليست الحرب عملاً أو مهنة يمتهنها المقاتلون..

فهذه الغايات هي التي تحدد مصير الحرب، وتحتِّم توقفها واستمرارها، كما أنها تحدد لها طبيعتها، وحجم المشاركة فيها، وكيفياتها وأساليبها..

ثانياً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان يريد من مقاتليه ـ كما يفهم من كلامه المتقدم ـ: أن يستفيد من مختلف أنواع الأسلحة المتوفرة لديهم.

ثالثاً: أنه يريد منهم أن يستفيدوا من مختلف الفنون الحربية، من

دون استثناء، أو تقصير، أو تحرج، حتى المكادمة، والمبالدة، والمبالطة، وطعن الخزر، والنتر، والهبر، والوجر.. وما إلى ذلك مما أشير إليه.

رابعاً: إن هذا يتطلب تدريباً شاملاً ومستوعباً لجميع تلك الفنون التي ألمحت إليها كلماته المتقدمة.

القائد في الميدان:

ويلاحظ هنا الأمور الثلاثة التالية:

1 - إن الشعر المنقول عنه «عليه السلام» آنفاً يشير إلى المواصفات التي ينبغي الإهتمام بتوفرها في القادة، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

2 - إن للمشاركة الميدانية للقائد، وتفقد سائر الجبهات والمواقع، وممارسة القتال بنفسه، وعدم الإكتفاء بإصدار الأوامر، والحضور المباشر بين المقاتلين أعظم الأثر في تحفيز المقاتلين، وفي سكينتهم وطمأنينتهم، وفي صيانة العمل العسكري من الإختلال.

3 - إنه «عليه السلام» لم يصدر توجيهاته القتالية بصورة أوامر وزواجر تجب طاعتها طاعة عمياء، بل علل لهم بعض تلك الأوامر بما يزيدهم بصيرة فيها، ويعطيهم المزيد من الإندفاع لتطبيقها والتفاعل معها بصورة عملية، وربما أعطاها بعداً إنسانياً وأخلاقياً لا يمكنهم التخلي عنه، أو التساهل فيه..

أما الذي لم يذكر له تعليلاً، أو فلسفة.. فإنه إنما ترك تعليله لهم بسبب وضوح سببه، وبداهة ما يرمي إليه.

معالجة تأثيرات الكتيبة الشهباء:

أظهرت معالجة أمير المؤمنين «عليه السلام» لحالة الفشل والخوف التي اعترت جيشه حين رأوا الكتيبة الشهباء أموراً عديدة:

منها: أن للمظاهر والأشكال والأحجام تأثيرها القوي على الناس العاديين.

ومنها: إن هذه المظاهر قد تتوافق مع ما هو واقع، وقد لا تتوافق معه.

ومنها: أن حضور القائد في مثل هذه المواقع في ساحة المواجهة ضروري جداً، وهو يسهم في حسم كثير من الأمور بصورة سريعة ومؤثرة، لأن معالجته تأتي عن بصيرة ووعي، ومن موقع السيطرة والإشراف المباشر.

كما أنه يفوت على العدو فرصة الإستفراد بالناس العاديين لكي يؤثر عليهم باستعراضاته، وانتفاخاته الخادعة.

ومنها: أن معالجته «عليه السلام» قد جاءت على درجة عالية من الوضوح والبساطة التي مكنت الجميع من فهم ما يرمي إليه، ويتمكن بذلك من تحقيق الغرض المنشود من أيسر السبل.. فإنه «عليه السلام» لم يزد على أن بين لهم أن الأشكال والمظاهر والأحجام

ليست هي المعيار في القوة والضعف، أو في النجاح والفشل، بل المعيار هو المضمون الذي يكمن خلف تلك المظاهر.. والقلب الذي يحرك تلك الأحجام، والعقيدة والفكرة، والعزيمة والمشاعر، التي تغذي وتدفع للتضحية والبذل والعطاء..

وقد أوضح لهم: أن مظهر هذه الكتائب وما صاحبها من دوافع ومحركات لا تعدو كونها تسويلات شيطانية، وتزيينات أهوائية باطلة، لا حقيقية، ولا بقاء لها، فهي بمثابة سراب خادع، أو برق لامع..

ومنها: أنه «عليه السلام» لم يقتصر على مجرد التوجيه القولي، لأنه كان يعلم: أن تأثيرات الكلام لا تبقى على ما هي عليه من القوة والحدة، بل هي تضمر، وتتضاءل وتضعف قوتها وحدتها بصورة تدريجية. وتبقى الصورة اللافتة في أحوالها وأشكالها ماثلة أمام عين المقاتل، حاضرة في مخيلته..

فبادر «عليه السلام» في تلك اللحظة نفسها، وحين رأى أن كلماته قد تركت لها أثراً إيجابياً عليهم ـ بادر ـ إلى إيراد ضربته القاصمة بتلك الكتيبة بعينها. وأزالها عن مواضعها، وصدق فعله وقوله.

وهذا درس آخر لا بد من الإستفادة منه في الحالات المماثلة، يضاف إلى سائر ما يمكن استفادته من هذه الكلمات الرائعة، التي يحتاج إليها كل مجاهد وقائد.

استشعروا الخشية:

وقد أمر «عليه السلام» أصحابه بأن يلحظوا الشزر..

وغني عن البيان: أن للإنسان في نظراته، وفي مظهره، وتعابير وجهه أثراً في نفس الناظر إليه.. ولعل أقوى ما في الإنسان أثراً هو عيناه. بل هما مركز التأثير الأساس فيه.. ثم تأتي سائر الحركات، ومنها الحركات التي تصدر عنه لتكون لها الدرجة الثانية في التأثير..

ولأجل ذلك نلاحظ: أن أول ما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» هو ذلك المرتكز الداخلي للمقاتل، وأثره المباشر في تكوين حالته النفسية، وفي انفعالاته التي تظهر آثارها في كلماته، وعلى صفحات وجهه.. فكان أول ما قاله «عليه السلام» هو: «استشعروا الخشية» لأن ذلك لا بد أن يثمر:

أولاً: سكينة وطمأنينة.

ثانياً: ثبات عزيمة، وقوة إرادة، ربما تبدو بوادرها وآثارها في فلتات اللسان، وعلى صفحات الوجه.

ثالثاً: شجاعة وحزماً وجزماً، وقراراً قاطعاً وتصميماً حاسماً..

رابعاً: ترصداً للعدو، وتحيناً للفرصة، وبحثاً عنها..

خامساً: توثباً وإقداماً.. ومبادرة عملية.

والحظوا الشزر، والخزر:

وربما كانت لحظات العينين هي الأقدر على الإيحاء بكثير من

هذه المعاني، ولذلك قال «عليه السلام»: «والحظوا الخزر» وفي نص آخر: «الحظوا الشزر»..

وقد قلنا:

ألف: إن لحظ الشزر هو اللحظ بمؤخر العين عن يمين وشمال. وهذا يعني أن يبقى اللاحظ على حاله، ولا يحول وجهه، ولا يحركه يميناً ولا شمالاً.. ولكنه يراقب اليمين والشمال، بمؤخر العين.

وبذلك يكون قد أوحى للعدو بالحذر، وبالتصميم، والعزيمة، وأوحى إليه أيضاً بأنه يتلمس الفرص للوثوب، وإنزال الضربة القاصمة، به..

ب: وأما الخزر فهو أيضاً النظر بطرف العين، ولكن مع الإيحاء للعدو بالتداهي، الذي يعني إخفاء أمر قد رصده للمكر به، والتداهي هو: العمل الموحي بالدهاء..

كما أن الخزر هو قبض الجفن لتحديد النظر.. ولهذا أيضاً إيحاءاته ودلالاته التي لا تخفى، فإن العدو إذا رأى عدوه يحدّد النظر في نقطة معينة، فإن ذلك يربكه، ويجعل وهمه يذهب كله باتجاه تلك النقطة، حيث سيظن أن ثمة خللاً يرصده العدو فيها. فيتوجه باهتماماتة إلى تلك الجهة، فيورد به عدوه ضربته في الموقع الذي صرف اهتمامه عنه..

وهذا درس صريح في أن ثمة حاجة إلى اعتماد أساليب الإيهام للعدو بأن العمل يستهدف جهة بعينها، فإذا توجه إليها، جاءته الضربة

في الجهة الأخرى التي تم إبعاده عنها..

قلقلة السيوف وإعمال الأسنة:

وقد ذكر «عليه السلام» لزوم قلقلة السيوف قبل سلّها.. وقد قلنا: إن ذلك قد يكون لتسهيل سلّها في اللحظة المناسبة، وليتم ذلك بسرعة، كما أن هذا يدخل في تهيئة السلاح وتفقده وتفحصه وإعداده..

وذكر «عليه السلام» أيضاً لزوم إعمال الأسنة، أي وضعها في مواضعها بإتقان وإحكام بحيث تصل إلى العامل، وهو الموضع الذي يلي السنان في الرماح..

وهذا أيضاً يشير إلى لزوم إعداد السلاح، والتأكد من سلامته وجودته..

كيف نتعامل مع النصوص؟!:

وبما أن من غير الممكن التعامل مع هذه التعابير، من خلال حرفيتها اللغوية وتطبيقاتها العملية في ذلك الزمان.. بل لا بد من استخلاص إيحاءاتها ودلالاتها، والتوسع في تطبيقاتها.. لنتمكن من الإستفادة منها في كل زمان..

والذي يدعونا إلى ذلك: ملاحظة أن أمره «عليه السلام» المتقدم باختيار أنواع مختلفة من الطعن والضرب، كالهبر، والوجر، والنتر الخ.. إنما هو لأنها تحدث آثاراً معينة في العدو، فدلنا ذلك على مطلوبية خصوص هذه الآثار في الحروب.. فإن كانت مطلوبة

بالنسبة للأفراد في تلك الحقبة، فإن مطلوبيتها في زمان المدفع والطائرة والدبابة إنما هو بحيث يتناسب مع تطوير وسائل الحرب، وتوسع مداها، واختلاف منطبقاتها.. وهذا ما حدانا إلى هذا التطوير في الإستيحاء والتوسع في التطبيق..

واطعنوا الهبر، أو الوجر أو إلخ..:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد أمر أصحابه بأن يطعنوا الهبر، أو الوجر، أو النتر، أو الخزر، أو الشزر..

ونلاحظ ما يلي:

1 ـ لعله «عليه السلام» قد قال ذلك كله، وربما يكون قد قال بعضه في موقف، وقال غيره في موقف آخر، وبعضه الآخر في موقف ثالث، وهكذا.. حيث تقتضي الحالات والمقامات المختلفة أنواعاً مختلفة من ذلك..

وقد قلنا فيما سبق: إن لكل حالة أسلوب عمل يناسبها.. فإنك لا تستطيع أن تستعمل الأسلحة الثقيلة في الإشتباك القريب والمباشر للأفراد، بل أنت تحتاج إلى الأسلحة الصغيرة، وربما إلى السلاح الأبيض.. وكما أنك لا تستطيع أن تستعمل الأسلحة الصغيرة في مقابل سلاح الدبابات.. أو في مقابل سلاح الطيران..

وحتى في الإشتباك المباشر للأفراد، فإنك قد لا تتمكن من استعمال الأسلحة النارية أصلاً..

2 ـ إن طريقة استعمال السلاح تختلف وتتفاوت، فقد تحتاج إلى التركيز والإستهداف المركز، وقد تحتاج إلى عملية تمشيط شامل يستوعب منطقة بكاملها، وبجميع أطرافها. بهدف منع العدو من التمركز في أية نقطة منها.

وقد تحتاج إلى السيطرة النارية الكاملة على منطقة العمليات كما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «اطعنوا الشزر». أي عن يمين وعن شمال، وهذا كناية عن شمول السيطرة القتالية على جميع الأطراف والجهات..

3 ـ وقد يحتاج إلى الإمعان والإستقصاء التدميري في مواضع بعينها، ككونها موضع رصد أو إسناد، أو لغير ذلك من فوائد وعوائد.. وهو ما أشار إليه في قوله «عليه السلام»: «اطعنوا النتر». فإن النتر هو الطعن المبالغ فيه من حيث شدته ونفوذه.. والنتر: العنف. والنترة: الطعنة النافذة.

4 ـ قد يحتاج إلى اقتطاع أجزاء من المواضع التي يسهل اقتطاعها، فلا بد أولاً من رصد أمثال هذه المواضع، ثم القيام بعمليات تؤدي إلى هذه النتيجة، لأن ذلك يمثل ضربة روحية للعدو، لأن للحرب النفسية إسهاماتها الكبيرة في هزيمة الأعداء..

ولعل هذا هو ما أشار إليه «عليه السلام» في قوله: «واضربوا

هبراً(1)، أو اطعنوا الهبر». وهو الطعن الذي يؤدي إلى اقتطاع جزء من المضروب..

5 ـ وأما الطعن الوجر.. فقد يستفاد منه تسديد ضربات نافذة، وتدميرية، في المواضع الحساسة، والقاتلة، لأن الوجر هو الطعن في الفم. وقال الليث: هو الطعن في الصدر.

نافحوا بالظبا:

أما قوله «عليه السلام» لأصحابه: «نافحوا بالظبا».. فلعله يشير به إلى أن المقاتل قد يحتاج إلى ضرب المواقع البعيدة عنه قبل القريبة، إذا كان المراد بالنفح هو تسديد الضربات لما هو بعيد، إذا أمكنه أن يصل إليه بذباب السيف، أو بطرف السنان.

وإذا كانت كلمة نافح بمعنى كامح وبمعنى دافع، فهو يشير إلى أن أمر الدفاع يختلف عن حالة الهجوم. ولا سيما حين تتعدى بكلمة: «عن». فإن الدفاع يحتاج إلى سلاح قاطع، وحادّ، وبالغ التاثير، ليذوق المهاجم أشد أنواع الأذى في هجومه، كما أنه يحتاج إلى السرعة وإلى العنف في الصدام، وفي ردة الفعل على الهجوم..

ولأجل ذلك أمر «عليه السلام»:

1 ـ باستعمال الآلات الحادة ضد المهاجمين، وهي حد السيف،

---

(1) أقرب الموارد ج2 ص1366 وراجع: النهاية في غريب الحديث ج5 ص239 ولسان العرب ج5 ص247.

وحد السنان في الرماح..

2 ـ ثم أمر بأن تكون ردة الفعل على الهجوم هي التحول المباشر وبأسرع ما يمكن من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم.. حيث قال «عليه السلام»: «وصلوا السيوف بالخطا»..

وإنما اختار «عليه السلام» السيف هنا لأن المطلوب في ردة الفعل، التي يكون فيها العدو قريباً جداً هو استعمال الأسلحة المناسبة للمسافة القصيرة.. وهي السيف أولاً..

فإن انكفأ العدو بأكثر من مدى السيف، فإن حامل السيف يصل سيفه بالخطا.

3 ـ فإذا انكفأ العدو إلى مسافة أبعد انتقل إلى استعمال السلاح المناسب لتلك المسافة، التي تلي مسافة القتال بالسيف، أو بالسكين.. وهو الرمح..

فإذا طالت المسافة انتقل مباشرة إلى السلاح المناسب للمسافة التالية التي أصبح العدو عليها.. وهو سلاح النبال..

ويمكن نقل التجربة إلى أيامنا الحاضرة، فنقول: إن العدو إذا أصبح قريباً جداً من المواقع التي يهاجمها، فيجب استعمال الأسلحة الخفيفة، وربما القنابل اليدوية، وأحياناً السلاح الأبيض، فإذا انكفأ إلى مسافة أكبر ينتقل إلى الأسلحة المتوسطة، فإذا أمعن في البعد انتقل إلى ما هو أبعد مدى منها، بحسب ما يناسب تلك المسافات من سلاح..

ولذلك قال «عليه السلام»: «ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف

بالخطا، والنبال بالرماح..».

4 - ثم أشار «عليه السلام» إلى ضرورة معالجة الخلل في التوازن الروحي الذي قد يحدثه الهجوم على المقاتلين، وذلك باتجاهين:

أحدهما: تذكيرهم بأن هجوم العدو عليهم لا يعني أن الله تعالى قد تخلى عنهم.. بل هم لا يزالون مرعيين بعين الله، وفي كنفه تعالى..

الثاني: إن الذي يدبر أمورهم هو ابن عم نبي الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أعرف الناس بما جاء به ذلك النبي، وأحرص الناس على حفظه وصيانته، ومواصلة مسيرته، حتى بلوغ أهدافه.. فما عليهم إلا أن يطيعوا أمره، ويثقوا بحسن تدبيره، وصحة توجيهاته.. ليتمكن هو من إعادة الأمور إلى نصابها.

وليلاحظ: أن اختيار كلمة «النبي»، دون كلمة الرسول، إنما هو ليشير إلى الوحي في إطلالته على الغيب الإلهي في رعاية تدبيره.. إذ ليس هو مجرد حامل رسالة يبلغها إليهم وينتهي الأمر.

الكرّ بعد الفرّ:

لا ريب في أن الفرار من العدو مبغوض لله تعالى، ولأنبيائه وأصفيائه، وجميع عباده، وهو مما تنفر وتأنف منه الطباع، ولا يرضاه لنفسه رجل أبي، وشريف، وكريم، فإنه عار يلحق بالإنسان في نفسه وفي ذريته.. وسائر أعقابه من بعده.

ولكن المقادير، قد تأتي بلحظة تراخ أو ضعف، أو خطأ في التقدير، وتنتهي بانتكاسة قاسية ومريرة.. وربما يودي به إلى الهلاك المحتم، إن لم يتم تداركها في اللحظة المناسبة بمعاودة الكرّ بعزيمة أشد، وتصميم آكد.

غير أن من الواضح: أن الكرّة بعد الفرّة، لن تكون سهلة، لأن الفرّة قد جعلت العدو أكثر جرأة، وأعظم طمعاً بالنصر.. كما أنها قد أضعفت من عزيمة الذي ابتلي بالفرار، وأصيب بانتكاسة روحية، سوف تصعب عليه التخلص منها، والإنتقال إلى ضدها..

ولذلك نجده «عليه السلام» يشير إلى هذه الشدة فيقول في مورد آخر: «لا تشتدن عليكم كرّة بعد فرّة».

كما أنه «عليه السلام» يعطينا درساً علينا أن نستفيد منه في الحالات المشابهة، وهو ضرورة المبادرة إلى ترميم الخلل الذي أوجبته هذه الفرّة من خلال ما يلي:

1 - إستثارة روح الأنفة والرجولة. من حيث أن الرجل الكريم والأبي لا بد أن يخجل من صدور هذا الأمر الشنيع منه، وأن يمنعه حياؤه من اللجوء إلى هذا الخيار المغموس بالمذلة والمهانة.

2 - إن خياراً كهذا لا تقتصر أضراره عل خدش الحياء والكرامة لدى الإنسان الكريم، بل تتعدى ذلك إلى أن يصبح وصمة عار تلازم الفارّين طيلة حياتهم..

3 - إن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلى الذرية في

امتداداتها المتوالية في الأعقاب إلى ما شاء الله، فلا تقف عند نسلٍ بعينه.. ولا يرضى الإنسان أن يلطخ كل هذه الأجيال المتعاقبة بالعار والشنار، لسببين:

أحدهما: حبه لنفسه، وسعيه للتخفيف عنها، وتلميع الصورة التي يحملها الآخرون عنه.

الثاني: حبه لذريته في جميع المراتب المتعاقبة، فإنه يراهم امتداداً له، ورمزاً لبقائه، وعنواناً لوجوده.. وهذا يعني: أنه بدون ترميم هذا الخلل الحاصل فإنه يكون بفراره هذا قد خسر الدنيا بكل تجلياتها ومظاهرها وامتداداتها..

4 - بل إن هذا الفرار كما لم يحقق له الحياة الكريمة والأمن في الدنيا، فإنه أيضاً لن يجد أي نوع من أنواع الأمن بالآخرة، لأن هذا الفرار سيتحول إلى نار وعذاب في يوم الحساب..

المشي إلى الموت مشياً سُجُحاً:

إن نفس الظهور بمظهر من لا يبالي بالموت هو الآخر له نوعان من الأثر..

فمن جهة: فيه تلقين وإيحاء لنفس الشخص بالشجاعة والإقدام، وعدم المبالاة بالأخطار..

وفيه من جهة أخرى: كبت للعدو، ومواجهة له بما يوجب حيرته ويأسه، حيث يجد أن التهويل لا يجدي، ولا سبيل لممارسة الحرب

النفسية الرادعة.

وطريقة التحرك في ساحة القتال بسهولة وليونة، والمشي إلى الموت مشياً ليناً وهيناً «سجحاً» هو الذي يعطي هذا الإنطباع لدى العدو، ويثير في نفس الماشي هذا الشعور بالثقة والقوة، ويعطي هذا الإيحاء..

اضربوا ثبجه:

وقد أشار «عليه السلام» إلى أصحابه بضرورة عدم التلهي بالمناوشات، وضرب الحواشي والهوامش، بل المطلوب هو صرف الهمة كل الهمة إلى ضرب جيش العدو في صميم ما يعتبره قوة له، لأن ضرب الهوامش، والحواشي يشي بالخوف والرهبة من المواجهة الشاملة، وخصوصاً في المواضع الحساسة، والرغبة في البحث عن النقاط الأضعف، والتلهي بها.

وشعور العدو بهذا الأمر يزيد من غروره، ومن اعتداده بنفسه وبقوته.. ثم تصميمه على الحرب والقتال.

أما إذا تركز الضغط على العمود الفقري للجيش، فإن ذلك يمثل ضربة لكبريائه، وكسراً لعنفوانه، ورفعاً لمعنويات الجيش المهاجم..

وفيه أيضاً إضرار بالركائز الأساسية التي يقوم عليها جيش العدو، الأمر الذي لا بد أن يربك قيادته، ويسقط خططها الهجومية، ويضطرها إلى اللجوء إلى الدفاع الذي قد لا تكون قد أعدت له خططاً

ذات تأثير كبير، فيقتصر الأمر على السعي للإحتماء والإختباء، وتلافي تكبد المزيد من الخسائر..

هذا عدا أنه قد يعجز العدو حتى عن الإنتقال إلى الهجوم إلا بعد أن يكون قد فقد الكثير من المقومات، والقوى الفاعلة والمعدات المؤثرة في مسار الحرب والقتال.

وربما تأتي خطط هذا الإنتقال ناقصة ومرتجلة، وضعيفة، وتزيد من خسائره في الكثير من المجالات.

وبذلك نعرف قيمة هذا التوجيه الكريم منه «عليه السلام» لأصحابه حيث قال: « وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب [السرادق الأدلم، والرواق المظلم]، فاضربوا ثبجه»، (أي معظمه)، أو وسطه، او أعلاه.

لماذا يُستهدفُ قلب الجيش؟!:

ثم ذكر «عليه السلام»: أن السبب في أمره لهم بالمبادرة إلى استهداف قلب جيش العدو في أهم مفاصله هو: أن هذا القلب، هو مكمن الشيطان(1)، من حيث إنه في مظهره القوي يغري من بيدهم قرار الحرب والسلم بالإصرار على الحرب، لاطمئنانهم إلى أن هذه القوة الضاربة ستوصلهم إلى ما يحلمون به، ويطمحون إليه..

(1) ربما كان المقصود بالشيطان هنا معاوية نفسه.

ولكن هذا الشيطان نفسه، حين يشعر بالخطر سيُؤثر الفرار على القرار، ولذلك قال «عليه السلام»: «فإن الشيطان راكب صعبه، ومفرش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلاً»..

وهذا يعطي: أن ضرب هذا القلب سيجعل هذا الشيطان يشعر أنه هو المستهدف، وبأن الخطر محدق به، وقريب منه.. أما إذا بعدت الضربات عنه، واستهدفت النواحي والأطراف، فإنه سيبقى ثابتاً في موقعه.

ها أنا شاد، فشدوا:

وقد أصدر «عليه السلام» أمره للناس بالهجوم بصيغة فريدة، حيث قال لهم بعد تلك التوجيهات: «ها أنا شاد فشدوا»، فهو:

أولاً: لم يكتف بإصدار الأمر لهم، بل أشرك نفسه معهم.

ثانياً: لم يقل لهم: شدوا وأنا اشد معكم، بحيث تكون شدته على العدو إما تابعة لشدتهم أو مصاحبة لها.. بل جعل شدتهم هي التابعة لشدته..

ثالثاً: لم يقل لهم: إن شددت فشدوا، لأن ذلك قد يفهم منه أنه لم يتخذ القرار بعد.

كما أنه لم يقل: أنا أشد فشدوا، لأنه قد يقال: إن هذا بمثابة وعد منه.. وقد يتراجع عنه..

ولم يقل أيضاً: لنشد معاً على العدو، لأن ذلك يعطي المقارنة بين

شدته وشدتهم..

بل هو قد أخبرهم عن قراره وتصميمه القاطع على الهجوم.. ثم طلب منهم أن يتبعوه في ذلك. أي أنه لم يرض حتى بالمقارنة بين فعله وفعلهم، بل أراد أن يكون هو السباق لهم لمواجهة الأخطار.

رابعاً: إنه أتبع أمره هذا بالشروع العملي بتنفيذ قراره الذي أخبرهم عنه، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم: حم.. لا ينصرون»..

القائد في شعر علي ×:

وحين أنشد «عليه السلام» الشعر المتقدم، فإنه لم ينشد لأصحابه شعراً حماسياً، أو تحريضياً.. كما أنه لم يرد أن يعطيهم صفاته كإمام، بل أراد أن يقدم لهم نموذجاً للقائد في ميدان العمل، فأنشد شعراً يصف فيه نفسه من حيث هو قائد، ومدبر، ليعطيهم نموذجاً تطبيقياً للقائد الرائد، وقدم نفسه ـ من خلال تواضعه الباهر ـ كمثال يسهل عليهم تصوير وتصور المراد، فذكر ما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» قال لهم: إن همته منصرفة إلى حل المشكلات التي يواجهها ويسعى لكشف غوامضها، وإيضاح ما أبهم منها.

2 ـ إن على القائد أن يهتم بكشف الغوامض من خلال الفكر والتأمل والنظر.

3 ـ إن على القائد حين يواجه أمراً غيبياً تضطرب فيه

الإحتمالات، ولا سبيل إلى كشف غوامضه بالفكر والتأمل العقلي، أن يستفيد من العبر والعظات التي توفرها له الأحداث التي جرت على مر العصور والدهور.

4 - إنه يملك لساناً قؤولاً بالحق، قاطعاً لكل شك وريب، كاشفاً عن غوامض الأمور وخفاياها.

5 - إنه رجل حازم، وصاحب قرار. وليس إمعة تابعاً في رأيه لغيره.

6 - إنه متكلم بارع، قادر على بيان مراداته بصورة صحيحة لا لبس فيها.

7 - إنه شجاع ذكي القلب.

8 - إن على القائد أن يستفيد من التجارب، ويقيس ما يواجهه من الأمور على ما مر به منها، والتأمل في هذه الصفات يعطي:

ألف: إنه «عليه السلام» قد اقتصر على ذكر الصفات التي تفيد في التعامل مع الناس، وهدايتهم، وقيادتهم.

ب: تعمد الحديث عن الممارسة العملية بطريقة لا تخرج عن مألوف الناس فيما هو متوفر لديهم من وسائل. فلم يدَّعِ لنفسه قدرات خارقة مثلاً.

ج: إنه «عليه السلام» لم يدخل عنصر الغيب والكرامة أو المعجزة، ولا أشار إلى حالاته، وقدراته من حيث هو إمام معصوم،

ومطلع على كثير من الغيوب، لأن الشيطان قد يجد مجالاً للنفوذ، فيوسوس لبعض ذوي النفوس الضعيفة بما يحبط به أعمالهم، ويخرجهم به عن جادة الطاعة في مثل هذه اللحظات الحساسة التي يهتم الإنسان فيها بنفسه كشخص مستهدف في أعز ما لديه، وهي روحه التي بين جنبيه.

رجل جراد زفت به الريح:

وقد تقدمت الإشارة إلى معالجته «عليه السلام» للصدمة التي اعترضت أصحابه حين أقبل إليهم معاوية في كتيبته الشهباء.. ونعود فنذكر ببعض اللمحات واللفتات التي تضمنتها تعابيره «عليه السلام» التي وصف بها تلك الكتيبة، لنستفيد من ذلك درساً في المعالجة النفسية لاختلالات ربما نشأت عن مظاهر خادعة، حيث بيَّن دقة الوصف للحالة التي واجهها أصحابه، وبيَّن عللها ومناشئها التي تنتهي إليه.. مشيراً إلى أحجامها وأوزانها بكلمات محددة ودقيقة استطاعت أن توحي بالعديد من المعاني في آن واحد. فهو بحق درس رائع في الإعلام الرصين والصادق، والمؤثر والحاسم.

وبعدما تقدم نشير إلى ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» وصف أشخاص تلك الكتيبة بأنهم مجرد جثث ماثلة، والمراد بكلمة «جثث»: هو الأجساد التي تقوم أمام الرائي.. فكأنه «عليه السلام» أسقط معنى الحياة والنشاط في تلك الأجساد..

2 ـ بما أن الحركة والحيوية والنشاط للجسد إنما يتولاها القلب، فإنه «عليه السلام» أشار إلى أن في تلك الأجساد قلوباً، ولكنها فاقدة للإستقرار وللثبات، وفاقدة للوزن، لأن الخوف والرعب أطارها.. فكانت كما قال تعالى: **(وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)(1).**

3 ـ إن هذه الجثث وإن كانت متسربلة بالسلاح، وقد أخفى اللثام الوجوه حتى لا يرى منهم الحدق، ولكن ذلك لا يعدو كونه زخرفات ظاهرية، وتمويهاً يمارسه الخاسرون لتغطية فشلهم وخسرانهم، وليس وراءه سوى الضعف والخور، والهزيمة النفسية.

4 ـ ثم إنه «عليه السلام» أشار إلى الكثرة التي ربما توحي بأنها قد تغلب الشجاعة فذكر أنها في هذا المورد أشد وهناً ضعفاً، وأوضح فشلاً، وذلك لما يلي:

أولاً: إن الكثرة كثيراً ما تكون سبباً للتواكل، من حيث أن كل فرد في تلك الجماعة الكثيرة يرى أن غيره يكفيه المؤونة، فلماذا يخاطر بنفسه، كما أن من يشارك فيها إنما يشارك ببعض قوته، لأن الكثرة ـ بزعمه ـ تسد النقص، وتعوض ما يدَّخره من فضل وقوة لنفسه.

أما في جانب القلة، فإن الرغبة في حفظ النفس من الخطر تدعو كل فرد فردٍ إلى بذل قصارى جهده، وإلى أن يعوض النقص الذي لا يجد لدى غيره، ما يفيد في التعويض عنه.. بالإضافة إلى أن الشعور

---

(1) الآية 43 من سورة إبراهيم.

بالقلة يولد عندهم شعوراً بالحاجة إلى المدد الإلهي، والعلاقة بالغيب، والتوكل على الله.

ثانياً: إن هذه الكثرة التي جاء بها الأخطبوط الأموي، لكي تواجههم لا تحمل معها أية حوافز تدعوها لبذل النفس، ولا هدف لها يدعوها إلى بذل الجهد أو التضحية بأي شيء، فهي إذن خاوية من أي مضمون أو حافز، بل هي ترى أن قادتها يريدون جعلها وقوداً لنيران الأحقاد والأهواء والمطامع، ولن تستفيد هي شيئاً من هذا الصراع، لا من قريب ولا من بعيد.

فهي لم تحمل معها إلى ميدان القتال إلا الرعب والخوف والفشل، الذي أريد تمويهه ببعض الزخرفات الظاهرية التي تمظهرت بالعدد والعدة والإستعراضات الفارغة..

أما العدد الكثير فهو بمثابة رجل جراد، أي جماعة كثيرة من الجراد الطيار الذي لا يملك نفسه في حال طيرانه، بل تحركه الريح، حتى ريح الصبا التي هي أضعف الرياح، وأشدها ليناً، فكيف سيكون حاله إذا صدمته الأسنة والسيوف، وبركت عليه جبال العزائم الراسخة، فلن يجد أمامه سوى التهاوي والسقوط ليصبح أكواماً يخنق بعضها بعضاً.

وهذا ما ألمح إليه «عليه السلام» بقوله: «ورجل جراد زفت به ريح صباً».

ثالثاً: ويزيد الأمر وضوحاً: أنه «عليه السلام» لم يقتصر على

بيان أن هذا الجمع مجرد جثث ماثلة، تحمل في داخلها قلوباً طائرة من الهلع والخوف.. ولا على كونه مجرد كثرات وأعداد لا ثبات لها، كجماعة الجراد الطائر التي يحركها أدنى ريح في كل اتجاه.. وإنما هي ـ كما قال «عليه السلام»: ـ «لفيف سداه الشيطان ولحمته الضلالة».

والسدى هي الخيوط الممتدة حين نسج الثوب، واللحمة هي ما ينسج عليها عرضاً.

فأراد «عليه السلام» أن يكني بهذا عن معنى أن الشيطان هو الأساس والأصل الذي يمتد ليصل البداية بالنهاية.. أما الضلال، فهو الذي يجمع هذه الخيوط الشيطانية، ويؤلف بينها، ويضبطها ويربط بينها، ويعطيها قدراً من التماسك، حتى ليخيل إليك أنها أمر واحد..

مما يعني: أن هذا الجمع ليست لديه بصيرة في الحق، وإنما هو يسرح في تيه الضلالات، وتعتوره حبائل الشيطان، فلا شيء يستمسك به، ويشد بعضه إلى بعض.

رابعاً: يتجلى في هذه الجماعة «خور الباطل» كما قال «عليه السلام».. فإن الباطل ما هو إلا مظهر من مظاهر فقدان الحق، وهو عبارة عن اختلال ودمار، يصيب ما هو واقع ثابت وحقيقة راهنة، فيبطل حقيقته ويدمرها.. فهو عدم وفراغ.. فلا معنى لجعله أساساً يقوم عليه بناء شامخ، ومهيب، لأن العدم والفراغ هو محض الخور والفقدان والضعف.

خامساً: تتجلى في هذا الجمع ضحضحة وقلة من يكاثر غيره، لأن المكاثر يحاول زيادة الأرقام، ويلاحق الأفراد ليضيفهم إلى ما عنده، لتتنامى الأعداد لديه.. مع أن الأعداد نفسها لا تعطي غنى، ولا قوة، ولا تزيده ثباتة، ولا صلابة، لأن الأعداد في وجودها وفي تراكماتها ذهنية، وليس لها تأثير على الواقع الخارجي.

فمثلاً من يملك المليارات يبقى هو نفسه حين تزول ملكيته عن نصفها مثلاً.. وتبقى أحواله في مأكله ومشربه وملبسه، ونومه وما إلى ذلك. أي أنه حين يأكل أو يلبس، أو ينام، لا يزيد فيما يأكله، ويلبسه، أو فيما يستفيده في نومه، لا يزيد شيئاً على من يملك نصفها أو أضعافها.

ولذلك قال «عليه السلام»: «وضحضحة المكاثر».

وكل ذلك الذي ذكره «عليه السلام» قد انتهى إلى النتيجة التي سجلها «عليه السلام» عن تلك الكتيبة بقوله: «فلو قد مسها سيوف أهل الحق لتهافتت تهافت الفراش في النار». لأن ضلالها يحملها على هذا التهافت. كما أنها توازي في ضعفها الفراش. أما قوة سيوف أهل الحق فتوازي قوة النار في إحراقها للفراش المتهافت فيها.

التسوية بين الركب:

وقد أمر «عليه السلام» أصحابه بأن يسووا بين الركب.. مما يعني:

1 - أن الجميع سوف ينسق حركته وحالته، ويختار موضع وقوفه

بنحو يحقق هذه التسوية.. وهذا يحتاج إلى ملاحظة المقاتل حال نفسه وحال أصحابه، وإلى المقارنة بينها ثم السعي لتحصيل الموافقة.

2 - إن هذا يعطي شعوراً بانضمام جهد كل منهم إلى جهد الآخر، وأن ثمة تضامناً فيما بينهم، كما أنه يجعل المقاتل يشعر بالأسوة من حيث أن ما يجري عليه يجري عليهم.

3 - إن ذلك يعطيهم هيبة وعظمة في نظر عدوهم.

4 - إن ذلك يبعدهم عن الفوضى، ويوحى لهم بالالتزام بالنظام والتقيد بالتعليمات.

5 - ربما يكون المطلوب هو أن يبرك المقاتلون على ركبهم، ويشرعوا أسنة الرماح في صدور عدوهم لكي يكسروا شرة العدو في اللحظات الأولى.. لأن هذا التصرف منهم يعطي معنى الصمود، واللصوق بالأرض، وعدم التزحزح منها.

6 - وبعد استيعاب هجمة العدو وإشعاره بالخيبة يأتي دورهم في مهاجمته، وفق الخطة التي رسمها لهم «عليه السلام».

واضربوا القوانص أم القوابض:

وقد أمرهم «عليه السلام» بضرب القوانص (كما في بعض المصادر).. وهي جمع قانصة، وهي من الطير بمثابة الحوصلة للإنسان.. وكأنه «عليه السلام» شبههم بالدجاج أو بغيره، وأن المطلوب هو استهداف رقابهم بالمرهفات. وأن لا يتلهوا بما دون

ذلك، لأنهم إن لم يسبقوا العدو سبقهم.

ولكن بعض المصادر الأخرى ذكرت (القوابض) بدلاً من القوانص، والمراد القوابض على السيوف والرماح، وأن المطلوب هو ضرب الأيدي وقطعها.. لكي لا يبقى مجال للقتال لمن يفقد يده.. ولعل هذا هو الأقرب والأصوب، والتصحيف للكلمات ليس بعزيز.

مدوا جباه الخيول، ووجوه الرجال:

وهنا نكون قد بلغنا إلى نص الخطبة الذي ورد في كتاب المنقري، وحيث إننا قد عرضناه في مواضع أخرى في هذا الكتاب، وتكلمنا على بعض مضامينه، فإننا نصل إلى النص الأخير، وقد تقدم معنا ما يشبه الكثير من فقراته أيضاً، وذكرنا ما يستفيده منها، فلا حاجة إلى إعادته، غير أننا نشير هنا إلى النقطتين التاليتين، فقد تقدم: أنه «عليه السلام» قال لأصحابه: «ومدوا جباه الخيول، ووجوه الرجال».

وكأن المراد بهذا التوجيه هو الإيحاء للعدو:

أولاً: بتوثب الخيل لكي تعدو نحوهم بفرسانها، وبأنها مطواعة لهؤلاء الفرسان.

ثانياً: إن مد وجوه الرجال لعله يتوافق مع المراد من قوله «عليه السلام» لولده محمد في حرب الجمل: «ارم ببصرك أقصى القوم». ربما ليفهم العدو أنه لا يقيم وزناً لكل هذا الحشد الذي أمامه، لأن

طموحه هو أن يحطم من فيه إلى أن يبلغ أقصاه..

ورفع الرأس والتعالي بالوجه يظهر فاعل ذلك في صورة من يريد أن يرى وأن يصل إلى من هو أبعد من الذين هم أمامه.. وهذا يعطي نفس المعنى أيضاً.

المبارزة، والمنازلة و..:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن على أصحابه أن يوطنوا أنفسهم ويتهيأوا لاستعمال مختلف الفنون القتالية، مثل: المبارزة والمجاولة، والمنازلة، والمناضلة، والمعانقة، والمكادمة، والمبالدة، والمبالطة..

وهذا درس مهم، لا بد من الإستفادة منه في الفترات التدريبية، وفي إعداد القوى، حيث لا بد من السعي لتعلم وتعليم مختلف الفنون القتالية.

وحسبنا ما ذكرناه هنا.. وننصح القارئ الكريم بمراجعة سائر ما ذكرناه في المواضع الأخرى من هذا الكتاب في شرح كثير من الفقرات المتقدمة.. فإننا لم نذكر ذلك هنا اكتفاءً بما ذكرناه في تلك المواضع.

الفصل

الحرب عبادة..

من أدعية علي × في الحرب:

قالوا:

وكان علي يركب بغلاً له يستلذه، فلما حضرت الحرب قال: ائتوني بفرس.

[فأتوه بفرس] له ذنوب أدهم، يقاد بشطنين يبحث الأرض بيديه جميعاً، له حمحمة وصهيل، فركبه وقال: **(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)**[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم، قال: كان علي إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول: الحمد لله على نعمه علينا، وفضله العظيم، **(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)**[2].

---

(1) الآية 13 من سورة الزخرف.

(2) الآيتان 13 و 14 من سورة الزخرف.

ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى الله ثم يقول: اللهم إليك نقلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار.

[زاد في رواية سلام بن سويد قوله: نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا].

(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)[1].

سيروا على بركة الله.

[في رواية سلام بن سويد: ثم يحمل، فيورد ـ والله ـ من اتبعه [ومن حاده] حياض الموت].

ثم يقول:

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر. يا الله، يا أحد يا صمد، يا رب محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

([الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ]. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). اللهم كف عنا بأس الظالمين.

فكان هذا شعاره بصفين[2].

---

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

(2) صفين للمنقري ص230 وراجع رواية سلام بن سويد ص231 ومستدرك الوسائل ج11 ص105 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1

روى نصر، عن الأبيض بن الأغر، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: ما كان علي في قتال قط إلا نادى: كهيعص(1).

وروى نصر، عن قيس بن الربيع، عن عبد الواحد بن حسان العجلي، عمن حدثه عن علي «عليه السلام»: أنه سُمِع يقول يوم صفين: اللهم إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدى [ونقلت الأقدام]، ودعت الألسن، وأفضت القلوب، وتُحُوكِم إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفاتحين.

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وقلة عددنا، وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا، وشدة الزمان، وظهور الفتن.

أعنا عليهم بفتح تعجله، ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره(2).

ص56 و 57 ونهج السعادة ج2 ص192 - 194 وج6 ص310 و 311.

(1) صفين للمنقري ص231 وبحار الأنوار ج32 ص461 وج97 ص36 ومستدرك الوسائل ج11 ص105 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص57 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص176.

(2) صفين للمنقري ص231 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص461 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص176 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص57 ونهج السعادة ج6 ص319 و 320.

الدعاء عند الزحف وفي ليلة الهرير:

وقالوا:

كان يوم الخميس أشد أيام صفين، وهو يوم الهرير.

قال الطبري: عن زيد بن وهب ازدلف الناس يوم الأربعاء، فاقتتلوا كأشد القتال يومهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة، وكثرت القتلى بينهم، وتحاجزوا عند الليل. وكل غير غالب، فأصبحوا من الغد، فصلى بهم علي غداة الخميس، فغلس بالصلاة أشد التغليس(1).

وقال المنقري:

عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه قال: لما كان غداة الخميس [لسبع خلوان من صفر من سنة سبع وثلاثين] صلى علي فغلس بالغداة، ما رأيت علياً غلس بالغداة أشد من تغليسه يومئذ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم، فإذا رأوه وقد زحف استقبلوه بزحوفهم(2).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص15 و (ط الأعلمي) ج4 ص10.

(2) صفين للمنقري ص232 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص14 و (ط الأعلمي) ج4 ص10 والكامل في التاريخ ج2 ص372 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص55 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5

قال نصر: فحدثني [عمر بن سعد، عن] مالك بن أعين، عن زيد بن وهب: أن علياً خرج إليهم فاستقبلوه [في الطبري: خرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم]، فقال:

«اللهم رب [هذا] السقف [المرفوع] المحفوظ [المكفوف]، الذى جعلته مغيضا لليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر، ومنازل الكواكب والنجوم، وجعلت سكانه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة.

ورب هذه الأرض التى جعلتها قراراً للأنام، والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى من خلقك العظيم.

ورب الفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس.

ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض.

ورب البحر المسجور [المحيط] بالعالمين [بالعالم].

ورب الجبال الرواسى التى جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغى، وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا [فارزقني] الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة».

قال: فلما رأوه وقد أقبل خرجوا إليه بزحوفهم، وكان على ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وعلى ميسرته عبد الله بن

ص177 وبحار الأنوار ج32 ص461 ونهج السعادة ج2 ص195.

العباس وقراء العراق مع ثلاثة نفر: مع عمار بن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبد الله بن بديل.

والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلي في القلب في أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وعظم من معه من [أهل] المدينة الأنصار، ومعه من خزاعة عدد حسن، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة(1).

وقال السيد ابن طاووس: في دعائه عند ابتداء القتال يوم صفين لما زحفوا باللواء:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم إياك نعبد وإياك نستعين. يا الله، يا رحمان. يا رحيم، يا أحد، يا صمد، يا إله محمد. إليك

---

(1) صفين للمنقري ص232 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص177 و 178 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص14 و (ط الأعلمي) ج4 ص10 وبحار الأنوار ج32 ص461 و 462 وج91 ص241 وج97 ص37 والمصباح للكفعمي ص403 و (ط الأعلمي سنة 1403هـ) ص302 عن الإمام الصادق «عليه السلام»، ومهج الدعوات ص133 وراجع نهج البلاغة الخطبة رقم 171 والبداية والنهاية ج7 ص263 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص291 و 292 ومستدرك الوسائل ج11 ص106 و 107 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص55 و 56 ونهج السعادة ج2 ص195 - 197.

نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، وشخصت الأبصار، ومدت الأعناق، وطلبت الحوائج، ورفعت الأيدي. اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

ثم قال: لا إله إلا الله والله أكبر ـ ثلاثاً ـ(1).

ونقول:

إيضاحات لما سبق:

ذنوب: فرس ذَنوب ـ بفتح الذال. أي وافر الذنب.

الشَّطَن: الحبل الطويل، يستقى به، وتربط به الدابة.

الهرير: صوت الكلب دون النباح.

ازدلف: تقدم وتقرب.

الغلس: ظلمة آخر الليل.

المغيض: الموضع الذي يغور فيه الشيء ويذهب.

السبط: القوم والجماعة، والقبيلة.

---

(1) مهج الدعوات ص127 وراجع صفين للمنقري ص477 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص211 وينابيع المودة ج2 ص11 وزاد فيه: «اللهم إنَّا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا».. قبل قوله «عليه السلام»: اللهم افتح. وراجع: كتاب سليم بن قيس ج2 ص902 ونهج السعادة ج6 ص309.

الهوام: جمع هامة، وهي ما له سم، كالحية والعقرب، وقد يطلق على ما لا يقتل من الحشرات، كالقمل ونحوه. والدابة.

الفلك: بضم الفاء، السفينة. يذكر ويؤنث.

البحر المسجور: الموقد. أو المليء، وهو المحيط. والساكن.

أظهرتنا عليهم: أي جعلتنا نغلبهم.

أفضت القلوب إلى الله: انكشفت له، أو انتهت إليه.

إليك نقلت الأقدام:

إن أجواء الحرب والقتال تفرض التهيؤ والإعداد والإستعداد لها، الأمر الذي يترافق عادة مع شعور بامتلاك قدر من القوة بمقدار ما رصده لها من عدة وعدد، ويتجلى ذلك في تحسس مكامن القوة الجسدية لديه، ثم في إتقان الفنون القتالية المختلفة، وفي الخطط التي يحتاج إليها المقاتلون أفراداً وجماعات، وما يحسنونه من تدبير للمصائد والمكائد. وما قاموا به من رصد لقدرات وتحركات العدو وما إلى ذلك.

فإذا شعر القائد أو المقاتل أنه يفقد شيئاً من العناصر التي يحتاج إليها، فإنه سيحاول الحصول على هذا الذي يفقده، فيطلبه من حليفه، فإن لم يجده عنده وتقطعت به السبل لجأ إلى الله مع كثير من التردد والشك في أن يلبي الله تعالى طلبه.. ثم تتلاشى علاقته به تعالى في زحمة الأحداث حتى لا يكاد يفطن له تعالى إلا في اللحظات التي يفقد

فيها كل شيء. وحيث لا بد من الندم على ما فرط في جنب الله، ولات ساعة مندم.

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» يعكس هذه المعادلة. ويقول:

أولاً: إن هذه القوة إن فقدت الصلة بالله سبحانه، فربما كانت عبئاً ووبالاً، وسبب هزيمة، أو تكون هذه القوة بمثابة سكين بيد طفل أو مجنون يجرح بها نفسه قبل أن يصيب بها غيره صدفة، وإنه «عليه السلام» يقول: إن القوة الحقيقية بالله ومنه سبحانه.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن جل همّ أمير المؤمنين «عليه السلام» في أدعيته في الحرب هو بيان هذا المعنى، وتكريس مفهوم التسخير الإلهي لهذه الوسائل والآلات وترويض جموحها، وضبط حركتها في نطاق الخطة الإلهية. ولذلك يقول: **(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)**(1)

ويقول حين مسيره للحرب: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».. وغير ذلك.

ثانياً: إنه «عليه السلام» لا يجعل الهدف من الجهد الحربي، ومن أي جهد آخر هو جلب منفعة للإنسان، أو دفع مضرة عنه. بل الغاية هي الوصول إلى الله سبحانه. ولأجل ذلك نجده يقول: «اللهم

---

(1) الآية 13 من سورة الزخرف.

إليك نقلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار».

ويقول: **(وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)**(1).

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قبل الحرب، وفي لحظة المسير إليها لا ينسب حركته وجهده، وحتى النصر لو حصل عليه إلى نفسه، ولا إلى تأثير شيء من هذه القدرات التي لديه، بل ينسبه إلى الله تعالى وحده لا شريك له..

فهو حين بدئه بالمسير بعد حمده الله تعالى، والإستعانة به، يقول: «اللهم كف عنا بأس الظالمين..».

كما أنه «عليه السلام» ما كان في قتال قط إلا نادى: **(كهيعص..)**(2).

ما معنى هذا النداء؟!:

ولنا هنا سؤال عن سر اختياره «عليه السلام» لهذا النداء بالذات؟!

ونجيب بما يلي:

1 - إن النداء بقوله تعالى: **(كهيعص..)** يشير إلى أمر دقيق،

---

(1) الآية 14 من سورة الزخرف.

(2) الآية 1 من سورة مريم.

وهو: أن هذه الكلمة هي فيما يبدو التي توسل بها زكريا «عليه السلام» إلى الله توطئة لطلب حاجة هي في غاية الأهمية بالنسبة إليه، فقد قال تعالى بعدها: (**..ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**)(1).

2 ـ قد ذكرنا آنفاً: أن الناس حين يواجهون الحرب، يستعدون لها، ويجمعون لها الرجال، والسلاح، والمال، إلى آخر ما ذكرناه.. وبمقدار ما يحصلون عليه من قدرات يتبلور لديهم شعور بالإكتفاء والرضا والطمأنينة والسكون.. وقد يشعرون بالعجز عن تأمين جزءٍ من القوة اللازمة لهم، فيبحثون عنه عبر التحالفات، واستدراج الخبرات، ووضع الخطط، وابتكار وسائل تعويض النقص، وغير ذلك.. فإن بقي لديهم شعور ما بالحاجة إلى شيء، ولم يجدوا الوسيلة إليه، فقد يخطر على بالهم الإستعانة بالله سبحانه، وطلبه منه بالدعاء، والإبتهال، مع ضعف يقينهم بالحصول على ما يريدون عن هذا الطريق.

---

(1) الآيات 2 ـ 7 من سورة مريم.

واللحظة الوحيدة التي يفطنون فيها إلى الله، هي حين يقعون في المأزق، ويواجهون الخطر الكبير، فحينئذٍ تحل بهم الندامة القاتلة، ولات ساعة مندم.

3 ـ قلنا: إن علياً «عليه السلام» يسير في تقييمه لهذا الأمر في اتجاه آخر، فهو يرى أن كل هذه العدة وذلك العدد، وغيرهما من مظاهر القوة ليس هو الأساس في تحقيق الهدف النهائي.. بل ربما كانت هذه الكثرات والأحجام والقدرات من موجبات الفشل والسقوط والضياع.. إذا كانت تجعل الإنسان يخلد إلى الأرض، وينقلب على عقبيه.

4 ـ وها هو «عليه السلام» ينادي في كل قتال: (**كهيعص..**).

والقتال الذي جرى في صفين وحدها أسفر عن قتلى يتجاوزون العشرات والمئات إلى عشرات الآلاف، فما بالك بما سواها.. وما بالك بما كان من حروب في زمان رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

و (**كهيعص..**) هو الذكر الذي كان زكريا يدعو ربه به، ويستفيد من أسراره حين كان يواجه الخطر الكبير حين خاف الموالي من ورائه، واحتاج إلى الولي الذي يرثه ويرث آل يعقوب، وهو يرى نفسه لا يملك أية طاقة أو قدرة يستعين بها على الوصول إلى مراده.. ويعيش معنى الفاقدية والعدم بأعمق معانيها وتجلياتها.. فهو في حين كان شيخاً يشعر بعمق بمدى ضعفه، ووهن قوته، بل هو الآن يشعر

بتلاشيها وفقدانها.. وقد **(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)**.

وفي حين كانت لديه امرأة قد تجاوزت السن الذي تكون فيه على درجة من النشاط والحيوية، ويراودها فيه الأمل بالحمل والولادة، وبلغت سن اليأس، وأصبحت عاقراً، تفقد فيه أي أمل بالإنجاب.. فإنه «عليه السلام» يطلب من الله الولد..

5 - ومعنى ذلك: أنه «عليه السلام» لا يطلب منه تعالى أن يزيل المانع من الإنجاب مع توفر المقتضي له.. لأن المقتضي مفقود من أساسه، سواء في ناحيته، فقد كبر سنه ووهن عظمه.. أو في ناحية زوجته العاقر التي فقدت القابلية لذلك بصورة نهائية.

بل هو يطلب من الله أن يبتدئه بالفيض، وان يهبه ولداً على سبيل الكرامة والإعجاز..

6 - وهذا هو حال أمير المؤمنين «عليه السلام» في حروبه كلها، فإنه يرى أن كل ما معه من عتاد ومن رجال، ومن خبرات وقدرات هباء لا قيمة ولا وزن ولا يفيد شيئاً من دون الله سبحانه.. ولذلك انبرى «عليه السلام» ليطلب من الله أن يفيض النصر عليه من العدم، وأن يهبه الله تعالى إياه على سبيل العطية، ويصنعه له كما صنع المعجزة تماماً كما كان الحال بالنسبة لزكريا إذ نادى ربه, فرزقه الولد، بالرغم من أنه كان يفقد أسباب ذلك، لوهن عظمه، وكبر سنه، ولأن امرأته كانت عاقراً أيضاً..

7 - إن هذا النداء من علي «عليه السلام» في كل قتال، يشير إلى أن هذا الأمر هو من النقاط المركزية والحساسة جداً في نظرته «عليه السلام» للحرب، ولمسار الأمور فيها.. وهو يمثل مرتكزاً أساسياً في فلسفته، وفي فهمه لها..

النبي ' غائب لا مفقود:

ثم إن علياً «عليه السلام» قد شكى إلى الله تعالى أموراً عديدة:

أولها: غيبة النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم.. لأن وجود النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم نعمة كبرى، ولا ريب في أن وجوده الشريف يوفر على الناس الكثير من المتاعب، ويحل الكثير من المشكلات.

ثانيهما: أن مقام النبوة يسد باب التشكيك في صحة ما يتخذ من قرارات، لأن يقينهم بأن باتصاله بالغيب الإلهي يجعل من أي تشكيك في هذا الأمر في دائرة الكفر، والخروج من الدين..

ثالثاً: إن طاعة الناس له «صلى الله عليه وآله» أيسر وأظهر من طاعتهم لغيره، لأن الله تعالى قد ألزمهم بها صراحة في بقوله: **(قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا**

حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(1).

وحظر عليهم الإعتراض والتمرد عليه، والتقديم بين يديه بشيء..

ولأجل ذلك ورد في دعاء الإفتتاح: اللهم إنَّا نشكو إليك فقد نبينا «صلى الله عليه وآله»، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا الخ..

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يقل هنا: نشكو فقد نبينا، كما هو الحال في دعاء الإفتتاح.. بل عبر بكلمة: غيبة.. ربما لأن هؤلاء كانوا يعرفون أن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس مفقوداً من بينهم، بل هو شاهد وحاضر وناظر، وإن غاب شخصه عنهم. ولكنهم لا يعترفون بذلك لغيره.. فالمراد غيبته «صلى الله عليه وآله» عن البصر، لا فقدانه.

أما الذين يدعون بدعاء الإفتتاح، فإن الأقرب إلى أذهانهم وجود إمام حي شاهد عليهم، ومراقب لأعمالهم، ولا يشعرون بذلك بالنسبة للرسول، إلا بعد البيان والتوضيح لهم.

بين قلة العدد وكثرته:

وقال «عليه السلام» أيضاً: «اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وقلة عددنا، وكثرة عدونا..» فقد يقال: إن قوله «عليه السلام» هذا يدل

---

(1) الآية 54 من سورة النور.

على كثرة جمع معاوية، في مقابل قلة جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»..

إلا إذا قيل: إن مراده «عليه السلام» أن القوى التي تعادي الحق وأهله ليست منحصرة في فريق معاوية، بل إن جميع الكفار على وجه الأرض أيضاً، سواء أكانوا من أهل الكتاب أو من غيرهم، كانوا يعادون الحق وأهله أيضاً.. وهؤلاء إذا أضيفوا إلى فريق معاوية، سيصبحون الكثرة الكاثرة.

أي نصر يطلبه علي ×؟! :

وقد قال «عليه السلام»: «أعنا عليهم بفتح تعجله، ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره..» ليدل «عليه السلام» على أنه لا يطلب النصر ليعود نفعه إليه، وليتخذ منه وسيلة لعزته وتقوية شوكته..

بل يريد النصر ليعز به سلطان الحق، وليظهره على سلطان الباطل، ولا يبالي «عليه السلام» بعد ذلك بما يكون عليه الحال بالنسبة إليه، وما الذي يجري عليه، مات أو عاش، انتصر أو أنكسر، ربح أو خسر، لأن المهم عنده ليس هو نفسه، بل قوة سلطان الحق وغلبته على الباطل..

الجو المكفوف:

لعل المراد بالجو المكفوف الذي اشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه ممنوع من أن ينفذ منه شيء يشكل خطراً على الحياة

على الأرض، أو المراد: أن الجو مكفوف عن السيلان والتلاشي في الفضاء، والتسبب بخطر تعرض الحياة على الأرض للإنكشاف أمام التأثيرات الخطيرة للشمس، ولغيرها مما هو مبثوث في الفضاء من غازات، وغيرها.. وكذلك ما يأتي من قبل سائر الأجرام والمخلوقات من تأثيرات سلبية على طبيعة الأرض في مناخها، وفي بحارها، وفي سائر أوضاعها، وما فيها..

أو المراد: أنه مكفوف عن التلاشي في الفضاء، وهو أمر يسبب أضرراً كبيرة في تلك العوالم، وانطلاقاً من قوله تعالى: **(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا)**(1).

ومختلف للنجوم السيارة:

وقد أشار «عليه السلام» في دعائه إلى النجوم السيارة.. والكلام في هذا الأمر يطول، غير أننا نعيد إلى ذهن القارئ أننا كنا قد ذكرنا فيما سبق ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» في كتاب توحيد المفضل، الذي هو ـ فيما يبدو ـ عبارة عن مجالس مختلفة سمعها ثم جمعها المفضل «رحمه الله»، فقد جاء فيه:

«فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك، ولا تسير إلا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في

(1) الآية 7 من سورة الجن.

البروج، وتفترق في مسيرها. فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين.. أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق، كالنملة التي تدور على الرحى»(1). إلى آخر ما روي عنه «عليه السلام».

مغيض الليل والنهار:

قال العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني «رحمه الله» ـ ما معناه ـ: أنهم قد اكتشفوا حديثاً: أن الجو يمتص من النور، ويمج الباقي إلينا(2).

فلعل حديث أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا عن مغيض الليل والنهار يشير إلى ذلك، لأن مفاده أن الجو يبتلع الظلام المكنى عنه بالليل، والضياء المكنى عنه بالنهار.. لأن المغيض هو المكان الذي يمص الماء ويبتلعه، فشبه الليل والنهار بالضياء والظلام، الذي يتعرض للإمتصاص من قبل الجو.. وهذا من لطائف إشاراته «عليه السلام».

(1) التوحيد للمفضل ص82 و (ط أخرى) ص132 وبحار الأنوار ج3 ص114 وج55 ص98.
(2) الهيئة والإسلام ج1 ص51.

المطلوب بعد النصر:

وقد أشار «عليه السلام» إلى أمر يغفل عنه الكثيرون، هو فترة ما بعد الحرب فدعا الله تعالى بدعاء طويل انتهى فيه إلى طلب يتعلق بتحديد المسار بعد الحرب التي تنتهي إلى أحد أمرين لا ثالث لهما.. إما الإنتصار، أو الإنكسار.

فقال «عليه السلام»: «إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، وسددنا للحق. وإن أظهرتهم علينا، فارزقني [فارزقنا] الشهادة. واعصم بقية أصحابي من الفتنة».

ويستوقفنا هنا ما طلبه «عليه السلام» من الله تعالى في كلا الحالتين..

فقد طلب في صورة النصر على العدو:

أولاً: أن يجنبه الله البغي.. وهذا الطلب كما هو لصالح المنتصر هو في الحقيقة لصالح عدوه أيضاً، فإنه «عليه السلام» يريد أن يحفظ له حقه حتى وهو مغلوب، فإن الإنتصار عليه لا يوجب تضييع حقوقه.

والبغي: هو الإفراط والزيادة على الحد الذي ينبغي أن يكون عليه الشيء، واستعمل في معنى الظلم، لأنه يحمل مبدأه ومعناه، فالظلم من منطبقات ومصاديق البغي.. ولكن البغي أعم منه، لأنه قد يتم تجاوز الحد، ولكنه لا يصل إلى حد كونه ظلماً، أو حين لا يكون

من موارده، فيقال مثلاً: بغت السماء إذا اشتد مطرها.

فأمير المؤمنين «عليه السلام» يطلب من الله تعالى أن يجنبه البغي بجميع مراتبه.. وأول ما يسبق إلى الذهن هو البغي على العدو الذي هزم في الحرب، حيث قد يحاول بعض من نالتهم بأسوائها الإنتقام لما أصابه..

ولكن كلامه «عليه السلام» مطلق يفيد طلب الإبتعاد عن البغي على جميع الناس، بما فيهم أصحابه وجماعته «عليه السلام».. ولعل السبب في هذا التصميم: أن النصر نفسه قد يترك آثاراً سلبية على نفس من ينسب النصر إليه، فيشعر بمزيد من الإعتداد بالنفس، والرضا عن كل ما يقول ويفعل، ولا يرضى بتوجيه النقد إليه، ولا يتحمل تخطئة أحد له، وقد تسول له نفسه الإصرار إلى حد الإمعان في الخطأ الذي يؤخذ عليه.

وربما ساقته هذه النشوة الروحية إلى التعامل مع الأمور بسذاجة ولا مبالاة، ومن غير روية أو تدقيق، فيقع فيما لا يتوقع من مثله أن يقع فيه.. بل قد تنعكس هذه الروح على جميع الذين شاركوا في الحرب التي نصرهم الله تعالى فيها.. فيصبح البغي والخروج عن الحدود المقبولة، والمعقولة هو الصفة الطاغية على تصرفاتهم وحالاتهم. وهذه هي الكارثة حقاً، والداء العضال الذي لا يمكن السكوت عنه، ولا القبول به.

وحالة البغي وإن كانت مما لا يمكن تصوره في أمير المؤمنين

«عليه السلام»، لأنه الرجل المطهر والمعصوم بنص آية التطهير، ولأنه مع الحق ومع القرآن، والحق والقرآن معه، كما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكنه يريد أن يضع القاعدة لمن معه، ولمن يأتي بعده، لتكون نبراس هداية، وسبيل نجاة. ولأنه يتعامل مع نفسه كما يتعامل سائر الناس مع أنفسهم، لأنه يرى أن العصمة توفيق إلهي، وهو يطلب من الله تعالى أن يمده بهذا التوفيق باستمرار.

وعلينا أن لا ننسى أن هذا الطلب الذي يرفعه «عليه السلام» إلى ربه قبل أن تبدأ الحرب، لا بد أن يعطي أولياءه وأعداءه «عليه السلام» النموذج عن المسار الذي يسير فيه «عليه السلام»، وعن القيم التي تفرض نفسها على حركته في سلمه وحربه..

كما أنه يدل على أنه لا يمارس الحرب إلا لأنها ضرورة، كما أنه لا مجال لأن يلجأ إلى شفاء الغيظ، والإنتقام لأنه ضعف، وخروج عن حظ السلامة والإستقامة.

وكفى بهذا واعظاً وسبيل هداية لأعدائه وأوليائه..

ثانياً: طلب «عليه السلام» من الله التسديد له ولمن معه للحق حين ينتصرهم على أعدائهم، والمراد بالتسديد، التوفيق، والإرشاد إلى السداد. الذي هو الصواب في القول والعمل..

وذلك لأن نشوة النصر تجعل الإنسان يعيش الغفلة عن التدقيق في موافقة أعماله لميزان الحق والعدل.. لا سيما وأن الإنسان لا يتهم نفسه عادة بمجانبة الحق، بل هو يرى نفسه محقاً

في جميع ما يقدم عليه، كما أن من أسهل الأمور على الشخص أن يجد لنفسه الأعذار الكثيرة عن أي خطأ يصدر منه، أو اختلال ظاهر وصريح يتسبب به. فإن لم يتمكن من ذلك حاول تهوين الأمر، والتخفيف من شأنه ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

فتوقع الخطأ من الحاكم العادل يهيء الفرصة للمراقبة الذاتية، وكما أن الإعلان به يجرئ الناس، ولا سيما الضعفاء على المطالبة بتصحيحه، وبالتراجع عنه.

ولعل هذا كان من أسباب جهره «عليه السلام» بهذا الأمر في هذا الدعاء، يضاف إلى ذلك: أنه أراد أن لا يستهين الناس بالحق، استناداً إلى أن ما تحقق من نصر يبرر لهم كل ما يرتكبونه من خطأ، أو عدوان، أو عمل بالهوى، في حين أن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، فإن صنع الله تعالى النصر لعباده يحتم عليهم شكره، ومراعاة الحدود التي رسمها لهم. لا التخلف عنها، ولا التعدي عليها..

ثم إنه «عليه السلام» في صورة غلبة الأعداء على أهل الحق، لأي سبب كان.. طلب من الله تعالى أمرين أيضاً:

أولهما: أن يرزقه الله الشهادة، حيث قال «عليه السلام»: «فارزقني الشهادة»، وفي بعض المصادر: «فارزقنا..».

ولعله «عليه السلام» يرى أن بقاءه حياً مع ظهور الأعداء أمر غير متوقع في ظل تلك الظروف، ولا تسمح خطط الأعداء وأحقادهم بإبقائه على قيد الحياة، ولو اتفق حصوله، فسيكون مصحوباً بمتاعب

ومصاعب لا تطاق، من دون أن يكون هناك جدوى عملية، أو أي دور حيوي لوجود الإمام «عليه السلام»، حيث سيحاصره العدو، ويمنع من تأثيره في الواقع العملي العام ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

ولذلك كان الإمام الرضا «عليه السلام» بعد أن أجبره المأمون على قبول ولاية العهد، يدعو على نفسه بالموت(1).

وربما يتخذ الأعداء بقاءه حياً ذريعة لتشديد الأذى لأهل الحق، والإمعان في إذلالهم وقهرهم، والتماس الذرائع للقضاء على كل نبضات الحياة فيهم. أما استشهاده «عليه السلام» فبالإضافة إلى أنه يتلافى به كل ما ذكرناه، فإنه قد يحمل معه متغيرات تؤثر في انتاج الوعي، والحركة، وإذكاء الطموح للتغيير، والإنتقال إلى ما هو أولى وأفضل..

ثانيهما: طلب «عليه السلام» من الله أن يعصم بقية أصحابه «عليه السلام» من الفتنة. فيلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يدع لبقية أصحابه باستعادة القوة، ولا بالحصول على المال، والعيش الرغيد، كما أنه لم يطلب لهم السلامة والأمن، ولا التغلب على أي من المشكلات التي يواجهها المغلوبون في الحروب عادة، بل طلب أمراً يرتبط بسلامة البنية الإعتقادية والفكرية لهم، فقط، ولا غير!! ولم

---

(1) فلا يقاس هذا على ما جرى على المسلمين في أُحد في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله».

يضف إلى ذلك طلب أي شيء آخر..

فدلنا ذلك: على أنه «عليه السلام» يريد أن يفهمنا أن الأولى والأهم هو سلامة الإعتقاد، وكل ما عداه يهون دونه، ويصغر أمامه..

الباب الرابع:

إلى ما بعد شهر رمضان..

الفصل الأول: أطع أباك..

الفصل الثاني: مبارزات.. وقتال.. وهدنة..

الفصل الثالث: هدنة بعدها قتال..

الفصل الرابع: دلالات غيبية في ساحة المعركة..

الفصل الأول:

أطع أباك..

ابن العاص يهدد ولده!!:

قال ابن أعثم:

دعا عمرو بن العاص بابنه عبد الله، فقال: يا عبد الله! خذ هذه الراية وتقدم بين يدي!

فقال عبد الله: ما أفعل، فإنك تقدمني إلى حرب رجل ما كان كفر بالله ساعة قط.

قال: فغضب عمرو ثم قال: والله لتأخذنها، أو لأضربن بهذا السيف قرطفك.

فقال عبد الله: والله لولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لي: أطع أباك يا أبا عبد الله(1)، لما أطعتك في هذا الأمر أبداً.

قال: ثم أخذ عبد الله الراية بيده وتقدم بين يدي أبيه حتى وقف أمام أصحابه، وأنشأ عمرو يقول:

---

(1) كذا في المصدر.. إلا أن يكون عبد الله أراد توقير أبيه، فخاطبه بكنيته.

ولو شهدت جمل مقامي وموقفي بصفين يوماً شاب منها الذوائب

غداة ترى أهل العراق كأنهم من البحر موج لجه متراكب(1)

ثم ذكر ابن أعثم بقية الأبيات التي سنذكرها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

ونقول:

هذه الأبيات لمن؟!:

إن هذه الأبيات قد نسبها ابن أعثم إلى عمرو بن العاص، ولكن ابن مزاحم نسبها إلى ابنه محمد بن عمرو بن العاص، وذكر الأبيات التي رد بها عليه محمد بن الحنفية «رحمه الله».

ولعل رواية المنقري أقرب إلى الإعتبار، فإننا لا نرى تناسباً بين مضمون الأبيات وبين ما جرى بين عبد الله بن عمرو بن العاص وبين أبيه، وستأتي الأبيات بتمامها في موضعها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى..

وهناك اختلافات يسيرة في بعض الكلمات فيها وفي التقديم والتأخير، بين روايتي المنقري، وابن أعثم.. وقد أضربنا عن ذكر

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص34 و 35 و (ط دار الأضواء) ج3 ص26 و 27 وذكر المنقري الأبيات في كتاب صفين ص370 و 371.

ذلك لأننا نشعر أنه لا ضرورة لذلك..

أطع أباك:

بالنسبة لما ادعاه عبد الله بن عمرو على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

أولاً: لسنا بحاجة إلى بيان أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(1). فهل لو أمر عمرو بن العاص ابنه عبد الله بأن يشرب

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص41 ودعائم الإسلام ج1 ص350 والأمالي للصدوق ص452 والخصال للصدوق ص139 و 567 و 608 وعيون أخبار الرضا ج1 ص132 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص621 وج4 ص381 وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص109 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج11 ص157 وج15 ص174 وج16 ص154 و 155 وج27 ص130 و (الإسلامية) ج8 ص111 وج11 ص134 و 422 و 324 وج18 ص93 ومستدرك الوسائل ج12 ص209 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص186 وشرح الأخبار ج1 ص146 والأمالي للمرتضى ج1 ص110 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص420 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص228 وعيون الحكم والمواعظ ص542 وغوالي اللآلي ج1 ص444 ومدينة المعاجز ج4 ص53 وبحار الأنوار ج10 ص227 و 356 وج43 ص297 وج71 ص5 و 85 و 337 وج89 ص179 وراجع: مسند أحمد ج1 ص131 و 409 وج5 ص66 ومجمع الزوائد ج5 ص226 وج9 ص177 و 186 وعمدة القاري ج7 ص282 وج14 ص221 والمصنف للصنعاني ج2 ص383 والمصنف لابن أبي

السم، أو بأن يطأ أو يقتل أمه أو أخته أو بنته أو ولده، أو أمره باللواط، أو أمره بقتل النبي «صلى الله عليه وآله» أو الحسن أو الحسين «عليهما السلام»، أو السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»، أو قال له: اهدم الكعبة، أو احرق القرآن، أو اكفر بالله، أو اعبد الأصنام.. أو.. أو.. فهل يطيعه في ذلك كله؟!

وهل يمكن أن يأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بطاعة أبيه حين يأمره بقتل الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وبقتل علي بن أبي طالب وسبعين ألفاً من أهل القبلة..

ثانياً: إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر عبد الله بطاعة أبيه، فلماذا عصاه في هذا المورد بالذات، حين قال له أبوه: خذ الراية، وتقدم بين يدي؟!

فقال له عبد الله: «لا أفعل، إنك تقدمني إلى حرب رجل ما كفر بالله ساعة قط»!!

شيبة ج7 ص737 وبغية الباحث ص190 والمعجم الأوسط ج4 ص181 و 182 و 321 وج18 ص165 و 170 و 177 و 185 و 229 وسؤالات حمزة للدارقطني ص76 ومسند الشهاب ج2 ص55 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص890 والتمهيد لابن عبد البر ج8 ص58 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص112 وج16 ص158 وج18 ص389 والجامع الصغير للسيوطي ج2 ص749 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج3 ص216 وج5 ص861 وج6 ص67 و 76.

ثالثاً: ذكرت بعض الروايات: أنه حين استشهد عمار بن ياسر، وأعلن عبد الله بن عمرو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «تقتله الفئة الباغية».

قال له معاوية: «ألا تغني عنا مجونك يا ابن عمر؟! فما بالك معنا»؟!

قال: إني معكم ولست أقاتل. إن أبي شكاني إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: أطع أباك ما دام حياً(1).

وهو كلام غير خال من التصرف والتحريف، وذلك لما يلي:

ألف: إننا لا نصدق بأن عبد الله بن عمرو لم يقاتل في صفين، فقد كان على الميمنة، ومن كان قائداً بهذا الحجم وفي هذا الموقع هل يعقل

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص35 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص153 وبحار الأنوار ج33 ص12 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص33 و 34 و 35 و 63 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص723 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص253 وتاريخ مدينة دمشق ج31 ص272 وج43 ص424 وتهذيب الكمال ج7 ص437 و 438 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص166 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج6 ص240 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص40 و 41 وراجع: مسند أحمد ج2 ص206 و 164 ومجمع الزوائد ج7 ص244 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص344 وينابيع المودة ج1 ص386.

أن يكون معتزلاً للقتال؟!([1]).

ب: إنه كان يحرِّض الناس على القتال([2]). فكيف يحرضهم ولا يشاركهم؟! ولماذا لا يعترضون عليه في ذلك؟!

ج: روي أنه قال: ما لي ولصفين؟! ما لي ولقتال المسلمين؟! والله لوددت أني مت قبل هذا بعشر سنين([3]).

ولعله قال ذلك: لأنه سقط من أعين أهل الفضل والخير بسبب مشاركته في قتال سيد الأوصياء، أو قاله في وقت لا ينفع الندم، كحال العديد من الطواغيت حال الإحتضار والموت. وكان معاوية يقول:

---

(1) صفين للمنقري 206 وتاريخ خليفة بن خياط ص147 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص27 وتاريخ مدينة دمشق ج11 ص380 وراجع: الأخبار الطوال ص172.

(2) صفين للمنقري ص334 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص18 وبحار الأنوار ج33 ص28 وكتاب الأربعين للشيرازي ص596 والغدير ج2 ص145 والدرجات الرفيعة ص273.

(3) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص958 وأسد الغابة ج3 ص234 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص208 والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص266 وج7 ص495 وتاريخ مدينة دمشق ج31 ص278 وسير أعلام النبلاء للذهبي ج3 ص92 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص166 والوافي بالوفيات ج17 ص207.

ويلي منك يا حجر[1]. وعن ابن سيرين: أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت و يقول: يومي منك يا حجر طويل[2].

د: إن عداوته لعلي «عليه السلام» وأولاده تشبه عداوة يزيد، فقد رووا: أنه قد وافق يزيد في الرأي بأن يكتب معاوية للإمام الحسين «عليه السلام» جواباً تصغر به نفسه[3].

وهذا يدل على أنه كان بعد صفين سادراً في غيه، ممالئاً لأعداء أهل البيت «عليهم السلام»، معيناً لهم في عملهم على إلحاق الأذى بسيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومن كان كذلك، هل يتورع عن المشاركة في القتال؟!

مما جرى في صفين:

روى نصر بن مزاحم: عن عمر قال: عبد الرحمن بن يزيد بن

---

(1) راجع: حياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج2 ص236 عن الفتنة الكبرى ج2 ص245.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص191 والدرجات الرفيعة ص429 والكامل في التاريخ ج3 ص488 وتاريخ الكوفة ص320 والنصائح الكافية لابن عقيل ص85.

(3) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص50 - 52 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص252 - 259 ح 99 وبحار الأنوار ج44 ص212 - 214 والدرجات الرفيعة ص436.

جابر، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية: أن معاوية بعث على ميمنته ذا الكلاع، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى، وعلى مقدمته من يوم أقبل من دمشق أبا الأعور السلمى، وكان على خيل أهل دمشق، وعمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، و [جعل] مسلم بن عقبة المري على رجالة أهل دمشق، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم.

وبايع رجال من أهل الشام على الموت، فعقلوا أنفسهم بالعمائم، فكانوا خمسة صفوف معقلين، وكانوا يخرجون فيصطفون أحد عشر صفاً ويخرج أهل العراق فيصطفون أحد عشر صفاً.

فخرجوا أول يوم من صفر (من سنة سبع وثلاثين)، وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا، وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا قتالاً شديداً جل النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض(1).

ثم خرج (في اليوم الثاني) هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي، فاقتتلوا

---

(1) صفين للمنقري ص213 و 214 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص12 و (ط الأعلمي) ج4 ص7 والكامل في التاريخ ج2 ص371 و (ط دار صادر) ج3 ص294 وراجع: مروج الذهب ج2 ص387 وتاريخ مدينة دمشق ج58 ص103 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص29 و 30.

يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض(1). وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير(2).

وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتل الناس كأشد القتال، وجعل عمار يقول:

«يا أهل الإسلام، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله أتى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب؟!

وقبض الله رسوله «صلى الله عليه وآله»، وإنَّا والله لنعرفه بعداوة المسلم، ومودة المجرم؟! ألا وإنه معاوية(3)، فالعنوه «لعنه الله»، وقاتلوه فإنه ممن يطفئ نور الله، ويظاهر أعداء الله».

وكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل، فأمره أن يحمل في

(1) صفين للمنقري ص214 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص12 و (ط الأعلمي) ج4 ص7 والكامل في التاريخ ج2 ص371 و (ط دار صادر) ج3 ص294 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص432 و 458 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص213 وج4 ص30.

(2) مروج الذهب ج2 ص387.

(3) أي أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعادي المجرمين، ومنهم معاوية، فالعنوه.

الخيل، فحمل وصبروا له، وشد عمار في الرجالة، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه(1).

وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاً له [لأمه] من بنى عامر، يقال له: معاوية بن عمرو العقيلي ـ وكانت أمهما هند امرأة من بنى زبيد ـ فلما التقيا تساءلا وتواقفا، ثم انصرف كل واحد منها عن صاحبه، ورجع الناس يومهم ذاك.

راية عمرو بن العاص:

روى نصر، عن أبي عبد الرحمن المسعودي، حدثنى يونس بن الأرقم بن عوف، عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنا مع علي بصفين، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح، فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً، فقال: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟! إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة، فقال: «من يأخذها بما فيها»؟!

فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟!

---

(1) صفين للمنقري 214 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص12 و (ط الأعلمي) ج4 ص7 و 8 والكامل في التاريخ ج2 ص371 و (ط دار صادر) ج3 ص295 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص30 وراجع: مروج الذهب ج2 ص388 وبحار الأنوار ج32 ص458.

قال: «فيها أن لا تقاتل به مسلماً، ولا تفر به من كافر». فأخذها، فقد والله فرَّ به من المشركين، وقاتل به اليوم المسلمين:

والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عدواتهم منا، إلا أنهم لم يدعوا الصلاة(1).

قال نصر: أخبرني عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبى ثابت قال: لما كان قتال صفين قال رجل لعمار: يا أبا اليقظان، ألم يقل رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا عصموا منى دماءهم وأموالهم»؟!

قال: بلى، ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً(2).

روى نصر، عن عبد العزيز، عن حبيب بن أبي ثابت قال:

---

(1) صفين للمنقري 214 و 215 والغدير ج2 ص129 وشرح الأخبار ج2 ص531 عنه، والأخبار الطوال ص174 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص325 وج33 ص186 ونهج السعادة ج2 ص148 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص31.

(2) صفين للمنقري ص215 وشرح الأخبار ج2 ص532 وكتاب الأربعين للشيرازي ص629 وبحار الأنوار ج32 ص325 وج33 ص186 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص31.

حدثني منذر الثوري قال: قال محمد بن الحنفية: لما أتاهم [رسول] الله من أعلى الوادي ومن أسفله، وملأ الأودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعواناً(1).

وفي اليوم السادس خرج قيس بن سعد الأنصاري، وابن ذي الكلاع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفا(2).

لكن المسعودي ذكر: أن الذي خرج من قبل علي «عليه السلام» في اليوم السادس هو سعيد بن قيس الهمداني، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع، وأسفرت الحرب في آخر النهار عن قتلى(3).

وفي اليوم السابع خرج الأشتر في النخع، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة، فكانت الحرب بينهما سجالاً، فأسفرت الحرب آخر النهار عن قتلى والجراح في أهل الشام أعم(4).

---

(1) صفين للمنقري ص216 وكتاب الأربعين للشيرازي ص629 وبحار الأنوار ج32 ص326 وج33 ص186 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص31 و 32 والدرجات الرفيعة ص268 و 269.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص13 و (ط الأعلمي) ج4 ص9 والكامل في التاريخ ج2 ص372 و (ط دار صادر) ج3 ص295 وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص291 وأنساب الأشراف ص305.

(3) مروج الذهب ج2 ص389 وراجع: وأنساب الأشراف ص305.

(4) مروج الذهب ج2 ص389 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص13 و (ط

ونقول:

يبايع على الموت ويربط نفسه:

وقد لفت نظرنا: ما ذكره النص المتقدم، من أن أصحاب معاوية بايعوا على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم..

ونلاحظ هنا:

أولاً: إنهم إن كانوا قد بايعوا معاوية على الموت، فلا بد أن يكونوا قد أعطوا معاوية أرواحهم مقابل شيء يضمنه لهم عند الله، وسؤالنا هو: ما الذي ضمنه لهم معاوية مقابل بذل أرواحهم؟! هل ضمن لهم الجنة؟! وهل مفاتيح الجنة بيده يعطيها من يشاء، ويمنعها عمن يشاء؟! وهل حرب علي «عليه السلام» وقتل هذه الألوف الكثيرة من أهل القبلة يرضي الله سبحانه؟! وهل يرضى العقل، أو الشرع أو الدين بسفك كل هذه الدماء من أجل شخص «أجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»؟! ولم يرض بإنصاف الناس من عماله الذين ظلموهم؟! وهل؟! وهل؟!

ثانياً: إذا كانوا قد وطنوا أنفسهم على الموت، فما معنى تعاقدهم بعمائمهم؟! فهل كانوا يشكون في مطاوعة أنفسهم لهم على اقتحام

الأعلمي) ج4 ص9 والكامل في التاريخ ج2 ص372 و (ط دار صادر) ج3 ص295.

الغمرات؟! أو كانوا يشكون في وفاء بعضهم لبعض؟! وما قيمة موت تكره النفس والناس عليه ويساقون بالإجبار إليه؟!

عداوة معاوية للمسلمين:

وقد صرح عمار في كلماته المتقدمة: بأن معاوية كان معروفاً بعداوته للمسلمين، حتى بعد أن أسلم، كما أنه كان يعرف بمودته للمجرمين.. وعلى هذا، فهو ممن عناهم الله تعالى بقوله: **(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)**(1).

فجعل تعالى التبرؤ من المجرمين الذين يحادون الله ورسوله من دلائل الإيمان بالله واليوم الآخر.. فما بالك بمن يوالي المجرم.. الذي يمقته الله تعالى؟! وكيف إذا انضم إلى ذلك عداوته للمسلمين لأجل إسلامهم؟!

راية عمرو بن العاص:

لقد شرح لنا «عليه السلام» ظروف وملابسات إعطاء الراية التي كان عمرو بن العاص يتبجح بها أمام الناس.

فأوضح «عليه السلام» ما يلي:

1 - إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعقد له هذا اللواء

---

(1) الآية 22 من سورة المجادلة.

ليشرِّفه به، وليكون مجرد حمله له دليل صلاحه وفلاحه، بل ليستدرجه لإعطاء عهد بعينه، ويلزمه بالوفاء به..

2 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد رهن مستقبل عمرو بن العاص بالوفاء بهذا العهد الذي أخذه عليه.

3 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» جعل التعامل مع الراية علامة للناس جميعاً، فإما أن يفتضح بينهم، وإما أن يظهر صلاحه وسؤدده، ولم يجعل مجرد وجود الراية مع هذا الشخص أو ذاك هو المعيار، أي أنه جعل رفعه لها في وجه المسلمين دليلاً على انحراف عمرو، وسقوطه في بؤرة الفساد والضلال، وصيرورته في الهالكين.. كما أن فراره بها من الكافرين من أدلة هذا الضلال والهلاك أيضاً..

4 ـ إنه «عليه السلام» قد أخبر الناس: بأن مهمة هذه الراية قد انتهت قبل يوم صفين، وقد جاء يوم صفين ليؤكد هذه الحقيقة، فقد أدت دورها في كشف حقيقة صاحبها. حين فر بها من الكافرين في السابق، وها هو يقاتل بها المسلمين في اللاحق..

ما أسلموا، ولكن استسلموا:

ثم إن قسم أمير المؤمنين «عليه السلام» على أن معاوية وحزبه ما أسلموا، ولكنهم استسلموا، إلا أنهم لم يدعوا الصلاة يشير إلى أمرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» يتكلم عن أمر يقيني عنده إلى حدّ

أنه يقسم عليه، وهذا يدل على أنه لا يستند فيه إلى الحدس والظن والاجتهاد..

الثاني: إن صلاة هؤلاء الناس لا تعني إسلامهم الحقيقي، لأن الإنسان قد يلتزم بالصلاة لأسباب مختلفة، كالتقية بسبب الخوف من آثار إظهار الكفر، حيث يعرض نفسه إلى المهالك، أو أنه يلتزم بهذه العبادة، وإن لم يكن على يقين من جدواها.. أو لأنه يريد أن يبقى منتسباً إلى هذه الملة، ليتمكن من الاستفادة من الإمتيازات التي يتمتع بها من ينتسب إليها في ظاهر الأمر.. أو لغير ذلك من أسباب..

علي × لا يرضى لولده بمبارزة ابن عمر:

قال نصر: ثم رجع إلى حديث عمرو بن شمر، قال: فلما كان من الغد خرج محمد بن علي بن أبى طالب، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين، فاقتتلوا كأشد القتال.

ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية: أن اخرج إليَّ أبارزك.

قال له: نعم.

ثم خرج إليه يمشي، فبصر به علي، فقال: من هذان المتبارزان؟!

فقيل له: ابن الحنفية، وابن عمر.

فحرك علي دابته، ثم دعا محمداً فوقف له فقال: أمسك دابتي.

فأمسكها له، ثم مشى إليه فقال: أنا أبارزك فهلم إليَّ.

قال: ليس لي في مبارزتك حاجة.

قال: فرجع ابن عمر، وأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: منعتني من مبارزته، فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله.

قال: يا بنى، لو بارزته أنا لقتلته، ولو بارزته أنت لرجوت أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك[1].

ثم قال: يا أبه، أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللئيم عدو الله؟! والله لو أبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه.

فقال: يا بني، [لا تذكر أباه، ولا] تقل فيه إلا خيراً.

يرحم الله أباه.

ثم إن الناس تحاجزوا وتراجعوا[2].

ونقول:

---

(1) صفين للمنقري ص221 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص12 و (ط الأعلمي) ج4 ص8 والأخبار الطوال ص174 والكامل في التاريخ ج2 ص371 و (ط دار صادر) ج3 ص295 والبداية والنهاية ج7 ص262 و (دار إحياء التراث العربي) ج7 ص290.

(2) صفين للمنقري ص221 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص128 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص8 والأخبار الطوال ص174 و 175 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص179 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص360.

لم يصرح لنا علي «عليه السلام» بسبب منعه ولده محمداً من مبارزة ابن عمر، والذي نراه: أنه «عليه السلام» قد أبهم جوابه لابنه حين سأله عن هذا السبب، وأجابه بجواب إسكاتي لا إقناعي، فإن كل متبارزين يحتمل في حقهما أن يقتل كل منهما الآخر.. وقد كان «عليه السلام» يأذن للناس بأن يبارز بعضهم بعضاً، وكان هذا الإحتمال قائماً لدى الجميع، ولم يمنعهم «عليه السلام» من المبارزة بالاستناد إليه..

والذي نحتمله هو: أنه «عليه السلام» لم يكن يريد لولده أن يكون هو الذي يقتل عبيد الله بن عمر، لأنه لا يريد أن يكرس العداوة بين أبنائه، وبين بيت العمري، لأن ذلك سوف يجعل الناس يستحلون دماء بني هاشم، ويسعون لاستئصالهم من الوجود على بكرة أبيهم..

أما إذا برز إليه علي «عليه السلام»، فإن عبيد الله سوف يهرب من وجهه، وكان يكفيه ذلك.. وحين تحين ساعة قتل عبيد الله، فمن الأفضل أن تكون إما على يد علي «عليه السلام» بالذات، فإن الناس قد اعتادوا على هذا الأمر، على أن يتم ذلك بصورة لا تلحق ضرراً بالغاً في مستقبل الأيام، أو على يد غيره من سائر الناس..

وسيأتي: أن عبيد الله قد قتل في تلك الحرب.. وقد قتله شخص آخر، بل إن قتله كان بنحو تكتنفه الكثير من الإبهامات، ولم يؤد قتله إلى أية سلبية مما كان يخشاه علي «عليه السلام».. وسيأتي ذلك إن

شاء الله تعالى..

لا تذكر أباه، ولا تقل فيه إلا خيراً:

وقد صرحت الرواية: بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد نهى ولده محمداً عن أن يذكر عمر بن الخطاب بشيء، وقال له: لا تقل فيه إلا خيراً، ثم قال «عليه السلام»: يرحم الله أباه..

ونقول:

1 ـ قد ذكرنا أكثر من مرة: أنه «عليه السلام» كان يمنع من تناول أبي بكر وعمر بأي كلام جارح، ويطلب من أصحابه أن لا يقولوا فيهما إلا خيراً.. وكان معاوية يبذل المحاولة معه تلو الأخرى، ليقول فيهما ما يمكن أن يتخذه ذريعة لتحريض الناس عليه، فلم يفلح..

ولكنه «عليه السلام» لم يكن يدع فرصة تمر دون التذكير باستيلائهما على الخلافة بغير حق.. لأن هذه حقيقة راهنة يعرفها الخاص والعام، وقد أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» البيعة له يوم الغدير من عشرات الألوف من الصحابة قبيل استشهاده «صلى الله عليه وآله»..

2 ـ أما فيما يرتبط بالترحم على أبي بكر وعمر، فقد تجد في الناس من يشك في صحة الرواية التي تروي ذلك.

غير أننا نقول:

إننا لا نحتاج إلى التشكيك في ذلك، حتى إن وافقنا على الشك في

أن يكون «عليه السلام» لا يستسيغ الترحم عليهما في الأحوال العادية.. وذلك لأكثر من سبب:

أولاً: إنه إذا كان يرى هذا الترحم سيحفظ أرواح الألوف من المسلمين من أن تزهق على يد أناس لا يخضعون للمنطق والدليل، وإنما يتعاملون مع الأمور بجهل وعصبية، فلماذا يفرِّط بتلك الأرواح؟!

ثانياً: لنفترض أنه لا يستسيغ ذلك، ولكن من الذي قال: إنه قصد بترحمه هذا الأب القريب لعبيد الله؟! فلعله قصد الأب الأعلى.. فالآباء تمتد في صحة إطلاقها إلى آدم «عليه السلام»..

ثالثاً: إن من المعلوم: أنه قد كان في بني أمية أناس مؤمنون صالحون، مثل خالد بن سعيد بن العاص.. ومع ذلك، فقد وصفهم القرآن بأنهم الشجرة الملعونة في القرآن.. وورد الأمر بلعنهم قاطبة.. فإذا قيل: لعن الله بني أمية قاطبة، فإن اللعنة إنما تصيب من يستحقها.. وهذا المعنى قد ورد في مورد اللعن، فقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» عن أبيه «عليه السلام»: إن اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينها وبين الذي يلعن، فإن وجدت مساغاً وإلا عادت إلى صاحبها، وكان أحق بها[1] الحديث.

(1) قرب الإسناد ص10 وبحار الأنوار ج69 ص208 والكافي ج2 ص360

فإذا كانت اللعنة تصيب من يستحقها، وكان الأمر قد ورد بلعن بني أمية قاطبة، لكي يصيب أصحابها، ولو لم نعلمهم بالتفصيل، فإن اللعنة لا ترجع إلى المؤمن، لأنه لا يستحقها في هذا المورد، بسبب أنه يمتثل الأمر الصادر إليه من الشارع نفسه.

رابعاً: ورد في رسالة لأمير المؤمنين «عليه السلام» كتبها إلى معاوية، قوله: «ولعمري يا معاوية، لو ترحمت عليك وعلى طلحة والزبير، ما كان ترحمي عليكم، واستغفاري لكم ليحق باطلاً. بل يجعل الله ترحمي عليكم واستغفاري لكم لعنة وعذاباً»[1].

ولعل السبب في أنه لا يحق باطلاً: أن المعيار في الحق والباطل هو موافقة أعمال طلحة والزبير، ومعاوية لشرع الله سبحانه. وأما ترحمه «عليه السلام»، فقد يصدر عنه لأجل مصلحة أو ضرورة اقتضت ذلك..

الوليد الفاسق يسب، ولا يبارز:

قال المنقري:

فلما أن كان اليوم الخامس، خرج عبد الله بن العباس والوليد بن

وثواب الأعمال ص269 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج12 ص301 و (الإسلامية) ج8 ص613 وغاية المرام ج1 ص311.

(1) كتاب سليم بن قيس ج2 ص770 و (ط أخرى) ص305 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص31 وج4 ص238.

عقبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودنا ابن عباس من الوليد بن عقبة، فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب، وأخذ يقول: يا ابن عباس، قطعتم أرحامكم، وقتلتم إمامكم، فكيف رأيتم صنع الله بكم؟! لم تعطوا ما طلبتم، ولم تدركوا ما أملتم، والله ـ إن شاء الله ـ مهلككم، وناصرنا عليكم.

فأرسل إليه ابن عباس: أن ابرز إلي.

فأبى أن يفعل، وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً.

ثم انصرفوا عند الظهر وكل غير غالب.

وذلك يوم الأحد(1).

ونقول:

وكل إناء بالذي فيه ينضح:

لقد عودنا أمير المؤمنين «عليه السلام» أموراً، منها ما يلي:

الأول: أن ما يهمه هو إقامة الحجة، بالإعتماد على الدليل والبرهان، وتكرار ذلك ما دام احتمال الوصول إلى نتيجة إيجابية قائماً. وهذه هي وصيته لجيوشه، وبعوثه أيضاً..

---

(1) صفين للمنقري ص221 و 222 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص13 و (ط الأعلمي) ج4 ص8 والأخبار الطوال ص175 والكامل في التاريخ ج2 ص371 و (ط دار صادر) ج3 ص295 وراجع: مروج الذهب ج2 ص388.

كما أنه يعمل على استنفاد جميع وسائل الإقناع، وتوفير المناخات التي تخدم هذا الغرض، وتسهل الوصول إليه..

الثاني: الإلتزام بتهذيب الكلمة، والترفع عن السب والشتم. وهذه أيضاً هي وصيته لأتباعه وشيعته..

الثالث: أنه كان لا يبدأ أحداً بقتال، إلا أن يبتدئه الطرف الآخر، وهذا أيضاً ما كان يوصي به جيشه، وقادته، وسراياه..

ولكن أعداءه كانوا على العكس منه في جميع هذه الأمور، فهم سبابون شتامون. وهم لا يملكون حجة ولا برهاناً على ما يمارسونه من أعمال. بل دليلهم هو الجبر والقهر، والسيف والطغيان.

وهم أيضاً يمارسون البغي والعدوان، ويبدأون بالقتال من يكف ويعف عنهم..

ولذلك، فنحن لا نستغرب أن يبادر الوليد بن عقبة الحاقد على بني عبد المطلب، ولا يملك حجة يدلي بها، والذي جاء لحرب الإمام المفترض الطاعة، بغياً منه عليه، وعدواناً وتجنياً، وظلماً، ومن دون أي مبرر، لا من عقل، ولا من شرع، ولا ضمير..

بل هو يتهم علياً «عليه السلام» وأصحابه بما هم منه براء، بل يسقط عليهم نفس الجرائم التي ارتكبها هو وفريقه. وهو قطع الأرحام، وقتل عثمان، أو خذلانه، مع قدرتهم على نصره..

الفصل الثاني:

مبارزات.. وقتال.. وهدنة..

مبارزات.. وقتلى:

وبعد أن ذكر المنقري هنا احتيال معاوية على أهل العراق حتى انتقلوا من موضعهم، فجاء معاوية، فنزل فيه.. وذكر كيف أن الأشعث والأشتر قادا ضد معاوية وأصحابه قتالاً عظيماً حتى أزالوهم من مكانهم ذاك، وعاد أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فنزلوا فيه، كما ذكرناه فيما سبق.. قال:

ثم غاداهم على القتال، وعلى رايته يومئذ هاشم بن عتبة المرقال.

قال: ومعه الحدل التى يقول فيها الأشتر:

إنا إذا ما احتسبنا الوغى	**أدرنا الرحى بصنوف الحدل**
وضربا لهاماتهم بالسيوف	**وطعنا لهم بالقنا والاسل**
عرانين من مذحج وسطها	**يخوضون أغمارها بالهبل**
ووائل تسعر نيرانها	**ينادونهم أمرنا قد كمل**
أبو حسن صوت خيشومها	**بأسيافه كل حام بطل**
على الحق فينا له منهج	**على واضح القصد لا**

بالـميل

قال: وبرز يومئذ عوف من أصحاب معاوية وهو يقول:

إنـى أنــا عــوف أخـو الحروب   عنــد هيــاج الحــرب والكــروب
صــاحــب لا الوقاف والـهيوب   عنـد اشـتعال الحـرب باللهيـب
ولست بالنـاجـي مـن الـخطوب   ومــن رديـنــى مــارن الكعــوب
إذ جـئـت تـبغى نصرة الكذوب   ولســت بــالعـف ولا النـجيب

فبرز إليه علقمة بن عمرو، من أصحاب علي، وهو يقول:

يــا عـجبـاً للعجــب العجيب   قد كنت يـا عوف أخـا الحـروب
وليـس فـيــهـا لك من نصيب   إنــك، فــاعلم، ظــاهر العيــوب
في طــاعة كـطــاعـة الصليب   فــي يــوم بـدر عصـبة القليـب
فـدونـك الطـعنة في المنخوب   قلبك ذو كـفر مــن القلــوب

فطعنه علقمة فقتله، فقال علقمه في ذلك:

يـــا عــوف لـو كنت امرأً حازما   لــم تبــرز الــدهر إلــى علقمــة
لاقـيـت لـيـثـاً أسداً بـاسـلا   يأخـــذ بالأنفـــاس والغلصـــمة
لاقيتـه قــرنــاً لــه ســطــوة   يفتــرس الأقــران فــي الملحمــة
مــا كــان في نــصــر امرئ ظالم   مــا يــدرك الجنـــة والمرحمـــة
مــا لابــن صــخـر حرمة ترتجى   لهــا ثـــواب الله بـــل مندمـــة
لاقــيــت مــا لاقى غداة الوغى   من أدرك الأبطـال يـا ابن الأمـة
ضــيـعت حــق الله في نــصــرة   للظـــالم المعــروف بالمظلمـــة
إن أبــا ســفــيــان مــن قــبلـه   لـم يـك مثـل العصـبة المسـلمة

لـكـنــه نـــافــق فـي ديـنـه من خشية القتل على المرغمة
[وابنــه نــافـق مــن بــعـده وزخــرف الباطــل بالترجمــة
سـوف (...) مـن ضروب لنا بـــين أن فـــي الـــوعي
المضــــــــــــــــــــــــرمة[1]]
بـعـداً لـصـخـر مـع أشياعه فـــي جـاحــم النـــار لـــدى
المضرمة[2]

هجمات غير حاسمة:

فمكثوا على ذلك حتى كان ذو الحجة، فجعل علي يأمر هذا الرجل الشريف فيخرج معه جماعة فيقاتل، ويخرج إليه من أصحاب معاوية رجل معه آخر، فيقتتلان في خيلهما ورجلهما ثم ينصرفان.

وأخذوا يكرهون أن يتراجعوا بجميع الفيلق من العراق وأهل الشام، مخافة الاستئصال والهلاك.

وكان علي «عليه السلام» يخرج الأشتر مرة في خيله، وحجر بن عدي مرة، وشبث بن ربعي التميمي مرة، ومرة خالد بن المعمر السدوسى، ومرة زياد بن النضر الحارثى، ومرة زياد بن جعفر

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص34 و (ط دار الأضواء) ج3 ص26.
(2) صفين للمنقري ص193 - 195 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص33 و 34 و(ط دار الأضواء) ج3 ص25 و 26.

الكندى، ومرة سعد[1] بن قيس الهمداني، ومرة معقل بن قيس الرياحي ومرة قيس بن سعد بن عبادة.

وكان أكثر القوم حروباً الأشتر.

وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى، ومرة أبا الأعور السلمى، ومرة حبيب بن مسلمة الفهرى، ومرة ابن ذى الكلاع، ومرة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومرة شرحبيل بن السمط، ومرة حمزة بن مالك الهمداني.

فاقتتلوا ذا الحجة، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين: أوله وآخره.

نار صادفت إعصاراً:

روى نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن عبد الله بن عاصم قال: حدثني رجل من قومي: أن الأشتر خرج يوماً، فقاتل بصفين في رجال من القراء، ورجال من فرسان العرب، فاشتد قتالهم، فخرج علينا رجل لقل والله ما رأيت رجلاً قط هو أطول ولا أعظم منه، فدعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه إنسان، وخرج إليه الأشتر فاختلفا ضربتين، وضربه الأشتر فقتله.

وايم الله لقد كنا أشفقنا عليه، وسألناه ألا يخرج إليه.

---

(1) لعل الصحيح: سعيد.

فلما قتله نادى مناد من أصحابه:

يـا سـهـم سـهم بن أبي العيزار يـا خـيـر مـن نعـلـمـه من زار

وجاء رجل من الأزد، فقال: أقسم بالله لأقتلن قاتلك.

فحمل على الأشتر [وعطف عليه الأشتر] فضربه فإذا هو بين يدي فرسه، وحمل أصحابه فاستنقذوه جريحاً، فقال أبو رقيقة السهمي: «كان هذا ناراً، فصادفت إعصاراً».

الهدنة في محرم:

فاقتتل الناس ذا الحجة كله، فلما مضى ذو الحجة تداعى الناس أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضي المحرم، لعل الله أن يجرى صلحاً واجتماعاً.

فكف الناس بعضهم عن بعض(1).

رسل علي × إلى معاوية:

روى نصر، عن عمر بن سعد، عن أبي المجاهد، عن المحل بن خليفة قال: لما توادع علي «عليه السلام» ومعاوية بصفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل علي بن أبى طالب إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبث بن ربعى، ويزيد بن قيس، وزياد بن

---

(1) صفين للمنقري ص195 و 196 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص574 وراجع ج5 ص5.

خصفة [وقال لهم: اعذروا إليه وأنذروه قبل الإقدام على الحرب].

فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي بن حاتم وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحقن الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً، ولم تأت مصلحاً.

هيهات يا عدي.

كلا والله إني لابن حرب، ما يقعقع لي بالشنان.

أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وانت لمن قتلته، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله.

هيهات يا عدي، قد حلبت بالساعد الأشد.

وقال له شبث بن ربعي وزياد بن خصفة ـ وتنازعا كلاماً واحداً :-

أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب الأمثال لنا.

دع مالا ينفع من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمنا وإياك نفعه.

وتكلم يزيد بن قيس الأرحبى فقال: إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك، ولنؤدي عنك ما سمعنا منك، لن ندع أن ننصح لك، وأن

نذكر ما ظننا أن لنا به عليك حجة، أو أنه راجع بك إلى الألفة والجماعة.

إن صاحبنا لمن قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظنه يخفى عليك: أن أهل الدين والفضل لن يعدلوك بعلي «عليه السلام»، ولن يميلوا بينك وبينه.

فاتق الله يا معاوية، ولا تخالف عليا، فإنا والله ما رأينا رجلا قط أعمل بالتقوى، ولا أزهد في الدنيا، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه.

فحمد الله معاوية وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة.

فأما الجماعة التى دعوتم إليها فنعما هي.

وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها [واجبة علينا].

إن صاحبكم قتل خليفتنا، وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله [لم يقتل، ولم يأمر]، فنحن لا نرد ذلك عليه [غير أن قتلة صاحبنا عنده]، أرأيتم قتلة صاحبنا؟! ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟! فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث بن ربعي: أيسرك بالله يا معاوية أن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته؟! [هل كنت قاتله]؟!

قال: وما يمنعني من ذلك؟! والله لو أمكنني صاحبكم من ابن

سمية ما قتلته بعثمان، ولكن كنت أقتله بنائل مولى عثمان ابن عفان.

فقال له شبث: وإله السماء ما عدلت معدلا، لا والله الذي لا إله إلا هو لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتى تندر الهام عن كواهل الرجال، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها.

فقال له معاوية: إنه لو كان ذلك كانت عليك أضيق.

ورجع القوم عن معاوية [فصاروا إلى علي «عليه السلام» فأخبروه بالذي كان بينهم وبين معاوية من الكلام](1).

فلما رجعوا من عنده بعث إلى زياد بن خصفة التيمي، فدخل عليه، فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أخا ربيعة، فإن علياً قطع أرحامنا، وقتل إمامنا، وآوى قتلة صاحبنا، وإني أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك، ولك علي عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أوليك أي المصرين أحببت.

قال أبو المجاهد: سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث.

قال: فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت له: «أما بعد.. فإني لعلى بينة من ربي، وبما أنعم علي فلن أكون ظهيراً

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص197 ـ 199 والفتوح لابن أعثم ج3 ص24 ـ 27 و (ط دار الأضواء) ج3 ص20 و 21 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص5.

للمجرمين».

قال: ثم قمت.

فقال معاوية لعمرو بن العاص ـ وكان إلى جانبه جالساً ـ: ليس يكلم رجل منا رجلاً منهم بكلمة فيجيب بخير، ما لهم عضبهم الله، ما قلوبهم إلا قلب رجل واحد(1).

رسل معاوية إلى علي ×:

قال نصر: حدثنا سليمان بن أبى راشد، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، أن معاوية بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهرى، وشرحبيل بن السمط، ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمي، فدخلوا على علي «عليه السلام» وأنا عنده، فحمد الله حبيب بن مسلمة وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله، وينيب إلى أمر الله، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان نقتلهم به.

فإن قلت: إنك لم تقتله فاعتزل أمر الناس، فيكون أمرهم هذا شورى بينهم، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

---

(1) صفين للمنقري ص199 و 200 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص5 و (ط الأعلمي) ج4 ص2 و 3 وبحار الأنوار ج32 ص453 - 455.

فقال له علي «عليه السلام»: وما أنت لا أم لك والولاية والعزل، والدخول في هذا الأمر؟!

اسكت فإنك لست هناك، ولا بأهل لذاك.

فقام حبيب بن مسلمة فقال: أما والله لترينى حيث تكره.

فقال له علي: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك؟! اذهب فصوب وصعد ما بدا لك، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت.

فقال شرحبيل بن السمط: إن كلمتك فلعمري ما كلامي إياك إلا كنحو من كلام صاحبي قبلي، فهل لي عندك جواب غير الجواب الذى أجبته به؟!

فقال علي «عليه السلام»: عندي جواب غير الذى أجبته به، لك ولصاحبك.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن الله بعث النبي «صلى الله عليه وآله» فأنقذ به من الضلالة، ونعش به من الهلكة، وجمع به بعد الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه، ثم استخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، وأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة، وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا، ونحن آل الرسول وأحق بالأمر، فغفرنا ذلك لهما.

ثم ولى أمر الناس عثمان، فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فسار إليه ناس فقتلوه.

ثم أتانى الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لى: بايع.

فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس.

فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية إياي، الذى لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، وحزب من الأحزاب، لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو وأبوه، حتى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين، فعجبنا لكم ولإجلابكم معه، وانقيادكم له، وتدعون أهل بيت نبيكم «صلى الله عليه وآله»، الذين لا ينبغى [لا يسعكم] لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولا أن تعدلوا بهم أحدا من الناس.

إنى أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيكم «صلى الله عليه وآله»، وإماتة الباطل، وإحياء معالم الدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة.

فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد: أتشهد أن عثمان قتل مظلوماً؟!

فقال لهما: إنى لا أقول ذلك. [إنه لا يخلو عثمان ظالماً أو مظلوماً].

قالا: فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوماً فنحن برآء منه.

ثم قاما فانصرفا.

[وعند ابن أعثم: ثم وثب القوم، فقال علي: فاسمعوا عني حتى أخبركم عن عثمان.

فقال حبيب بن مسلمة: لسنا نحب أن نسمع منك شيئاً].

فقال «عليه السلام»: **(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)**(1).

ثم أقبل على أصحابه فقال: لا يكون هؤلاء بأولى في الجد في ضلالتهم منكم في حقكم وطاعة إمامكم(2).

ونقول:

يستوقفنا في النصوص السابقة أمور عديدة.. نذكر منها ما يلي:

القتال في الشهر الحرام:

لا شك في أن ذي الحجة كان من الأشهر الحرم، ولم يكن أمير المؤمنين «عليه السلام» بالذي يقاتل في الأشهر الحرم، ولكن كان لا

---

(1) الآيتان 80 و 81 من سورة النمل.

(2) راجع: صفين للمنقري ص200 - 202 والفتوح لابن أعثم ج3 ص27 - 29 و (ط دار الأضواء) ج3 ص22 و 23 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص7 و (ط الأعلمي) ج4 ص3 - 5 والبداية والنهاية ج7 ص259 وراجع: العبر وديوان المبتدا والخبر ج2 ص628 ونهج السعادة ج2 ص165 - 168 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص23 و 24.

بد له من الدفاع عن نفسه وعن أصحابه حين يهاجم عدوهم، وهم معاوية وأصحابه..

ولا لوم على من يدفع عدوه المهاجم عن نفسه، بل اللوم على من ينتحل الإسلام ثم يخالف شرائعه، ولا يكف عن الحرب في الشهر الحرام.

الجدل ليس اسم رجل:

توهم ابن أعثم: أن كلمة «الجدل» التي وردت في قول الأشتر:

إنا إذا ما احتسبنا الوغى أدرنا الرحى بصنوف الحدل

يقصد بها رجل اسمه « الجدل ـ بالجيم المعجمة ـ بن عبد الله المذحجي»، وقال عنه: إنه كان قد حمل على أهل الشام، وطاعنهم وحاربهم، فأثر فيهم أثراً حسناً، ثم رجع إلى موضعه وكان من الأبطال المعدودين.

ونقول:

إن هذا غير صحيح، فإن الحدل ـ بالحاء المهملة ـ جمع حدلاء، وهي القوس التي حدت إحدى سيتيها ورفعت الأخرى.

والجدل ـ بالجيم المعجمة ـ جمع جدلاء، وهي الدرع المجدولة.

والمقصود هنا: أنهم يرون رحى الحرب بالرمي بالسهام التي تكون قوسها على تلك الصفة. وكانت مع هاشم المرقال فرقة خاصة

بالرمي بهذه القسي.

ويدل على ذلك: البيت يأتي بعده، ويصرح بإدارة رحاها بالسيوف أيضاً.

ويدل على ذلك أيضاً قوله:

عرانين من مذحج وسطها يخوضون أغمارها بالهبل

والهبل: هو الثكل.

رسل علي ×:

إن مراجعة النصوص التاريخية تعطي: أن علياً «عليه السلام» كان يرسل إلى معاوية أشخاصاً مختلفي المذاهب والمشارب والأحوال.. فمنهم الموالي الشديد الولاء لأمير المؤمنين «عليه السلام» المتحقق في محبته، والمؤمن بإمامته، الملتزم قلباً وقالباً بقضيته، استناداً إلى النص القرآني والنبوي، الذي لا يستسيغ التزحزح عنه في أي من الظروف والأحوال..

ومنهم الموافق له في الخط والمسار العام، فيرى أنه الخليفة الشرعي، الذي تحققت البيعة له، ولا يصح نقضها، لأنه يوجب الإخلال بالنظام العام، ويجر ذلك على الناس بلاءً هم في غنى عنه. كما أنه يرى أنه «عليه السلام» أفضل من غيره في علمه، وسابقته، وقرابته من الرسول..

ولكنه لا يرى أن تولية غيره ـ لو حصلت ـ ذنباً عظيماً، وخطباً جسيماً، يوجب عذاباً أليماً. ولذلك فهو يرضى بخلافة عثمان، وحتى معاوية، لو فرضت عليه، وأصبحت أمراً واقعاً.

وفريق يخلط بين الأعراف والأصول والضوابط الإجتماعية، كعقد البيعة، وبين منظومة من القيم والمبادئ الأخلاقية والإيمانية، وغيرها مما يقتنع بقيمته، وأهميته، فيقدم علياً «عليه السلام» لسابقته، وعلمه وقرابته، ونحو ذلك..

ومنهم من يرى أن بمجردها لا تكفي، بل يجب أن تكون بيعة من أناس مخصوصين، وهم الصحابة بما فيهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، والمهاجرون والأنصار، فبيعة هؤلاء هي المعيار، وهي التي تلزم الناس بقبول ولايته، والوفاء له «عليه السلام»..

ولو أنهم بايعوا أي إنسان آخر ولو كان عبداً مجدعاً.. لكان له من الطاعة والوفاء نفس ما لعلي «عليه السلام»..

وقد رأينا: أن الذين كان يوفدهم «عليه السلام» للإحتجاج على معاوية، وإقناعه بالتخلي عن موقفه، والدخول فيما دخل فيه الناس كانوا من فئات شتى. ولم تكن نظرتهم واحدة بالنسبة للإمامة والخلافة..

الأمر الذي يدل على أن المحيط العربي والإسلامي كله كان مجمعاً على أحقية أمير المؤمنين «عليه السلام» بالخلافة رغم اختلاف النظرة، وتفاوت المعايير التي كانوا يعتمدونها في هذه

الأحقية..

وخروج معاوية عن هذا الاجماع إنما كان أمراً نشازاً بجميع المعايير التي كانت معتمدة. وإنما كان المبرر له هو الظلم والعدوان والبغي، والتوسل بكل ما يقع تحت يده من أساليب غير مشروعة حتى عند من ليس لهم نصيب في الدين والإيمان..

وكانت هذه الأساليب الشيطانية التي مارسها معاوية من أجل بلوغ مآربه تتنوع وتختلف باختلاف الحالات والأشخاص، فتارة يعتمد أسلوب للبطش والعنف، وأخرى أسلوب التطميع والإغراء بالأموال والمناصب، وثالثة يعتمد أسلوب التشكيك، وإثارة الشبهات، ورابعة يلجأ إلى تحريك العصبيات العرقية، والعشائرية، والتنافس القبلي، والشخصي، وما إلى ذلك..

وكأنه «عليه السلام» حين كان يرسل إلى معاوية وفوداً تتشكل من جميع هذه الفئات، فيرسل أمثال شبث بن ربعي إلى جانب عدي بن حاتم.. يريد أن يفهم معاوية أن أمره غير خاف عليه.. كما أنه يريد لهؤلاء أن يجهروا للناس من أهل الشام ومن قومهم حين يرجعون إليهم بمخالفة موقف معاوية لما تسالم الناس عليه، من أي اتجاه أو فريق كانوا..

وهذا يفسر لنا ما جرى بين معاوية وزياد بن خصفة، فإن معاوية دعاه إلى نصرته، وأطمعه بالولاية لأي المصرين شاء. وسمع جواب زياد بالرفض القاطع، فقال معاوية لابن العاص:

«ليس يكلم رجل منا رجلاً منهم بكلمة فيجيب بخير. ما لهم عضبهم الله، ما قلوبهم إلا قلب رجل واحد»؟!

معاوية يعين على نفسه:

وكان معاوية بما يرتكبه من حماقات، وبما يبديه من رعونة وطيش يسهم ـ بالرغم عنه ـ في إظهار الحق للناس، وتعريف من لا يعرفه به.. وكمثال على ذلك نذكر هنا ما مر معنا في هذا النص المتقدم من أن شبث بن ربعي قال مستنكراً: أيسرك يا معاوية أن أمكنت من عمار بن ياسر، فقتلته؟! [أو هل كنت قاتله]؟!

فقال ـ مستجيباً إلى دواعي حقده، وضغينته ـ: وما يمنعني من ذلك؟! والله، لو أمكنني صاحبكم من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكن كنت أقتله بناتل مولى عثمان..

فإن جواباً كهذا يدل دلالة واضحة على أن معاوية لا يحسن تقدير الأمور، بل هو إنسان محجوب البصيرة بالصلف والغرور الذي كان يهيمن عليه، ولا يبالي بشيء من الدين والإيمان، ولا يهتم للأخلاق والقيم، إذا اعترضت طريقه، ومنعنه من تحقيق رغائبه، ونيل شهواته، والوصول إلى مقاصده..

معاوية يرى المحاسن مساوئ:

ولعلنا لا نبعد إذا قلنا: أن ما كان يتكرر على مسامع معاوية من مختلف الفئات، والجهات من ثناء على أمير المؤمنين «عليه السلام»

وذكر لمحاسنه، وهذا الإجماع على فضله، وعلمه، وتقواه، وتعداد فضائله، وكراماته، كان ـ فيما يبدو ـ يزيد من حقد معاوية عليه ويغريه به، ويزين له الإصرار والحرص على حربه..

وقد ذكر الله سبحانه: أن من جملة ما كان يعاني منه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن معه هو حسد أعدائهم لهم.. قال تعالى: **(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)**[1]. قال الصادق «عليه السلام»: إنهم المحسودون[2].

معاوية يريد قتل عمار:

وقد اعترف معاوية: أنه يريد أن يقتل عمار بن ياسر بناتل مولى عثمان.. ونقول:

1 ـ إن هذا يمثل جرأة على الله ورسوله الذي أخبر بأن عماراً

---

(1) الآية 54 من سورة النساء.

(2) بصائر الدرجات ص55 و 56 و 222 و 224 والإمامة والتبصرة ص40 والكافي ج1 ص186 و 205 و 206 ودعائم الإسلام ج1 ص21 وتهذيب الأحكام ج4 ص132 والخرائج والجرائح ج1 ص299 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص245 و3 ص343 وبحار الأنوار ج23 ص194 و 199 و 286 و 287 و 288 و 291 و 298 و 299 وج47 ص112 وتفسير فرات الكوفي ص107 ومجمع البيان للطبرسي ج3 ص109 وتفسير نور الثقلين ج1 ص490 و 491 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص481 و 484 وشواهد التنزيل ج1 ص183 و 184.

تقتله الفئة الباغية، ويدل على عدم المبالاة بممارسة البغي والظلم الذي أخبر الله ورسوله عنه.

2 ـ إنه يدل على أنه يقدم على الأمور من دون تثبت ولا تدبر فيها، حيث إنه لم يكن حاضراً قتل عثمان، ولا يدري من قتله على التحديد. فإن كان عمار هو الذي قتل عثمان وقتل غلامه، فلماذا يتهم علياً «عليه السلام» بقتله تارة، ثم يدعي أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، بل هو يؤوي قتلته وحسب؟! وإن كان علياً «عليه السلام» هو الذي قتله، فلماذا يلاحق عماراً والأشتر وسواهما؟!

3 ـ إن كان معاوية يملك حجة عل أن عماراً هو قاتل عثمان، فليتقدم بها إلى علي «عليه السلام»، وليدّع على عمار بالقتل استناداً إليها، ولينظر في النتيجة القضائية، أما أن يطلق الدعاوى في الهواء، من دون شاهد أو دليل، ثم يجمع مئة وعشرين، أومئة وخمسين ألف مقاتل، ويهاجم خليفة المسلمين بجيوشه، فهذا ما لا يمكن تحمله ولا قبوله من أكثر الناس فساداً، ورعونة، وقلة عقل.. فإن المطلوب من كل أحد أن يعرف حده فيقف عنده.

4 ـ لماذا يريد معاوية أن يأخذ بثأر عثمان، وغلامه ناتل، ولا يترك الأمر لولي الأمر بالذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو لماذا لا يتركه لأبناء عثمان، فإنهم هم أولياء الدم، فليطالبوا بدم أبيهم.. ومن الذي قال: إن أبناء عثمان يريدون الإقتصاص من قتلة أبيهم، فلعلهم قد عفوا عنهم لسبب

أو لآخر؟!

وفي حوادث القتل والقصاص من القاتل هناك أصول تجب رعايتها، وأحكام لا بد من النظر فيها. وليست الأمور فوضى، ومن دون ضوابط؟!

ما أنت لا أم لك والولاية والعزل؟!:

وقد تقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد غضب على محمد بن مسلمة حين طالبه بدفع قتلة عثمان إليهم، فقال: «فادفع إلينا قتلة عثمان نقتلهم به، فإن قلت: إنك لم تقتله، فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم». فما هو السبب في غضبه هذا؟!.

ونجيب:

أولاً: إن حبيب بن مسلمة قد تصدى لما ليس له. فإن أمر الخلافة ونصب الخليفة إنما هو لله ولرسوله.. وقد حُدد ذلك ونُصب من قبله سبحانه في قوله تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)(1).

ونص رسول الله «صلى الله عليه وآله» على هذا الإمام والولي والخليفة عشرات المرات، ثم أخذ له البيعة من المسلمين في يوم

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

الغدير قبيل استشهاده «صلى الله عليه وآله» بحوالي سبعين يوماً..

ثم بايعه الناس بعد قتل عثمان بالرغم من امتناعه عن قبول ذلك منهم أياماً كثيرة.. فما معنى أن يتصدى حبيب بن مسلمة للنصب والعزل، أو المطالبة بهما؟!

ثانياً: إن حبيب بن مسلمة لم يكن من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا من أهل بيعة الرضوان، ولا من أهل بدر، فإن أهل بدر هم الذين يحق لهم البت في أمر الخلافة، كما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي كان يلزم الناس بما يلزمون به أنفسهم، فما معنى أن يحشر هذا الرجل أنفه في هذا الأمر، وهو غريب عنه بكل ما لهذه الكلمة من معنى؟!

ثالثاً: ما معنى مطالبة حبيب بن مسلمة بقتلة عثمان، وما معنى ادعائه أنه هو الجهة التي يحق لها أن تتولى قتلهم.. والحال أن الأمر ليس له، ولا لمعاوية، وإنما هو لولي الأمر، ثم لأبناء عثمان، الذين هم أولياء الدم إن كان لأحد من الناس حق بالمطالبة بهذا الأمر..

رابعاً: كيف استساغ ابن مسلمة أن يقول لعلي «عليه السلام»: «فإن أنت لم تقتله فاعتزل أمر الناس..». وما الربط بين عدم قتل عثمان وبين اعتزاله «عليه السلام» أمر الناس؟! أليس هذا من سفه القول، وسقط الكلام؟!

خامساً: ألم يُجمِع الناس بما فيهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، والمهاجرون والأنصار وسواهم على تولية أمير المؤمنين «عليه

السلام» بعد قتل عثمان؟! وبقي «عليه السلام» أياماً كثيرة يمتنع عن قبول ذلك..

فكيف استساغ ابن مسلمة أن ينقض ما أجمع عليه الناس بما فيهم هؤلاء؟! أم يعقل أن ينقلب الإجماع إلى ضدّه بدون مبرر ولا سبب؟! فإن كان السبب هو قتل عثمان، فإن عثمان قد قتل ثم أجمعوا على البيعة لعلي «عليه السلام»، ولم يحدث شيء غير ذلك يوجب انقلاب إجماعهم هذا.

سادساً: إن كان حبيب يقصد بإجماع الناس هو رضا معاوية ومن معه من الطلقاء، ومن اتباعهم من أهل الشام، فقد بيَّن «عليه السلام» حكم الله، وقرار رسوله: أنه ليس للطلقاء نصيب في هذا الأمر، وليس لهم حق التدخل، لا في النصب، ولا في العزل، وإنما هو لأهل بدر، ومن تابعهم من المهاجرين والأنصار..

سابعاً: إن اعتزال علي «عليه السلام» في مثل هذه الظروف لا بد أن يعد خيانة للأمة، وتفريطاً بوحدتها، وإلقاء لها في أتون الإختلافات، وهو نقض للوعد والعهد الذي أعطاه، بل هو تسليم للأمر إلى معاوية، وتمكين له ولمن معه من أهل الباطل من رقاب أهل الحق والدين وأهل بدر، والمهاجرون والأنصار، والذين بايعوه لم يفوضوه بهذا الأمر.. ولا سيما مع وجود خطر الإستئصال لهم.. لا سيما مع هذه الجيوش التي تعد بعشرات الألوف التي هيأها معاوية، ويريد لها أن تكون أداة بطشه بعلي،

وبني هاشم، وبكل من يواليهم، ويميل إليهم، ويرى أنه يمكن أن يكون عقبة تحول بينه وبين مطامعه، وتمنعه من الإنتقام ممن يمتلئ قلبه حقداً عليهم..

جواب علي × لشرحبيل:

وقد ميز أمير المؤمنين «عليه السلام» بين حبيب بن مسلمة، وبين شرحبيل بن السمط، لأنه كان يعلم: أن شرحبيل كان يحتاج إلى مزيد من التوضيح لبعض الأمور، لتتم الحجة عليه، ولذلك قال «عليه السلام» لشرحبيل: «عندي جواب غير الذي أجبته به، لك ولصاحبك».

وقد تضمن جوابه له أموراً يحسن التوقف عندها.. فقد يقال: إن بعضها قد تعرض لبعض الدس والتحوير، فلاحظ ما يلي:

استخلف الناس، أبا بكر وعمر:

ذكر «عليه السلام»: أن الناس هم الذين استخلفوا أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر.. ومعنى ذلك: أن خلافتهما لا تعطيهما أي حظ من القداسة التي يحاول أن يعطيهما إياها أتباعهم، لأن خلافتهما فعل بشري محض، ليس فيه أي أثارة أو بشارة غيبية، يمكن نسبتها إلى الله أو إلى رسوله، ولو بأضعف مناسبة.

من أجل ذلك نقول:

إن ما يفعله أبو بكر وعمر في خلافتهم ليس مؤيداً من قبل الله

تعالى، ولا يختلف عن فعل أي إنسان آخر. يكون الفاعل هو الذي يتحمل مسؤوليته، ويحاسبه الله عليه، فإن جاء مطابقاً للشرع فبها، وإن خالفه طولب وحوسب وربما عوقب..

ولكنه حتى لو طابق الشرع فإن مطابقته عن غير قصد تجعله من القضاء أو الإفتاء بغير علم،فلا يبقى فرق جوهري بين الحالتين.

ويشتد ويتأكد هذا الأمر إذا كانت الخلافة بعهد من الله، وقد خولف عهد الله وميثاقه فيها، بعد أن بين لهم في آيات كثيرة، ومنها آية الولاية لخصوص من آتى الزكاة وهو راكع، وبعد أخذ الميثاق منهم بالبيعة له يوم الغدير..

وعلى هذا الأساس نقول:

إن سنة الخلفاء الذين استخلفهم الناس ليست ممضاة من قبل الشرع الشريف، بل الذي أمضاه الشرع هو سنة الخلفاء الذين استخلفهم الله ورسوله، وهم الأئمة الاثنا عشر الذين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم[1]، لا الخلفاء الذين استخلفهم الناس، فإن

---

(1) بحار الأنوار ج36 ص309 وراجع ص230 و 239 و 271 وكفاية الأثر ص10 وراجع ص27 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص213 و 258. وراجع: الأمالي للصدوق ص378 والخصال ص468 و (ط أخرى) ج2 ص473 وعيون أخبار الرضا ج2 ص54 وكمال الدين وتمام النعمة ج1 ص272 ـ 273 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص68 و 273 وكتاب الغيبة للنعماني ص117 و 118 وينابيع المودة ج2 ص315 وغاية المرام

الناس يخطئون ويصيبون.. وقد أخطأوا في هذا المورد بلا ريب، لأنهم اختاروا غير الذي اختاره الله ورسوله لهم، وأخذ منهم البيعة له قبل استشهاد الرسول بسبعين يوماً..

وقد يشير إلى هذه الأمور كلها قوله «عليه السلام» المذكور آنفاً: «وقد وجدنا عليهما ـ يعني على أبي بكر وعمر ـ أن توليا الأمر دوننا، ونحن آل الرسول، وأحق بالأمر».

الشيخان والعدل وحسن السيرة:

وقد ذكر النص المنقول عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال لشرحبيل عن أبي بكر وعمر: «وأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة».

ج2 ص271 وراجع: مقتضب الأثر ص8 والصوارم المهرقة ص93 وكتاب الأربعين للشيرازي ص381 وكتاب الأربعين للماحوزي ص383 ومسند أحمد ج1 ص398 و 406 وج5 ص90 ومجمع الزوائد ج5 ص190 وفتح الباري ج13 ص183 وتحفة الأحوذي ج6 ص394 وكنز العمال ج12 ص33 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص34 وكشف الغمة ج1 ص58 وج3 ص309 وكشف اليقين للحلي ص331 وشرح إحقاق الحق ج13 ص32 و 44 و 45.

وراجع: وصحيح مسلم ج6 ص4 والعمدة لابن البطريق ص421 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص418 وراجع: منتخب الأثر ص14 وهامش ص15 عنه.

فإن صح هذا الكلام عنه «عليه السلام»، ولم يكن مدسوساً عليه ـ كما قد يحتمل البعض ـ فلا بد أن يقال في توضيح المراد منه ما يلي:

إنه «عليه السلام» قد فرق بين أمرين:

أحدهما: ما حدث بعد استشهاد الرسول «صلى الله عليه وآله» من عدوان على القرار الإلهي، ونقض للتدبير الذي نفذه الرسول بأمر رباني بأخذ البيعة له «عليه السلام» من الناس يوم الغدير. وتضييع للكثير من الفوائد والعوائد، والبركات، والألطاف التي كانت ستنال الأمة بولايته «عليه السلام» لها. وحرمان الأمة بذلك مما كانت الخلافة الشرعية ستوفره لها من رقي وتكامل في سيرها إلى الله سبحانه، والتأسيس لاستمرار هذا التمرد على القرار الإلهي، والتخلي والابتعاد أكثر فأكثر عنه، وتمهيد السبيل لتولي الأرذال وعبث الأوباش بكل المقدسات، ونبذ أحكام الله سبحانه جهاراً ونهاراً..

فإن هذا كله مرفوض ومدان من قبل علي «عليه السلام»، ومن كل المؤمنين الغيورين على الدين وأهله

الثاني: أن سعي هذين الخليفتين للإحتفاظ برضا الناس، وتلبية رغباتهم، ولو بتكريس سنن، وانتهاج سياسات خاطئة وغير مرضية عند الله تعالى.. حيث لا ينكر أحد أن أبا بكر وعمر قد استطاعا أن يلبسا حكمهما لباس الدين، وأن يجلبا رضا قسم غير قليل من الناس، وخصوصاً العرب عن حكمهما، وأن يحفظا ظاهر الشرع في التعامل مع أكثر الناس، باستثناء علي «عليه السلام» وشيعته، وغيرهم ممن

التزموا بخطهم ونهجهم..

وإن كانا قد اعتمدا سياسات خطيرة على المدى البعيد، مثل سياسة المنع من كتابة حديث رسول الله، والمنع من روايته، ومثل إنشاء ديوان العطاء على أساس قبلي وعرقي.. ومثل إعطاء أوسمة الإجتهاد وحق التأول في أحكام الله حتى البديهيات لتبرير مخالفاتها الصريحة.. ومثل حربهم لمن عرفوا بمانعي الزكاة.. واعتماد سياسة التمييز العنصري في كثير من الأحكام والمواقف.. وسياسة التوطئة والتمهيد لوصول عثمان ومعاوية وبني أمية للحكم.

ومثل الإفتاء بالرأي، وحصر الفتوى بالحكام والخلفاء.. واعتبار فتاواهم بآرائهم شريعة وديناً.. وغير ذلك من سياسات لم يشعر بها وبآثارها وسلبياتها أكثر الناس في زمانهم، وإن كانت نيرانها قد لفحت فئات قليلة منهم.

والخلاصة: إن الإستيلاء على الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإن كان قد مهد السبيل لأمور تصل إلى حد الكارثة على الإسلام وأهله، وأفسحت المجال لسياسات كانت بالغة الخطورة، ولكن أكثر الناس لم يشعروا بها، لأن آثارها ظهرت بعد ذلك في حكم يزيد وجبابرة بني أمية وغيرهم، وكان همّ الخلفاء مثل أبي بكر وعمر مصروفاً إلى إرضاء هذه الأكثرية، التي عاشت في زمانهما، وهذا هو ما قصده «عليه السلام» بقوله عن أبي بكر وعمر: إنهما قد أحسنا السيرة، وعدلا في الأمة..

ولم يكن أمام علي «عليه السلام» وأهل بيته من سبيل إلا القبول بالأمر الواقع، والإنصراف إلى العمل على تلافي الأخطار التي يعرفون أنها ستنشأ عن سياسات الخلفاء، وعواقب هذه الجرأة التي ارتكباها حين أخذا الخلافة من صاحبها الشرعي.. وهذا ما ألمح إليه «عليه السلام» بقوله: «فغفرنا ذلك لهما».

وتقرير هذه الحقيقة لشرحبيل يدحض ما يحاول معاوية ومن معه أن يشيعوه عن علي «عليه السلام»، من أنه لا ينصف أبا بكر وعمر، بل يتجنى عليهما، ويسيء القول فيهما..

علي × ينصف عثمان أيضاً:

ثم إنه «عليه السلام» قد قرر ما جرى لعثمان بصورة دقيقة، وبيَّن موقفه منها، وكيفية بيعة الناس له «عليه السلام»، ثم نكث طلحة والزبير للبيعة بعد أن كانا في جملة المبايعين، بل كانا أولهم، والسابقين إليها منهم..

وكان بإمكان شرحبيل أن يتحقق من صحة كل حرف قاله له «عليه السلام»، وسيجد أن أحداً لا يستطيع أن يزيد عليه حرفاً، ولا أن ينقص منه حرفاً.

وكان هذا يكفي لإقناع شرحبيل للخروج من النفق الذي أدخل نفسه فيه، فإن علياً «عليه السلام» قد أقام الحجة عليه بما لا مزيد عليه.. فلم يبق له عذر في الإصرار على موقفه إلا الخذلان، ووساس

وتزيينات الشيطان..

أتشهد: أن عثمان قتل مظلوماً؟!:

والمفاجأة التي جاء بها شرحبيل ومعن بن زائدة أنهما بعد هذا البيان الواضح يريدان من علي «عليه السلام» أن يشهد بأن عثمان قد قتل مظلوماً.. وهذا طلب غير معقول:

أولاً: لأنها شهادة لا ربط لها بما يريد أن يرتباه عليها من القبول بالحرب والسلم، ولا ربط لها بصحة الخلافة أو ببطلانها..

ثانياً: إن شرحبيل ورفيقه لم يحضرا قتل عثمان، ولا عاينا ما جرى بينه وبين مناوئيه، ولا سمعا من طرفي القضية الحجج والمبررات لمواقفهما وتصرفاتهما، ليصح لهما أن يحكما على عثمان بالمظلومية أو بعدمها.. ولا أن يحكما على قاتليه بهذا الحكم أو بذاك..

فكيف جاز لشرحبيل أن يحكم بما حكم به من مظلومية عثمان، وأن يرتب على ذلك السماح لنفسه بالبراءة من علي «عليه السلام» وتولي معاوية.. ثم أن يسمح لنفسه بالدخول في حرب طاحنة تسفك فيها دماء عشرات الألوف من المسلمين؟!

ثالثاً: إن عدم شهادة أمير المؤمنين «عليه السلام» بمظلومية عثمان لا تلازم حكمه بكون عثمان كان ظالماً.. فلعله متوقف في هذا الأمر.

أو لعله لا يستجيز إصدار الحكم قبل السماع من الطرف الآخر

للقضية.

أو لعله لا يريد أن يدلي بشهادته بالنفي أو بالإثبات حرصاً على مصلحة الأمة، لأن هذه الشهادة قد تؤدي إلى نزاعات تمزق أوصال المجتمع الإسلامي بأسره، وتحدث فتقاً لا يمكن رتقه.. ولعل.. ولعل..

رابعاً: أية آيةٍ أو رواية أو حكم عقلي دل على لزوم الشهادة بمظلومية عثمان.. وما الذي جعل عدم الشهادة يجيز البراءة ممن لم يشهد؟!

وهل يمكن لشرحبيل أن يبرأ من جميع أهل المدينة بما فيهم المهاجرون والأنصار، وفيهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، فإنهم جميعاً قد خذلوا عثمان، ولم ينصروه؟!

وهل يتبرأ شرحبيل من طلحة الذي شارك في حصار عثمان وفي قيادة الحملات ضده، ومن الزبير، ومن عائشة التي أمرت بقتل عثمان، وحرضت على قتله؟!

فلماذا يتولى هؤلاء، ويبرأ من علي وعمار، وذي الشهادتين، ومن هاشم المرقال وعشرات ومئات من أهل بدر، ومن أهل بيعة الرضوان؟! ولماذا لا يتبرأ شرحبيل من معاوية الذي كان يريد قتل عثمان، وقد خذله، ولم يسمح لجيشه بولوج المدينة لنصرته؟!

ولماذا يكيل شرحبيل بمكاييل كثيرة ومختلفة..

معاوية طليق وابن طليق:

ثم إنه «عليه السلام» قد أوصد الأبواب أمام شرحبيل، حتى لم يعد بإمكانه أن يبقى حيث هو إلى جانب معاوية، لأنه سلبه الحجة، ولم يعد بإمكانه الركون إلى الواقع الذي وضع نفسه فيه، حيث كشف له عن ماضي معاوية، فلا سابقة له في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام.. بل هو لم يقف على الحياد، وإنما كان محارباً لهذا الدين، وكان حزباً من الأحزاب التي أجلبت على دين الله بخيلها ورجلها.. ثم كان طليقاً وابن طليق، ولم يزل هو وأبوه عدواً للإسلام وللمسلمين..

وحين دخل في الإسلام، فإنما دخل فيه هو وأبوه كارهين..

فالعدواة للإسلام متأصلة فيه، وقد ورثها عن أبيه..

فما معنى أن يناصره شرحبيل، ويجمع الناس، ويحشد الأنصار له، ليحارب أهل بيت نبيهم، بعد أن عرف أنه قد ورث العدواة له ولدينه من أسلافه، ولم يرض بالدخول في دينه طوعاً.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أفهم شرحبيل أن هذه الحرب التي يدخل نفسه فيها إنما هي امتداد لحرب معاوية للإسلام قبل أن يدخل فيه كارهاً، وليست قضية قتل عثمان إلا غطاء عاجزاً عن ستر الحقيقة.

معارك قبل شهر محرم:

قال ابن أعثم:

فلما كان من الغد إذا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قد خرج في خيل عظيمة يريد الحرب، فأخرج علي بن أبي طالب محمد بن أبي بكر في خيل مثلها، فاقتتلوا يومهم ذلك قتالاً شديداً، وانصرف الفريقان عن قتلى وجرحى.

فلما كان من الغد خرج شرحبيل بن السمط في خيل عظيمة، فأخرج إليه علي «عليه السلام» الأشتر في خيل مثلها، فاقتتلوا وانصرفوا عن قتلى وجرحى.

فلما كان من الغد خرج عمرو بن العاص في خيل عظيمة، فأخرج إليه علي «عليه السلام» عبد الله بن عباس في خيل مثلها، فانصرفوا عن قتلى وجرحى.

قال: فلم يزل القوم على ذلك إلى أن بقي من شهر المحرم سبعة أيام أو ثمانية، قال: وجعل معاوية وعمرو بن العاص يعبئان الكتائب ويحرضان أهل الشام على حرب علي وأصحابه، فأنشأ حابس بن سعد الطائي [صاحب لواء طيء مع معاوية] في ذلك يقول:

أما بين المنايا غير سبع بقين من المحرم أو ثمان
هناك دماؤنا حل حلال لأهل الكوفة السود اليماني
ألم يعجبك أنا قد هجمنا عن أهل الكوفة الموت العيان

[وفي صفين للمنقري:

أما يعجبك أنا قد كففنا عن أهل الكوفة الموت العيانى]

أينهانا كتاب الله عنهم ولا ينهاهم السبع المثاني
وبالشام الحماة وكل قرصدوق بالضراب وبالطعان(1)

لاختيار القادة مغزاه:

1 - ولسنا بحاجة للتنويه بالمغزى الذي كان يرمي إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» حين كان يختار محمد بن أبي بكر ليواجه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في ساحة الحرب.

فإن كان معاوية يهدف إلى التأثير على معنويات العراقيين، الذي يصعب عليهم مواجهة كل من يمت إلى عمر بن الخطاب بصلة. ويثير في نفوسهم بلابل وشكوكاً حول مشروعية حرب يكون عمر بن الخطاب خصمها، أو يتوهم فيها ذلك، فإن مواجهة ابن أبي بكر لابن عمر سوف تهدئ النفوس، وتزيل الشكوك، لا سيما إذا كان ابن عمر مطلوباً بجريمة قتل امرئ مسلم، أما ابن أبي بكر فهو معروف بالصلاح والدين والإستقامة والتقوى..

2 - إنه «عليه السلام» أخرج الأشتر النخعي ليقابل شرحبيل بن السمط، لأن الناس يرون أنه رئيس وعربي مثله.. وأين الأشتر الورع

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص31 و (ط دار الأضواء) ج3 ص23 و 24 وراجع: صفين للمنقري ص202.

التقي، المدافع عن الحق وأهله من شرحبيل الجلف الجاف، الممالئ للطلقاء، وأبناء الطلقاء، والمدافع عن الباطل وأهله؟!

3 ـ وحين أخرج معاوية عمرو بن العاص الأموي أخرج له علي «عليه السلام» عبد الله بن عباس وهو هاشمي. وأين عبد الله بن عباس في علمه، وقوة عارضته وفي استقامته، ومكانته بين أهل العلم والدين، من عمرو بن العاص الشانئ الأبتر الذي نزل القرآن بذمه، ولهج النبي «صلى الله عليه وآله» بما دل على سقوطه، وسوء عاقبته.. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

الفصل الثالث:

هدنة بعدها قتال..

إعلان الحرب في صفر:

قال ابن أعثم:

فلما انقضى شهر المحرم، وأهلَّ هلال صفر، بعث علي رجلاً من أصحابه يقال له: مرثد بن الحارث، حتى وقف قريباً من عسكر معاوية، ثم نادى بأعلى صوته عند غروب الشمس:

يا أهل الشام! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لكم:

إنا قد كففنا عنكم في هذا الشهر الحرام، فلم تكفوا عنا، ووالله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم، ولا جبناً عنكم، وإنما كففنا لخروج هذا الشهر المحرم لترجعوا إلى الحق.

واحتججنا عليكم بكتاب الله عز وجل ودعوناكم [إليه]، فلم تنتهوا عن الطغيان، والظلم والعدوان، والكذب والبهتان، ولم تجيبوا إلى حق ولا برهان..

فإنا قد أنذرناكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

قال: فعلم أهل الشام أن علياً يحاربهم، وأنه إنما كان ينتظر انسلاخ الشهر، ففزعوا إلى معاوية، وذلك في أول يوم من شهر صفر[1].

أما المنقري، فيقول:

فلما انسلخ المحرم واستقبل صفر، وذلك في سنة سبع وثلاثين، بعث علي نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يُسْمِعونهم الصوت قام مرثد بن الحارث الجشمى فنادى عند غروب الشمس: يا أهل الشام، إن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون لكم: إنا والله ما كففنا عنكم شكا في أمركم، ولا بقيا عليكم، وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم، ثم انسلخ، وإنا قد نبذنا إليكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

قال: فتحاجز الناس وثاروا إلى أمرائهم، وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتِّبان الكتائب، ويعبئان الناس، وأوقدوا النيران، وبات على ليلته كلها يعبي الناس، ويكتِّب الكتائب، ويدور في الناس يحرضهم[2].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص31 و (ط دار الأضواء) ج3 ص24 وراجع: صفين للمنقري ص202 و 203 باختصار.

(2) صفين للمنقري ص202 و 203 وراجع: الأخبار الطوال ص171 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص10 و (ط الأعلمي) ج4 ص6 والكامل في التاريخ ج2 ص370 و (ط دار صادر) ج3 ص293 ومروج الذهب ج2 ص370

ونقول:

علينا أن نلاحظ ما يلي:

النداء بعد انقضاء شهر محرم:

وقد لاحظنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، يرسل مناديه مرثد بن الحارث ليعلم أصحاب معاوية بانقضاء الهدنة، وقد أرسله للنداء بذلك عند هلال المحرم، وبالذات عند غروب الشمس.

ولهذا التوقيت أيضاً معناه ومغزاه..

فأولاً: إنه «عليه السلام» لم ينتظر في ندائه هذا إلى اليوم التالي، ربما لأنه أراد أن يسد الطريق أمام معاوية كي لا يستغل هذا الوقت الذي يستسلم فيه الناس ـ ومنهم أصحاب علي «عليه السلام» ـ للغفلة، ظناً منهم أن الهدنة تنتهي في اليوم الأول من شوال. فيبادر معاوية إلى مباغتتهم بهجوم ساحق، يلحق بهم أفدح الخسائر، بالإضافة إلى الهزيمة الروحية التي ستلحق بهم. فهذا النداء يشير إلى معاوية بأن علياً متنبه ومتيقظ، ومستعد لأي احتمال. فعليه أن لا يغامر، ولا يبادر إلى أي عمل غادر..

ثانياً: إنه «عليه السلام» يريد أن لا يضيع الوقت في المماحكات

والبداية والنهاية ج7 ص260 وبحار الأنوار ج32 ص457 و 458.

العقيمة، والتسويفات المملة، فإن الناس لا يتحملون المماطلة، لأن لهم عيال، وأطفال، ومصالح وأعمال، لا بد لهم من العودة إليها ورعايتها، والإهتمام بشؤونها..

أهل الشام لم يحترموا الهدنة:

وتقدم: أن نداء مرثد قد تضمن تذكير أهل الشام بأنهم لم يحترموا الهدنة، بل كانوا يعتدون على أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام». أما أصحاب أمير المؤمنين فقد كفوا عنهم..

وربما يكون الهدف من هذا التذكير:

أولاً: تحذير أهل الشام من أن هذا الكف والإلتزام بالهدنة لم يعد قائماً. فعليهم أن ينتظروا الرد المناسب على كل عدوان.. وأي تحرش ظالم من أي كان.

ثانياً: أراد أن يضعهم أمام وجدانهم ليقارنوا بين حالهم في عدم الإلتزام بالعهود التي يعطونها، وحال الشرفاء الأوفياء الذين يكفون أنفسهم حتى عن مقابلة المتعدي عليهم بالمثل مع قدرتهم عليه، ومع أن هذا حق، يكفله لهم العقل، والعرف والدين أيضاً..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد عالج الأوهام التي ربما تعرض لهم، وتدغدغ خواطرهم، وتزين لهم الإستمرار في هذا العمل غير الأخلاقي.. حين عرَّفهم: أن عدم مقابلة أصحابه لهم بالمثل لم يكن لأجل شكهم في أمرهم، بحيث أعطاهم ذلك حصانة، أو أوجب لهم

حرمة، ولا جبناً عن مواجهتهم.. بل كان تديناً والتزاماً بالقيم الأخلاقية، والأحكام الشرعية، حيث لا بد من احترام ذلك الشهر الشريف، والوفاء بالعهود التي تعطى.

رابعاً: إنه «عليه السلام» عرَّفهم أن احترام هذا الشهر، لا يعني تدريب النفس فيه على ما يزيدها رغبة في سفك الدماء، ويجعل من هذا الإنتظار وسيلة إذكاء الحوافز للبطش، والإمعان في تضخيم صفة التوحش في النفس، وتغريبها عن مخزونها العاطفي، واستلاب كل معاني الرقة منها..

بل هو يعني إخراج الإنسان من أجواء التشنج، وإدخاله في محيط التأمل والتروي، والتفرغ لحسابات الربح والخسارة فيما يقدم عليه. وإعادة النظر في المبررات والحجج التي يستند إليها في حربه وسلمه..

ولذلك قال لهم مرثد بن الحارث: «وإنما كففنا لخروج هذا الشهر المحرم، لترجعوا إلى الحق، واحتججنا عليكم بكتاب الله عز وجل ودعوناكم، فلم تنتهوا عن الطغيان، والظلم الخ..».

التعبئة الشاملة للقتال:

قال المنقري:

وخرج معاوية وعمرو بن العاص يُكَتِّبان الكتائب، ويعبِّيان العساكر، وأوقدوا النيران، وجاءوا بالشموع، وبات علي «عليه

السلام» ليلته كلها يعبئ الناس، ويكتب الكتائب، ويدور في الناس يحرضهم(1).

وقال المنقري أيضاً:

عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن محمد بن علي، وزيد بن حسن، ومحمد بن المطلب، أن علياً «عليه السلام» ومعاوية عقدا الأولوية، وأمرا الأمراء، وكتبا الكتائب.

الكتائب والأمراء في جيش علي ×:

واستعمل علي على الخيل عمار بن ياسر.

وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى.

ودفع اللواء إلى هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص الزهري.

وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس.

وعلى الميسرة عبد الله بن العباس.

وجعل على رجالة الميمنة سليمان بن صرد الخزاعى.

وجعل على رجالة الميسرة الحارث بن مرة العبدى.

وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة.

وجعل الميمنة اليمن.

وجعل الميسرة ربيعة.

---

(1) صفين للمنقري ص203.

وعقد ألوية القبائل، فأعطاها قوماً منهم بأعيانهم، جعلهم رؤساءهم وأمراءهم.

وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس.

وعلى كندة حجر بن عدي.

وعلى بكر البصرة حضين بن المنذر.

وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس.

وعلى خزاعة عمرو بن الحمق.

وعلى بكر الكوفة نعيم بن هبيرة.

وعلى سعد ورباب البصرة جارية بن قدامة السعدي.

وعلى بجيلة رفاعة بن شداد.

وعلى ذهل الكوفة يزيد بن رويم الشيباني.

وعلى عمرو وحنظلة البصرة أعين بن ضبيعة.

وعلى قضاعة وطيء عدى بن حاتم.

وعلى لهازم الكوفة عبد الله بن حجل العجلي.

وعلى تميم الكوفة عمير بن عطارد.

وعلى الأزد واليمن جندب بن زهير.

وعلى ذهل البصرة خالد بن المعمر السدوسي.

وعلى عمرو وحنظلة الكوفة شبث بن ربعى.

وعلى همدان سعيد بن قيس.

وعلى لهازم البصرة حريث بن جابر الحنفي.

وعلى سعد ورباب الكوفة الطفيل أبا صريمة.

وعلى مذحج الأشتر بن الحارث النخعي.

وعلى عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان.

وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البكائي.

وعلى عبد القيس البصرة عمرو بن حنظلة.

وعلى قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمي.

وعلى قيس البصرة قبيصة بن شداد الهلالي.

وعلى اللفيف من القواصى القاسم بن حنظلة الجهني.

قادة جيش معاوية:

واستعمل معاوية على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

وعلى الرجالة مسلم بن عقبة المري.

وعلى الميمنة عبد الله بن عمرو بن العاص.

وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وعلى أهل دمشق ـ وهم القلب ـ الضحاك بن قيس الفهري.

وعلى أهل حمص ـ وهم الميمنة ـ ذا الكلاع الحميري.

وعلى أهل قنسرين ـ وهم [في] الميمنة [أيضا] زفر بن الحارث.

وعلى أهل الأردن ـ وهم الميسرة ـ سفيان بن عمرو الأعور السلمي.

وعلى أهل فلسطين ـ وهم في الميسرة ـ أيضا مسلمة بن مخلد.

وعلى رجالة أهل حمص حوشبا ذا ظليم.

وعلى رجالة قيس طريف بن حابس الألهاني.

وعلى رجالة أهل الأردن عبد الرحمن بن قيس القيني.

وعلى رجالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الأزدي.

وعلى رجالة قيس دمشق همام بن قبيصة.

وعلى قيس وإياد حمص بلال بن أبي هبيرة الأزدي وحاتم بن المعتمر الباهلى.

وعلى رجالة الميمنة حابس بن سعد الطائي.

وعلى قضاعة دمشق حسان بن بحدل الكلبي.

وعلى قضاعة الأردن حبيش بن دلجة القيني.

وعلى كنانة فلسطين شريكاً الكناني.

وعلى مذحج الأردن المخارق بن الحارث الزبيدي.

وعلى لخم وجذام فلسطين ناتل بن قيس الجذامي.

وعلى همدان الأردن حمزة بن مالك الهمداني.

وعلى خثعم اليمن حمل بن عبد الله الخثعمي.

وعلى غسان الأردن يزيد بن الحارث.

وعلى جميع القواصى القعقاع بن أبرهة الكلاعي ـ وأصيب في المبارزة أول يوم تراءت فيه الفئتان.

روى نصر، عن إسماعيل بن أبي عميرة، عن الشعبي: أن علياً «عليه السلام» بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس.

وذكر عن فضيل بن خديج أن علياً «عليه السلام» بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر.

وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف.

وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر.

وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد.

وكان قد أقبل من مصر إلى صفين، وجعل معه هاشم بن عتبة، وابنه.

و [جعل] مسعود بن فدكى التميمي على قراء أهل البصرة.

فصار قراء أهل الكوفة إلى ابن بديل، وعمار بن ياسر(1).

القادة عند ابن أعثم:

1 ـ بالنسبة لجيش معاوية قال ابن أعثم:

---

(1) صفين للمنقري ص204 ـ 208.

وعبى (معاوية) أصحابه، فكان على ميمنته ذو الكلاع الحميري.

وعلى رجالتها حوشب ذو الظليم.

وعلى خيل ميسرته حبيب بن مسلمة.

وعلى رجالتها بسر بن (أبي) أرطاة.

وعلى خيل القلب عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي.

وعلى رجالتها الضحاك بن قيس.

وعلى خيل الجناح عبد الله بن جعدة الفزاري.

وعلى رجالتها همام بن قبيصة النميري.

وعلى خيل الكمين أبو الأعور السلمي.

وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائي.

2 ـ بالنسبة لجيش علي «عليه السلام» قال ابن أعثم:

وعبى علي بن أبي طالب «عليه السلام» أصحابه، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين سبطا النبي «صلى الله عليه وآله».

وعلى رجالتها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب.

وعلى خيل الميسرة محمد ابن الحنفية، ومحمد بن أبي بكر.

وعلى رجالتها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وأخوه عمر بن عتبة.

وعلى خيل القلب عبد الله بن عباس، والعباس بن ربيعة بن

الحارث.

وعلى رجالتها مالك بن الحارث الأشتر، والأشعث بن قيس.

وعلى خيل الجناح سعيد بن قيس، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

وعلى رجالتها رفاعة بن شداد العجلي، وعدي بن حاتم الطائي.

وعلى خيل الكمين عمار بن ياسر، وعمرو بن الحمق الخزاعي.

وعلى رجالتها عامر بن واثلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي.

قال: ثم جعل علي «عليه السلام» على كل قبيلة من قبائل ربيعة ومضر واليمن رجلا من رؤسائهم يقتدون برأيه وينتهون إلى أمره(1).

ونقول:

إن ما يستوقفنا في هذه التعبئة هو ما يلي:

صفات القادة:

إن مراجعة أحوال قادة جيش معاوية تعطي: أنهم بدون استثناء هم من الذين ليس لهم أي أثر محمود في الدين، ولا سوابق مجيدة أو حميدة لهم في الإسلام، والإيمان أو في العبادة والتقوى..

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص31 ـ 33 و (ط دار الأضواء) ج3 ص24 و 25 وبحار الأنوار ج32 ص573 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص352 عنه.

بل المعروف عن كثيرين منهم الفجور وقلة الدين، ومنهم من اشتهر بالسطوة والقسوة، وعدم المبالاة بأحكام الله، وبالمآثم، بل هم مرتكبي عظائم الجرائم..

أما القادة في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» فإن كثيرين منهم كانوا من خيار الناس، ومن صلحاء الأمة وعبادها وفضلائها، وعلمائها وزهادها.. ومن ذوي الدراية والبصيرة في الدين، ومن رموز الإسلام والإيمان..

علي وأهل البيت٨:

كما أن القائمة التي أثبتها ابن أعثم قد أظهرت أنه «عليه السلام» قد جعل أبناءه وصفوة الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وخيرة بني هاشم رأس الحربة في جيشه، يتلقون سيوف الأعداء ورماحهم بصدورهم ونحورهم..

فعلى خيل الميمنة ابناه الحسن والحسين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيدا شباب أهل الجنة.

وعلى رجالة الميمنة ابنا أخويه: مسلم بن عقيل وعبد الله بن جعفر.

وعلى خيل الميسرة ولده محمد ابن الحنفية، وربيبه وحبيبه محمد بن أبي بكر..

وعلى خيل الميسرة عبد الله بن عباس، والعباس بن ربيعة بن

الحارث.

كما أن سائر أحباب علي «عليه السلام»، وأعز الناس عليه مثل عمار، والأشتر، وهاشم المرقال كانوا هم رؤوس وقادة ذلك الجيش.. وهذا يدل على أنه «عليه السلام» يريد أن يفدي الأمة بأبنائه، وأهل بيته وأحبابه، وخيار أصحابه، ولا يريد أن يسفك دماء الناس، ولتبقى دماء أحب الناس إليه مصونة عن أي مكروه.

من وصايا علي × لجيشه:

قال المنقري:

نصر: عمر بن سعد، وحدثني رجل عن عبد الله بن جندب عن أبيه أن علياً «عليه السلام» كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول:

لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، [ولا تصيبوا معوراً] ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل.

فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلا بإذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وتناولن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى، والأنفس، والعقول.

ولقد كنا، وإنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد، فيعير بها عقبه من بعده(1).

ونقول:

كنا قد شرحنا المضامين التي وردت في هذه الوصايا في فصول سابقة من هذا الكتاب، فلا نرى حاجة لإعادة ذلك.

غير أننا نشير هنا إلى ما يلي:

لا تبدأوهم بقتال:

ذكر النص المتقدم: أنه «عليه السلام» قال: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم» وهذا ما أوصى «عليه السلام» به جيشه يوم الجمل أيضاً كما تقدم(2).

---

(1) صفين للمنقري ص203 و 204 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص14 و 15 الكتاب رقم 14 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص10 و 11 و (ط الأعلمي) ج4 ص6 وراجع: الكافي ج5 ص38 عن عبد الرحمن بن جندب، وراجع: بحار الأنوار ج32 ص213 وج33 ص458 والفتوح لابن أعثم ج3 ص44 و 45 و (ط دار الأضواء) ج3 ص32 ومستدرك الوسائل ج11 ص86 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص277 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص348 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص228 وج15 ص104 ونهج السعادة ج8 ص346.

(2) السنن الكبرى للبيهقي ج8 ص180 وحياة الصحابة ج2 ص503 وراجع:

وهذه كانت وصية الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً، فقد قال «عليه السلام» لزهير بن القين في قضية الحر الرياحي: «ما كنت لأبدأهم بالقتال»[1].

وقال أيضاً لمسلم بن عوسجة وهو ينهاه عن رمي الشمر: «لا، فإني أكره أن أبدأهم»[2].

وكانت هذه هي سيرة شيعة أهل البيت «عليهم السلام»[3].

تركهم إياهم حجة أخرى:

وقد وضع «عليه السلام» أساساً لتعامل أصحاب المبادئ مع الطاغين والمبطلين.. فصاحب المبدأ يريد أن تكون القيم والمبادئ،

تذكرة الخواص ص72 و 91 والفتوح لابن أعثم ج3 ص45 وج2 ص490 و (ط دار الأضواء) ج3 ص32 والمناقب للخوارزمي ص183 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص240 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص110.

(1) الإرشاد للمفيد ج2 ص84 وروضة الواعظين ص181 ومستدرك الوسائل ج11 ص80 وبحار الأنوار ج44 ص380 والعوالم، الإمام الحسين ص231 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص309 والكامل في التاريخ ج4 ص52 وإعلام الورى ج1 ص451.

(2) الإرشاد ج2 ص96 ومستدرك الوسائل ج11 ص80 وبحار الأنوار ج45 ص5 والعوالم، الإمام الحسين ص249.

(3) البرصان والعرجان ص333.

والحكمة، والعقل، والتدبير السليم هي التي تهيمن على حياة الناس، وتحكم تصرفاتهم، لأن لها ثباتاً ووضوحاً يعطي السكينة والطمأنينة، ويهيء الفرصة للتخطيط الواعي لتنمية القدرات، وتهيئة وسائل وأدوات العيش الكريم.

أما إذا لم يعد للقيم والمبادئ ولا للعقل دور في الحياة، فلا يمكن التحكم بالمستقبل، ولا مجال بعد لرصد حركة الواقع، ولا لوضوح الرؤية فيه. ويفقد الإنسان القدرة على التخطيط له، فيصبح التعامل معه عشوائياً، وغير ذي جدوى، حيث يأكل القوي الضعيف، وتتبخر المنجزات في حمى الصراعات التي تهدم كل بناء، وتقضي على كل إنجاز، لأن الطواغيت وأهل الباطل لا يملكون فيها إلا فلسفة واحدة وهي فلسفة قتل وخنق نبضات الحياة، والفساد والإفساد لكل ما فيها، واقتلاع شجرة الخير، والسعادة، والصلاح والفلاح من واقع المجتمع الإنساني. واستبدال ذلك كله بالخراب والدمار، والشقاء والخزي والبوار. ولا يملك أحد أية وسيلة للتخلص من هذا الخراب والشقاء، واستبداله بالأمن والسلام، والسلامة والسعادة، وإشاعة الخير، لتصبح الحياة رضية وهنية، ودائمة وأبدية، ضاربة جذورها في أعماق هذا الوجود، لتكون الأصالة للبقاء، لا للفناء.. لكي تنطلق بعين الله، وبهدايته ورعايته، لتنتهي إلى رحابه الواسعة، رحاب الرضا، والكرامة الإلهية، التي لا تحول ولا تزول..

من هنا كان لا بد لأهل الحق من الركون إلى البينة، والارتهان

بالحجة، فتكون هي المرجع والمآل في كل إقدام وإحجام، في الحرب أو في السلام.. وهذه هي أطروحة الأنبياء، ودعاة الخير، وهذا هو السلاح الأمضى الذي يشهرونه في وجه الباطل وأهله..

أما أهل الباطل، فليست لديهم دعوة حق، لتكون لهم حجة يستندون عليها، ويركنون إليها، وإنما هم دعاة عدوان، وطلاب خراب، كل همهم هو الإستئثار بجهد الآخرين، ليجعلوه طعمة لأهوائهم، ووقوداً لشهواتهم ومرتعاً لغرائزهم.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل إن جهدهم ينصرف إلى السعي الدؤوب لتعطيل قدرات وطاقات الآخرين، وتدميرها، لتصبح سقيمة وعقيمة دون أن يفكروا باستبدالها بقوى إنتاجية بديلة..

وقد قرر «عليه السلام» هنا: أن أهل الحق يملكون الحجة البالغة على حقهم. وأن الآخرين معتدون ومبطلون.. وعدوانيتهم هذه هي عنوان وجودهم، وأسُّه وقوامه، وعقده ونظامه..

وهذا ليس مجرد ادِّعاء بلا شاهد ولا دليل، لأن دليله هو الواقع العملي نفسه، فإن هذا الوجود العدواني لا بد له من أن يعبر عن نفسه وإنما يعبر عنها بالإفساد وبالعدوان.

وهذه حجة أخرى مستلة من متن الواقع له «عليه السلام» على معاوية وفريقه..

لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح:

تقدم: أنه «عليه السلام» أوصى أصحابه في كل موطن: بأنه إذا كانت الهزيمة ـ أي هزيمة العدو ـ فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح.. وصرح في كتاب الكافي عن عبد الرحمان بن جندب، وفي الطبري أيضاً: بأنه «عليه السلام» قد قال ذلك في حرب صفين..

فيرد هنا سؤال: وهو أن هناك رواية أخرى رواها في الكافي، عن شريك أنه قال: لما انهزم الناس يوم الجمل قال علي «عليه السلام»: «لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح».

ولما كان يوم صفين قتل «عليه السلام» المقبل والمدبر، وأجهز (وأجاز) على جريح.

فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفان؟!

فقال: إن أهل الجمل قُتِلَ طلحة والزبير.. وإن معاوية كان قائماً بعينه. وكان قائدهم [1].

ونجيب:

بأن هذا الحديث إنما يتحدث في صورة ما إذا قتل معاوية، أو

---

(1) الكافي ج5 ص33 وتهذيب الأحكام ج6 ص156 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص74 و 75 و (الإسلامية) ج11 ص55 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص235 وبحار الأنوار ج33 ص446 وج97 ص27 وإختيار معرفة الرجال ج2 ص482.

أسر، أو هرب ولم يعد يمكن اعتباره فئة للمهزومين، حيث لا بد في هذه الحال من عدم قتل المدبر، وعدم الإجهاز على الجريح، ويكون حكم صفين ـ في هذه الحال ـ كحكم حرب الجمل.

أما إذا بقي معاوية فئة يرجع إليها المدبر، ويستند إليه الجريح، فلا بد من قتلهما في هذه الحال..

إلا إذا رأى الإمام أن من المصلحة عدم إجراء هذا الحكم، كما لو كان بيد معاوية أسرى وجرحى، يخشى من مبادرة معاوية لقتلهم لو علم أن أسيره، أو جريحه، والمدبر من أعوانه قد قتل..

وهذا يفسر لنا ما روي، من أن علياً «عليه السلام» كان لا يجهز على الجرحى، ولا على من أدبر من صفين، لمكان معاوية[(1)]. أي حذراً من أن يفعل معاوية بأصحاب علي «عليه السلام» مثل ذلك، فيقتل جرحاهم.

وهذا ما أوضحه النص الذي رواه المنقري عن الشعبي قال: أسر علي «عليه السلام» يوم صفين أسرى، فخلى سبيلهم، فأتوا معاوية.

وكان عمرو بن العاص أشار على معاوية بقتل بعض الأسرى الذين كانوا عندهم، فما شعروا إلا بأسراهم قد أتوهم، فقال معاوية لعمرو: لو أطعناك لوقعنا في قبيح.

---

(1) صفين للمنقري ص519 وبحار الأنوار ج97 ص39 ومستدرك الوسائل ج11 ص55.

فأمر بتخلية من في يده[1].

قالوا: وكان علي «عليه السلام» إذا أُخِذ أسير من أهل الشام خلى سبيله، إلا أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً، فيقتله به، فإذا أخلي سبيله، وعاد الثانية قتله[2].

وهذا كما جرى لأبي عزة الجمحي في بدر، فإنه كان قد أسر ثم أطلق فلما أسر في المرة الثانية قتله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فراجع[3].

(1) صفين للمنقري ص518 و 519 وبحار الأنوار ج97 ص39 ومستدرك الوسائل ج11 ص50 وأعيان الشيعة ج1 ص514.
(2) صفين للمنقري ص519 وبحار الأنوار ج97 ص39 ومستدرك الوسائل ج11 ص50 وأعيان الشيعة ج1 ص514 وميزان الحكمة ج3 ص2501.
(3) السنن الكبرى للبيهقي ج9 ص65 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص177 وتخريج الأحاديث والآثار ج3 ص295 و 296 ونصب الراية ج4 ص261 و 262 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص242.

الفصل الرابع:

دلالات غيبية
في ساحة المعركة

معالجة ريب المرتابين:

روى نصر، عن يحيى بن يعلى، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن زيد بن أبى رجاء، عن أسماء بن الحكم الفزارى قال: كنا بصفين مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» تحت راية عمار بن ياسر، ارتفاع الضحى ـ استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقرئ الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟!

فقال عمار بن ياسر: هذا عمار.

قال: أبو اليقظان؟!

قال: نعم.

قال: إن لي حاجة إليك، فأنطق بها علانية أو سراً؟!

قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت.

قال: لا، بل علانية.

قال: فانطق.

قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذى نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه، صباح يومنا هذا، فتقدم منادينا فشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونادى بالصلاة.

فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحد، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت.

فأتيت أمير المؤمنين، فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟!

قلت: لا.

قال: فالقه، فانظر ما يقول لك فاتبعه.

فجئتك لذلك.

قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي، فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن.

أشهدت بدراً، وأحداً، وحنيناً، أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟!

قال: لا.

قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله «صلى الله عليه

وآله» يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين. وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب.

هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟! فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً، فقطعته وذبحته. والله لدماؤهم جميعاً أحل من دم عصفور.

أفترى دم عصفور حراماً؟!

قال: لا، بل حلال.

قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، أتراني بينت لك؟!

قال: قد بينت لي.

قال: فاختر أي ذلك أحببت.

قال: فانصرف الرجل.

ثم دعاه عمار بن ياسر، فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا.

والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذباب.

والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يُبْلِغونا سعفات هجر لعرفت أنَّا على حق وهم على باطل.

وأيم الله لا يكون سلماً سالماً أبداً حتى يبوء أحد الفريقين على

أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق، وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم.

ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياؤهم على الباطل(1).

روى نصر، عن يحيى، عن علي بن حَزَوَّر، عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم: الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحج واحد، فبم نسميهم؟!

قال: تسميهم بما سماهم الله في كتابه.

قال: ما كل ما في الكتاب أعلمه.

قال: أما سمعت الله قال: **(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)**.. إلى قوله: **(وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ)**(2).

فلما وقع الإختلاف كنا نحن أولى بالله، وبالكتاب، وبالنبي، وبالحق.

فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم

---

(1) صفين للمنقري ص321 و 322 وبحار الأنوار ج32 ص491 و 492 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص256.

(2) الآيات 253 ـ 256 من سورة البقرة.

هدى، بمشيئة الله ربنا وإرادته(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

الصلاة واحدة:

قد يقال: ذكر ذلك الرجل لعمار بن ياسر: أن جماعة معاوية وجماعة علي «عليه السلام» قد صلوا صلاة واحدة.. وهذا لا ينسجم مع ما روي عن حذيفة، من أنه قال: «فابتلينا حتى ما يستطيع الرجل منا أن يصلي إلا سراً»(2). ولا ينسجم مع ما ذكروه، من أن الناس قد ضيعوا الصلاة، حتى لم يبق منها إلا النداء بالصلاة(3). ولا ينسجم أيضاً مع قول عمران بن حصين حين صلى خلف علي «عليه

(1) صفين للمنقري ص322 و 323 وبحار الأنوار ج32 ص493 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص258 وكشف الغمة ج2 ص18 وغاية المرام ج4 ص309 وج6 ص39.

(2) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج1 ص91 وصحيح البخاري (ط سنة 1309 هـ ق) ج2 ص116 ومسند أحمد ج5 ص384 وسنن ابن ماجة ج2 ص1337 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص619 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص276 وصحيح ابن حبان ج14 ص171 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص228 وإمتاع الأسماع ج9 ص346.

(3) الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج1 ص93 وجامع بيان العلم ج2 ص244.

السلام» آخذاً بيد مطرف بن عبد الله: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد.

وقول أبي موسى أيضاً[1].

ونجيب:

بالنسبة لحديث حذيفة نقول:

المراد به: أن الناس كانوا يستهزئون بمن يصلي ويسخرون منه، ويؤذونه.

أما حديث أنه لم يبق إلا النداء بالصلاة، فالمراد: تضييع حدود الصلاة، والتلاعب بنصوصها، وإن كانت صورتها باقية. والذي سلم منها هو النداء بها. أي أنهم بقوا يؤذنون، ويدعون الناس إلى الصلاة..

---

(1) راجع: أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص180 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص68 وكنز العمال ج8 ص143 عن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والمصنف للصنعاني ج2 ص63 ومسند أبي عوانة ج2 ص105 ومسند أحمد ج4 ص428 و 429 و 441 و 444 و 400 و 415 و 392 في موضعين و 432 والغدير ج10 ص202 و 203 وكشف الأستار عن مسند البزار ج1 ص260 والبحر الزخار ج2 ص254.

وعن المصادر التالية: صحيح البخاري ج2 ص209 وصحيح مسلم ج1 ص295 وسنن النسائي ج1 ص164 وسنن أبي داود ج5 ص84 وسنن ابن ماجة ج1 ص296 وفتح الباري ج2 ص209 والمصنف لابن أبي شيبة ج1 ص241.

وهكذا يقال بالنسبة لتذكره صلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن الخشوع والخضوع لله قد فقد فيها.

إرجاع الأمر إلى عمار:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان أعلم من عمار في الدين، والأحكام والسياسات، وفي كل شيء، وأعرف منه بأساليب الإقناع، وبحالات الناس، وميزاتهم، وخصائصهم، وثقافاتهم، ودرجات فهمهم واستيعابهم للأمور، وغير ذلك من شؤون وأحوال، وحقائق ودقائق، فلماذا أرجع «عليه السلام» هذا الرجل إلى عمار؟! ولماذا لم يتولَّ هو إجابته عن أسئلته، وإزالة شكوكه؟!

ونجيب:

بأن علم علي «عليه السلام» وبصيرته في الأمور لا تكفي لتحقيق الغاية التي كان «عليه السلام» يريد تحقيقها.. بل يحتاج إلى معرفة الناس بهذا الأمر، وقبولهم به، ونجوعهم له، ولا سيما مع كثرة الوسواسين الخناسين الذين يصدون الناس عنه «عليه السلام».. فكانت هناك حاجة إلى الإستعانة بعناصر أخرى تفصح لهم عما يقوله علي «عليه السلام»، فقد يساعد ذلك على الكشف عن بصيرتهم، ويزيد في وضوح الأمر لهم.

بل إن المطلوب أكثر من ذلك. فإن الأمر لا ينحصر بهذا السائل، بل يتعداه إلى كثيرين آخرين، قد ضللتهم أباطيل وأضاليل أعدائه «عليه السلام»، ولكنهم لم يعبروا عنها، ولم يسعوا لاستبدالها باليقين،

لأسباب تخصهم، وتتعدد وتختلف من شخص لآخر.

كما أن المطلوب هو سد أبواب الإحتمالات التي قد تروج لها فئات ترى أن من مصلحتها إثارة الغبار الذي يحجب الحقائق عن أنظار الناس، خدمة منهم للنهج الأموي الذي يرون أنه عاجز عن تقديم تصور واضح وسليم عن حقيقة ما جرى.. وهو يحتاج إلى تعكير أجواء الصفاء والنقاء، وكل هذا الوضوح الطافح بالطهر في النهج العلوي.

فإذا جاء بيان الحق على لسان عمار، الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه[1]، والذي يعرف الجميع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد

---

(1) راجع: الأمالي للصدوق ص324 وروضة الواعظين ص281 وبحار الأنوار ج22 ص319 وج33 ص25 وج43 ص46 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص379 والغدير ج9 ص24 و 25 وج10 ص18 و 87 و 312 وسنن ابن ماجة ج1 ص52 وسنن النسائي ج8 ص111 وفضائل الصحابة للنسائي ص50 والمستدرك للحاكم ج3 ص392 ومجمع الزوائد ج9 ص295 وفتح الباري ج7 ص72 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص217 و 524 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص74 وج6 ص532 وصحيح ابن حبان ج15 ص552 والإستيعاب ج3 ص1137 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص103 وج20 ص38 والجامع الصغير ج2 ص178 و 539 وكنز العمال ج11 ص722 و 724 وفيض القدير ج4 ص473 وج6 ص5 والدرجات الرفيعة ص257

أخبر بأنه قتيل الفئة الباغية(1)، ويعرفون أنه مع الحق(2). وكان

وعلل الدارقطني ج4 ص152 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص359 و 391 و 392 و 393 وج60 ص168 وأسد الغابة ج5 ص383 وتهذيب الكمال ج21 ص222. وراجع: سير أعلام النبلاء ج1 ص413 والإصابة ج4 ص473 وتهذيب التهذيب ج7 ص358 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص573 والوافي بالوفيات ج22 ص233 والبداية والنهاية ج7 ص345 وصفين للمنقري ص323 وينابيع المودة ج2 ص77 والنهاية في غريب الحديث ج4 ص333 ولسان العرب ج6 ص347 وتاج العروس ج9 ص196 وحليف مخزوم (عمار بن ياسر) ص75 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص285 وج6 ص134 وج16 ص503.

(1) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج2 ص142 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج2 ص345 وتاريخ الخميس ج1 ص345 والأعلاق النفيسة، ووفاء الوفاء ج1 ص329 والسيرة الحلبية ج2 ص72 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج1 ص365 وحليف مخزوم (عمار بن ياسر) ص81 وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج3 ص40 و 50 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص44 وسبل الهدى والرشاد ج3 ص336 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص423 عن العقد الفريد (ط الشرقية بمصر) ج2 ص204 وقد ذكره في الغدير ج9 ص21 و 22 و 27 وج10 ص312 عن مصادر كثيرة.

(2) راجع: الغدير ج1 ص331 وج8 ص343 وج9 ص25 و 259 وج10 ص312 ونهج السعادة ج2 ص239 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج3 ص187 و (ط دار صادر) ج3 ص262 وخلاصة عبقات

الصحابة وغيرهم يتبعونه حيثما توجه ليكونوا معه، لأن في ذلك نجاتهم، فإنه يكون أعظم أثراً، وأبعد عن وساوس ودسائس وتزيينات أهل الباطل، الذين قد يثيرون الشبهات حول ما يقوله علي «عليه السلام»، ولو بزعم أنه يجرُّ النار إلى قرصه، ويتصرف في الأمور بما يتوافق مع هوى نفسه.

بخلاف ما إذا سمعوا الحق من لسان من يضحي بنفسه لأجل قضية ترتبط بغيره، فإن نفس تضحيته أصدق شهادة على اعتقاده بحقانية القضية التي يدعو إليها ذلك الغير.. فإذا انضم إليها شهادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحقانية موقفه، وإخباره الغيبي بما يجري له، وتصريحه بضلال وببغي الفئة التي ترتكب جريمة قتله.

وانضم إلى ذلك استدلالاته، وحججه التي تعتمد على النصوص القرآنية، والأحكام العقلية الصريحة، وعلى سائر الشواهد والدلائل

الأنوار ج3 ص61 ونهج السعادة ج2 ص239 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص539 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص476 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص101 وحليف مخزوم (عمار بن ياسر) ص245 وراجع: الدرجات الرفيعة ص260 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص127 وبحار الأنوار ج44 ص35 وعلل الشرائع ج1 ص223 والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج3 ص177 والإستغاثة ج1 ص54 والكنى والألقاب ج1 ص187.

والمشاهدات التي يزخر بها الواقع العيني، فإنه سوف لا يبقى عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

عمار لم يكن إماماً:

وغني عن البيان: أن هذا الرجل المرتاب لم يكن يعتقد بإمامة أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وقد قلنا: إن أكثر من كان مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا لا يعرفون الإمام «عليه السلام» بصفته إماماً.. بل كان أكثر الناس يتعاملون معه على أساس أنه خليفة قد بايعه البدريون، وأهل بيعة الرضوان، والمهاجرون والأنصار بيعة شرعية صحيحة، وخالفه الطلقاء وأبناء الطلقاء، ونازعوه في أمر لا حق لهم فيه..

وقد أوضح «عليه السلام» ذلك للناس، وعرفهم أن معاوية إنما جاء ليحاربه طمعاً في الملك، وأن ما يدَّعيه عليه من قتل عثمان افتراء محض. وأن الناس قد نقموا على عثمان أموراً حاول «عليه السلام» أن يدفعه إلى التراجع عنها، فكان عثمان يعد بذلك ثم يخلف وعده.

وقد حاول «عليه السلام» الدفع عنه، فلم يصل إلى نتيجة.. وبين لهم مرات وكرات أن من جملة قتلة عثمان الحقيقيين عائشة وطلحة والزبير، ومعاوية وغيرهم، وهم الذين نكثوا بيعته، وحاربوه في الجمل ثم في صفين.

ثم كان «عليه السلام» يظهر للناس المعجزات والكرامات، ويخبرهم بالأمور الغيبية، بصورة تكاد تكون متواصلة.. ويظهر الكثير من علومه التي اختصه الله ورسوله بها، ليؤكد لهم معنى الإمامة فيه.

وكان من الضروري جداً أن يسمع الناس الحقائق من لسان غيره «عليه السلام»، وخصوصاً خيار وكبار الصحابة «رضوان الله تعالى عليهم».. ومن العلماء المعروفين بالدين والورع، ليتأكد لهم أن الحق له ومعه، وأن من ناوأه وحاربه خارج عن خط الإستقامة والدين.. وهذا ما كان يحصل بالفعل.

عمار يخبر بالغيب:

واللافت هنا: أن عماراً «رحمه الله» لم يكتف ببيان الحق لذلك الرجل بصورة تقريرية، بل استدرك ذلك بإخبار غيبي لا شك أنه قد تلقاه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يبين فيه عاقبة ونتائج هذه المواجهة وما يجري له، ولجماعة أهل الحق، ليكون ذلك اتصالاً مباشراً منه «رحمه الله» بوجدان الناس.. وحصانة لهم من الوقوع تحت تأثير التشويه، والتمويه والخداع..

علي × وشمعون الصفا:

قال المجلسي:

روى علي بن حسان، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد

الله «عليه السلام» قال: خرج أمير المؤمنين «عليه السلام» يريد صفين، فلما عبر الفرات، وقرب من الجبل، وحضر وقت صلاة العصر أمعن بعيداً، ثم توضأ فأذَّن، فلما فرغ من الأذان انفلق الجبل عن هامة بيضاء، ولحية، ووجه أبيض فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحباً بوصي خاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الوصيين.

فقال علي «عليه السلام»: وعليك السلام يا أخي شمعون بن حمون الصفا، وصي روح القدس عيسى بن مريم كيف حالك؟!

قال: بخير يرحمك الله، أنا منتظر نزول روح القدس، فاصبر يا أخي على ما أنت عليه من الأذى، فاصبر يا أخي حتى تلقى الحبيب غداً، فلم أعلم أحداً أحسن بلاء في الله منكم، ولا أعظم ثواباً، ولا أرفع مكاناً.

وقد رأيت ما لقي أصحابك بالأمس من بني إسرائيل، فإنهم نشروا بالمناشير، وصلبوا على الخشب.

فلو تعلم تلك الوجوه المارقة المفارقة لك ما أعد الله لها من عذاب النار، والسخط والنكال لأقصرت. ولو تعلم هذه الوجوه المتمنية بك ما لها من الثواب في طاعتك، لتمنت أن تقرض بالمقاريض.

وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قال: والتأم عليه الجبل، وخرج [علي «عليه السلام»] إلى القتال.

فسأله عمار بن ياسر، ومالك الأشتر، وهاشم بن عتبة بن أبي

وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وقيس بن سعد الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبادة بن الصامت عن الرجل، فأخبرهم أنه شمعون بن حمون الصفا، وكانوا قد سمعوا كلامهما، فازدادوا بصيرة في المجاهدة معه.

وقال عبادة بن الصامت، وأبو أيوب: بأمهاتنا وآبائنا نفديك يا أمير المؤمنين، فوالله لننصرنك كما نصرنا أخاك رسول الله، والله ما تأخر عنك من المهاجرين والأنصار إلا شقي. فدعا لهما بالخير.

وروى المجلسي أيضاً عن المفيد، عن علي بن بلال، عن علي بن عبد الله الأصفهاني، عن الثقفي، عن إسماعيل بن يسار، عن عبد الله بن ملح، عن عبد الوهاب بن إبراهيم، عن أبي صادق، عن مزاحم بن عبد الوارث، عن محمد بن زكريا، عن شعيب بن واقد، عن محمد بن سهل، [عن أبيه]، عن قيس مولى علي بن أبي طالب «عليه السلام» مثله(1).

ونقول:

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص42 و 43 وج6 ص238 و 239 وج39 ص134 و 135 عن بصائر الدرجات، ومناقب آل أبي طالب، والخرايج والجرايح ج2 ص743 - 745 وعن الأمالي للشيخ المفيد ص104 - 106 وبصائر الدرجات ج2 ص38 و 39 والإيقاظ من الهجعة ص182 وإثبات الهداة ج4 ص508 و 509 وج3 ص566 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص246 وعن الثاقب في المناقب (مخطوط) ص191.

يستوقفنا في هذا النص ما يلي:

سند النص:

إن هذا النص قد لا يتوفر له سند يلحقه بالروايات الصحيحة، ولكننا قد ذكرنا فيما سبق أن هذا غير ضائر.. فلا حاجة إلى الإعادة..

كرامة وهداية:

وتقدم أيضاً في بيان ما يستفاد من حديث الجلند بن كركر: أن هذا النوع من الكرامات والمعجزات إنما هو لمصلحة الناس، ومن موارد اللطف الإلهي بهم، وتيسير اليقين لهم..

الأذان لصلاة العصر:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لما عبر الفرات، وقرب من الجبل، وحضر وقت صلاة العصر توضأ وأذَّن.. فيرد هنا سؤال: هل كان «عليه السلام» يؤذِّن لكل صلاة من الصلوات الخمس على حدة؟! للظهر مرة، وللعصر مرة أخرى؟!

أم أن الأذان كان يقتر على ثلاثة أوقات؟!

ونجيب:

أولاً: إن هذا النص لا يدل على أنهم كانوا يؤذنون خمس مرات. فإن عبور الفرات لجيش قد يصل عدده إلى نحو مئة ألف قد يحتاج إلى ساعات عديدة، فإذا كان قد بدأ قبيل الظهر، فقد لا ينتهي في أوائل

العصر. فلعل أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أذَّن بعد انتهاء عبور جيشه ليصلي من لم يكن قد صلى في تلك الفترة.

ثانياً: لعل الجيش كان حين دخول وقت الظهر في منطقة كانت قد تعرضت للخسف، ولا يصلي فيها نبي ولا وصي نبي، وقد حصل الخروج منها إلى غيرها حين حلول وقت العصر.

ثالثاً: إن رواية المفيد، والصفار، وغيرهما قد ذكرت: أن هذا الأمر قد حصل عند صلاة المغرب لا حين صلاة العصر.

وذكرت أيضاً أنه قد حصل في صفين بالذات، لا في الطريق. ولعل هذا هو الصحيح، لا سيما بملاحظة قوله المتقدم: «والتأم عليه الجبل، وخرج [علي «عليه السلام»] إلى القتال» فهل حرفت الرواية لحاجة في النفس قضيت؟! إننا لا نستطيع أن ننفي ذلك.

كيف ظهر شمعون الصفا؟!:

ولا شك في أن هذا الظهور لشمعون الصفا يثير تساؤلات واستغراباً لدى بعض الناس. ولكن مراجعة كتب الحديث والرواية تعطي: أن تمثل الأموات للأنبياء والأوصياء، وكلامهم معهم، ورؤيتهم عندهم قد تكرر حصوله مرات كثيرة. بل إن عيسى «عليه السلام» كان يحيي الموتى بإذن الله. وليس مثل هذا الأمر على الله تعالى بعزيز، فإنه قادر على كل شيء.. فلا داعي للريب والشك. ولا مبرر لاستغراب ذلك. ولا سيما إذا كان الله تعالى يريد أن يظهر

المعجزة والكرامة للنبي والوصي، لإثبات مقام النبوة والإمامة له..

الباب الخامس:

القتال في شهر صفر..

الفصل الأول: من قتال صفين: نصوص وآثار..
الفصل الثاني: أحداث نتوقف عندها..
الفصل الثالث: أحداث أخرى.. نصوص وآثار..
الفصل الرابع: من سياسات الحرب في صفين..
الفصل الخامس: طاعة إمامك أوجب من مبارزة عدوك..
الفصل السادس: لقلت لهمدان ادخلوا بسلام..
الفصل السابع: حديث المقطع العامري..
الفصل الثامن: علي × وربيعة: يستوثق من هذا.. ويمدح ذاك..
الفصل التاسع: أحداث في معركة صفين..

الفصل الاول:

من قتال صفين..
نصوص وآثار..

حجر الخير وحجر الشر:

روى نصر عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبي:

أن أول فارسين التقيا في هذا اليوم ـ وهو اليوم السابع من صفر، وكان من الأيام العظيمة في صفين، ذا أهوال شديدة ـ حجر الخير وحجر الشر.

أما حجر الخير فهو حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

وحجر الشر ابن عمه.

وذلك أن حجر الشر دعا حجر بن عدي إلى المبارزة، وكلاهما من كندة، فأجابه. فاطعنا برمحيهما، ثم حجز بينهما امرؤ من بنى أسد، وكان مع معاوية، فضرب حجراً (أي حجر الخير) ضربة

برمحه، وحمل أصحاب علي فقتلوا الأسدى، وأفلتهم حجر بن يزيد [حجر] الشر هارباً، وكان اسم الأسدى خزيمة بن ثابت(1).

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن عطاء بن السائب قال: أخبرني مروان بن الحكم أن حجراً يوم قُتِلَ الحكم بن أزهر جعل يرتجز ويقول:

أنـــا الغـــلام اليمنـي الكندي قـــد لـبس الـديباج والإفرنـدى
أنـــا الشـريـف الأريحي المهدي يـا حكـم بـن أزهـر بـن فهـد
لقـد أصـبـت غـارتي وحـدي وكـــرتى وشـــدتي وجـــدي
أثـبـت أقـاتـلك الـغـداة وحـدي

فلما أن أصاب الحكم بن أزهر حمل عليه رفاعة بن ظالم الحميرى وهو يقول:

أنـــا ابــن عـم الـحكم بن أزهـر الماجـد القمقـام حـــين يذكـــر
في الـذروتـين مـن مـلـوك حمير يـــا حجـر الشر تعـالى فـــانظر
أنـــا الغـــلام الـملك المحـبر الواضـح الوجـه كـريم العنصـر
أقــدم إذا شـئـت ولا تــأخـــر والله لا تـــرجـــع ولا تعـــثـر
في قـــاع صـفين بـواد معـــفر

ثم إن رفاعة حمل على حجر الشر فقتله، فقال علي: الحمد لله

(1) صفين للمنقري ص243 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص195 وبحار الأنوار ج32 ص467 والدرجات الرفيعة ص424.

الذى قتل حجراً بالحكم بن أزهر[1].

ونقول:

حجر الخير في الميدان:

وقد ذكر ابن أعثم: ما فعله حجر الخير، وهو حجر بن عدي الكندي كما يلي:

«خرج رجل من أصحاب معاوية أيضاً، يقال له: الأدهم بن لام القضاعي، وهو يقول شعراً. فخرج إليه حجر بن عدي الكندي، وهو يرتجز ويقول شعراً يجاوبه. ثم حمل عليه حجر بن عدي فقتله.

ثم نادى: هل من مبارز؟!

فخرج إليه الحكم بن أزهد بن فهد وهو يقول شعراً. فخرج إليه حجر بن عدي وهو يجاوبه على شعره.

قال: ثم حمل عليه حجر بن عدي فضربه ضربة فقتله.

قال: فخرج إليه من بعده ابن عم له يقال له: مالك بن مسهر القضاعي وهو يقول شعراً.

قال: فخرج إليه حجر بن عدي، وهو يجاوبه على شعره.

ثم حمل عليه حجر بن عدي فقتله.

---

(1) صفين للمنقري ص243 و 244 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص196.

ثم خرج من بعده فارس من فرسان الشام يقال له: عامر بن نوزة العامري على فرس له حتى وقف بين الجمعين، ما يبين منه شيء لكثرة ما عليه من السلاح».

ثم ذكر ابن أعثم ما ارتجز به ذلك الفارس، ثم قال: «فهم حجر بن عدي بالخروج إليه، فسبقه الأشتر الخ..»(1).

ونقول:

الفرند: ضرب من الثياب، أو الحرير. والسيف ووشيه. والإفرند: جوهر السيف ووشيه..

من هو الحكم بن أزهر؟!:

إن صريح كلام المنقري: أن الحكم بن أزهر كان من أصحاب علي «عليه السلام»، وأن الذي قتله هو حجر الشر، وهو حجر بن يزيد الكندي، وأن رفاعة بن ظالم الحميري قتل حجر الشر، فحمد علي «عليه السلام» الله على قتل حجر الشر بالحكم بن أزهر..

لكن ظاهر، بل صريح كلام ابن أعثم: أن حجر الخير، وهو حجر بن عدي بن معاوية، بن جبلة بن عدي، بن ربيعة، بن معاوية الكندي «رحمه الله»(2) هو الذي قتل الحكم بن أزهد (كذا في ابن

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص149 و 150 و (ط دار الأضواء) ج3 ص91 و 92.

(2) راجع: الإصابة (ط دار الكتب العلمية سنة 1415هـ) ج2 ص32

أعثم، والظاهر: أنه تصحيف أزهر)[1].

والصحيح: هو ما ذكره المنقري، فإن كتابه أكثر متانة، وضبطاً. أما كتاب ابن أعثم، فهو وإن كان جيداً في مطالبه، ولكنه لا يخلو من بعض التشويش والضعف في تعابيره وتراكيبه ومطالبه، وإن كانت تحمل نفس المعاني قريباً كما لا يخفى على من راجع وقارن بين ما رواه ابن أعثم من نصوص وما رواه غيره، كالمنقري مثلاً..

وقد يقال: إن مما يدل على صحة ما أورده المنقري، ما ذكره العسقلاني، من أن حجر الشر هو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة بن حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي، كان مع علي «عليه السلام» يوم الجمل، واتصل بمعاوية، فاستعمله على أرمينية[2]. فإن هذا يدل على أن حجر الشر لم يقتل في صفين.

والغارات للثقفي ج2 ص809 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن ـ أوربا) ج6 ص151 و (ط دار صادر بيروت) ج6 ص217 وأسد الغابة ج1 ص385 وسير أعلام النبلاء للذهبي ج3 ص462 و 463.

(1) وعند الدينوري: أزهر. راجع: الأخبار الطوال ص175. وكذا في صفين للمنقري.

(2) راجع: الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص34 وتاريخ مدينة دمشق ج12 ص234 و 235 وأسد الغابة ج1 ص387 وسير أعلام النبلاء للذهبي ج3 ص467 وتاج العروس ج6 ص246.

ويمكن أن يقال: إنه لا يدل على ذلك، إذ لعله ولاه على أرمينية قبل المسير إلى صفين، فلما أراد المسير إليها استحضره منها وسار معه، فقتل.. وقد كان قيس بن سعد في مصر، فلما عزم «عليه السلام» على المسير إلى صفين حضر قيس منها وشارك في صفين، وكذلك الحال بالنسبة لغيره من الولاة على البلاد، وقد تقدم بعض من ذلك..

فرح علي × بقتل القاتل:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» حمد الله على قتل حجر الشر، وكان مسروراً بقتله، ومن الواضح: أن ذلك لم يكن تشفياً به، أو حنقاً عليه لمجرد عداوته، بل لأجل أنه «عليه السلام» كان يفرح بقتل كل من محض الشر محضاً، وكل قاتل وباغ على إمامه، ومخالف لأحكام دينه، وهي مخالفات حكم الله تعالى على فاعلها بهذه العقوبة، كالذي تعمد قتل مؤمن في حالة البغي على الإمام والعدوان عليه. فإن حكمه في شرع الله القتل، وعلي «عليه السلام» يفرح لإنفاذ حكم الله فيه.

ويشهد لذلك: أننا لم نجده «عليه السلام» يظهر سروره لكل قتل كان يحصل كلما حصل. ولكن المسلمين فرحوا بقتل عمرو بن عبد ود، وبقتل مرحب، وغير ذلك.

إبن العاص يحرض أصحابه:

قال نصر: وفى حديث عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن

وهب، أن عمرو بن العاص قال يومئذ:

لا تــأمــنــنــا بــعدها أبــا حــسن إنــا نمر الحــرب إمــرار الرســن

لتصـــبحـــن مثـــلـــها أم لُبُـــنِ طـــاحـــنة تدقكـم دق الحفــن

فأجابه شاعر من شعراء أهل العراق:

ألا احــذروا في حربكم أبا الحسن ليثــاً أبــــا شــبلين محـــــذوراً فطـــن

يــدقكم دق المهــاريس الطـــحن لتغبـنن يـــا جــاهلـــاً أي غــبن

حتى تعـض الكف أو تقرع سن نـدامـــــة أن فـــــاتكم عـــــدل السنن(1)

ولكن ابن أعثم، يقول:

إن هذا الرجز الأخير هو لعلي «عليه السلام» حين قتل حريث مولى معاوية، وهو عنده كما يلي:

ألا احــذروا في حربكم أبا الحسن ولا ترومـــوه فــــذا أم الغـــبن

فـــإنه يدقــكـم دق الطـــحن ولا يخاف (في)(2) الهياج من ومن

---

(1) صفين للمنقري ص242 و 243 وراجع: الأخبار الطوال ص175.

(2) زدنا كلمة (في) لكي يستقيم الوزن.

وقد غزا في الناس في وقت اللبن[1]

ونقول:

إيضاحات:

أم لُبُن: بضم اللام والباء جمع لبون. وهي ذات اللبن من الإبل.

الحفن: بضم الحاء، جمع حفنة، وهي ملء الكفين من طعام. ولا يكون إلا من شيء يابس كالدقبق ونحوه.

المهاريس: جمع مهراس. وهو حجر طويل أملس يهرس به الحب

السنن: بفتح السين. الطريق المستقيم.

ولسنا بحاجة إلى التعليق على هذا النص..

علي × يثأر لمولاه:

1 - روى المنقري عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، قال: مر علي «عليه السلام» يومئذ ومعه بنوه [الحسن والحسين ومحمد] نحو الميسرة، [ومعه ربيعة وحدها]، وإنى لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه ـ وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه، فيكره على ذلك، فيتقدم عليه فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص40 و (ط دار الأضواء) ج3 ص30.

ـ فيلقيه بين يديه، أو من ورائه[1].

فبصر به أحمر ـ مولى أبى سفيان، أو عثمان، أو بعض بنى أمية ـ فقال علي «عليه السلام»: ورب الكعبة، قتلني الله إن لم أقتلك، أو تقتلني!

فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي «عليه السلام»، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بنى أمية، وخالط علياً «عليه السلام» ليضربه بالسيف، فانتهزه علي «عليه السلام» فتقع يده في حبيب درعه، فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق علي «عليه السلام»، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده، وشد ابنا علي «عليه السلام» عليه: الحسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما [حتى برد].

فكأني أنظر إلى علي «عليه السلام» قائماً وشبلاه يضربان الرجل، حتى إذا أتيا عليه أقبلا إلى أبيهما والحسن معه قائم، قال: يا بنى، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟

قال: كفياني يا أمير المؤمنين[1].

---

(1) صفين للمنقري ص249 وبحار الأنوار ج32 ص469 ونهج السعادة ج2 ص203 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص198 والدرجات الرفيعة ص421 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص18 و (ط الأعلمي) ج4 ص12 و 13 والأخبار الطوال ص182 وشجرة طوبى ج2 ص331.

لكن ابن أعثم يروي قصة أحمر وكيسان بنحو آخر، فيقول:

قال: وخرج مولى لعثمان بن عفان يقال له أحمر، حتى وقف بين الصفين، وجعل يرتجز ويقول:

إن الكتيبة عند كل تصادم تبكي فوارسها على عثمان
قوم حماة ليس منهم قاسط يبكون كل مفصل وسنان

قال: فخرج إليه كيسان مولى علي «عليه السلام» مجيباً له، وهو يقول:

قف لي قليلاً يا أحيمر إنني مولى التقي الصادق الإيمان
عثمان ويحك قد مضى لسبيله فاثبت لحد مهند وسنان

قال: فحمل عليه مولى عثمان، فطعنه طعنة جدله قتيلاً، فقال علي «عليه السلام»: قتلني الله إن لم أقتلك يا عدو الله!

ثم حمل عليه علي «عليه السلام» وتلقاه مولى عثمان بالسيف، وهو لم يعرفه فضربه، واتقاه علي «عليه السلام» بجحفته، ثم مد علي يده إليه، وقبض على ثوبه، ثم رفعه عن قربوصه وضرب به الأرض، فكسر منكبه وأضلاعه.

---

(1) صفين للمنقري ص249 وبحار الأنوار ج32 ص469 ونهج السعادة ج2 ص203 و 204 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص198 والدرجات الرفيعة ص421 و 422 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص18 - 21 و (ط الأعلمي) ج4 ص12 و 13 والكامل في التاريخ ج3 ص298 و 299.

ثم جال علي «عليه السلام» في ميدان الحرب، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

لـهف نـفسي وقلـيل مـا أسـر ما أصاب الناس من خير وشر
لـم أرد فـي الدهر يومـاً حـربهم وهـم السـاعون فـي الشـر الشمر(1)

علي × لا يبالي بالموت:

2 ـ ثم إن أهل الشام دنوا منه، والله ما يزيده قربهم منه [ودنوهم إليه] سرعة في مشيه، فقال له الحسن «عليه السلام»: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهى إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟! [قال: يعنى ربيعة الميسرة].

قال: يا بني، [إن] لأبيك يوماً لن يعدوه، ولا يبطئ به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشى.

إن أباك والله ما يبالى: وقع على الموت، أو وقع الموت عليه(2).

3 ـ وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» كان يطوف بين الصفين في غير آلة، فقال له ابنه الحسن «عليه السلام»: ما هذا زي الحرب!!

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص29 و (ط الهند) ج3 ص38 و 39 وراجع: مطالب السؤول ص223 وكشف الغمة ج1 ص252 وبحار الأنوار ج70 ص180.
(2) صفين للمنقري ص249 و 250.

فقال «عليه السلام»: يا بني، إن أباك لا يبالي، وقع على الموت، أو وقع الموت عليه(1).

4 - وروى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى إسحاق، قال: خرج علي «عليه السلام» يوم صفين وفي يده عَنَزَةٌ، فمر على سعيد بن قيس الهمداني، فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك؟!

فقال له علي «عليه السلام»: «إنه ليس من أحد إلا عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى في قليب، أو يخر عليه حائط، أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه»(2).

الأشتر يستثيب الناس:

5 - وروى نصر، عن عمر، عن فضيل بن خديج، عن مولى

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص119 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص385 وحلية الأبرار ج2 ص63 وبحار الأنوار ج41 ص2 وينابيع المودة ج1 ص203 ومجمع البيان ج1 ص320 و (ط الأعلمي) ج1 ص309 وتفسير نور الثقلين ج1 ص103 وتفسير كنز الدقائق ج1 ص301.

(2) صفين للمنقري ص250 وبحار الأنوار ج32 ص470 وج67 ص181 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص199 ومستدرك الوسائل ج11 ص202 .

الأشتر قال: لما انهزمت ميمنة أهل العراق أقبل علي «عليه السلام» يركض نحو الميسرة يستثيب الناس، ويستوقفهم، ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع، حتى مر بالأشتر فقال له: يا مالك.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: ائت [هؤلاء] القوم، فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقي لكم؟!

فمضى الأشتر، فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هؤلاء الكلمات التى أمره علي «عليه السلام» بهن، وقال: أيها الناس، أنا مالك بن الحارث ـ [يكررها ـ فلم يلو أحد منهم عليه].

ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أيها الناس، أنا الأشتر، إلي أيها الناس.

فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة(1)، فقال: عضضتم بهن أبيكم، ما أقبح [والله] ما قاتلتم اليوم يا أيها الناس، غضوا الأبصار، وعضوا على النواجذ، واستقبلوا القوم بهامكم، ثم شدوا شدة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم، حنقاً على عدوهم، وقد وطنوا على الموت أنفسهم، كي لا يسبقوا بثأر.

إن هؤلاء القوم والله لن يقارعوكم إلا عن دينكم، ليطفئوا السنة،

---

(1) صفين للمنقري ص250 وبحار الأنوار ج32 ص470 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص18 و (ط الأعلمي) ج4 ص13.

ويحيوا البدعة، ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة.

فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم، فإن الفرار فيه سلب العز، والغلبة على الفيء، وذل المحيا والممات، وعار الدنيا والآخرة، وسخط الله وأليم عقابه.

ثم قال: أيها الناس، أخلصوا إلي مذحجاً.

فاجتمعت إليه مذحج، فقال لهم: عضضتم بصم الجندل! والله ما أرضيتم اليوم ربكم، ولا نصحتم له في عدوه، فكيف بذلك وأنتم أبناء الحرب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، ولا تطل دماؤهم، ولا يعرفون في موطن من المواطن بخسف، وأنتم أحدُّ أهل مصركم، وأعدُّ حى في قومكم، وما تفعلوا في هذا اليوم، فإنه مأثور بعد اليوم.

فاتقوا مأثور الحديث في غد، واصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصابرين.

والذى نفس مالك بيده، ما من هؤلاء ـ وأشار بيده إلى أهل الشام ـ رجل على مثل جناح بعوضة من دين الله.

والله ما أحسنتم اليوم القراع.

اجلوا سواد وجهى يرجع في وجهى دمي.

عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله لو [قد] فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع [مؤخر] السيل مقدمه.

قالوا: خذ بنا حيث أحببت.

فصمد بهم نحو عُظْمهم مما نحو الميمنة، وأخذ يزحف إليهم الأشتر ويردهم، ويستقبله شباب من همدان، وكانوا ثماني مائة مقاتل يومئذ، وقد انهزموا آخر الناس، وكانوا قد صبروا في ميمنة علي «عليه السلام» حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيساً، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر.

فكان أولهم كريب بن شريح، وشرحبيل بن شريح، ومرثد بن شريح، وهبيرة بن شريح، ثم يريم بن شريح، [ثم شمر بن شريح]، قتل هؤلاء الإخوة الستة جميعاً، ثم أخذ الراية سفيان بن زيد، ثم عبد بن زيد، ثم كرب بن زيد، فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعاً.

ثم أخذ الراية عمير بن بشر، والحارث بن بشر، فقتلا.

ثم أخذ الراية وهب بن كريب أبو القلوص، فأراد أن يستقبل، فقال له رجل من قومه: انصرف [يرحمك الله] بهذه الراية ترحها الله من راية، فقد قتل أشراف قومك حولها، فلا تقتل نفسك، ولا من بقى ممن معك.

فانصرفوا وهم يقولون: ليت لنا عديداً من العرب يحالفوننا، ثم نستقدم نحن وهم، فلا ننصرف حتى نقتل، أو نظهر.

فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا القول، فقال لهم الأشتر: إلي، أنا أحالفكم وأعاقدكم على أن لا نرجع أبداً حتى نظهر، أو نهلك. فوقفوا معه [على هذه النية والعزيمة].

ففى هذا القول قال كعب ابن جعيل:

وهمدان زرق تبتغي من تحالف

وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثاب إليه أناس تراجعوا من أهل البصيرة، والحياء والوفاء، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها، ولا لجمع إلا حازه ورده.

فإنه لكذلك إذ مر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: من هذا؟

قيل: زياد بن النضر، استلحم [عبد الله بن بديل] وهو وأصحابه في الميمنة، فتقدم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع.

ثم لم يمكثوا إلا كلا شيء حتى مروا بيزيد بن قيس محمولا إلى العسكر، فقال الأشتر: من هذا؟

قالوا: يزيد بن قيس، لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع.

فقال الأشتر: هذا والله الصبر الجميل، والفعل الكريم.

ألا يستحيى الرجل أن ينصرف لم يقتل ولم يقتل، ولم يشف به على القتل؟![1].

---

(1) صفين للمنقري ص250 و 254 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص199 - 202 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص18 - 21 و (ط الأعلمي) ج4 ص13 - 15 والكامل في التاريخ ج3 ص300 و 301

6 - وروى نصر، عن عمر، عن الحر بن الصياح [النخعي] أن الأشتر كان يومئذ يقاتل على فرس له، في يده صفيحة [له] يمانية إذا طأطأها خلت فيها ماء منصباً، فإذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها، ويضرب بسيفه قدماً، وهو يقول:

الغمرات ثُمَّ ينجلينا(1)

قال: فبصر به الحارث بن جمهان الجعفي، والأشتر مقنع في الحديد، فلم يعرفه، فدنا منه، وقال له: جزاك الله منذ اليوم عن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين خيراً.

فعرفه الأشتر، فقال: يا ابن جمهان، أمثلك يتخلف اليوم عن مثلي في موطني هذا الذى أنا فيه؟!

فتأمله ابن جمهان فعرفه، وكان الأشتر من أعظم الرجال وأطوله، إلا أن في لحمه خفة قليلة ـ قال: جعلت فداك، لا والله ما

وراجع: الأخبار الطوال ص182.

(1) هو مثل، رواه العسكري في الأمثال ج2 ص97، وقال: الغمرات: الشدائد، يقول: اصبر في الشدائد فإنها تنجلي وتذهب، ويبقى حسن ترك في الصبر عليها، وهو قول الراجز:

تابع إلى شية الغمرات ثم ينجلين
عنا وينزلن بآخرين شدائد يتبعهن لين

وفى مجمع الأمثل للميداني ج2 ص58: المثل للأغلب العجلي.

علمت مكانك حتى الساعة، ولا أفارقك حتى أموت.

قال: ورآه منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيان، فقال منقذ لحمير: ما في العرب رجل مثل هذا إن كان ما أرى من قتاله على نيته.

فقال له حمير: وهل النية إلا ما ترى؟!

قال: إني أخاف أن يكون يحاول ملكاً(1).

7 - وروى نصر، عن عمر، عن فضيل بن خديج، عن مولى الأشتر قال: لما اجتمع إلى الأشتر عظم من كان انهزم من الميمنة حرضهم، فقال لهم: عضوا على النواجذ من الأضراس، واستقبلوا القوم بهامكم، فإن الفرار من الزحف فيه سلب العز، والغلبة على الفيء، وذل المحيا والممات، وعار الدنيا والآخرة.

ثم حمل عليهم حتى كشفهم، فألحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب.

8 - وروى نصر، عن عمر، عن محمد بن إسحاق، أن عمرو بن حمية الكلبى خرج يوم صفين، وهو مع معاوية يدعو للبراز(2).

---

(1) صفين للمنقري ص254 و 255 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص22 و (ط الأعلمي) ج4 ص15 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص202 و 203.

(2) صفين للمنقري ص255.

خطاب علي × مع المنهزمين:

9 - وروى نصر، عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، أن علياً «عليه السلام» لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها، وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال: إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الجفاة الطغام، وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم، وعمار الليل بتلاوةالقرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون.

فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزحف دبره، وكنتم فيما أرى من الهالكين.

ولقد هون علي بعض وجدي، وشفى بعض أحاح نفسي، أني رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف، ليركب أولهم آخرهم، كالإبل المطردة الهيم.

فالآن فاصبروا، أنزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله باليقين.

وليعلم المنهزم أنه مسخط لربه، وموبق نفسه، وفي الفرار موجدة الله عليه، والذل اللازم [له، والعار الباقي، واعتصار الفيء من يده]، وفساد العيش، وإن الفار لا يزيد الفرار في عمره، ولا يرضى ربه.

فموت الرجل محقاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والإقرار عليها(1).

خثعم العراق.. وخثعم الشام:

10 - وروى نصر، عن عمر [قال: حدثنا] أبو علقمة الخثعمي، أن عبد الله بن حنش الخثعمي رأس خثعم مع معاوية، أرسل إلى أبي كعب رأس خثعم مع علي «عليه السلام»: أن لو شئت لتواقفنا فلم نقتتل، فإن ظهر صاحبك كنا معكم، وإن ظهر صاحبنا كنتم معنا، ولم يقتل بعضنا بعضاً.

فأبى أبو كعب ذلك.

فلما التقت خثعم وخثعم، وزحف الناس بعضهم إلى بعض، قال رأس خثعم الشام لقومه: يا معشر خثعم، قد عرضنا على قومنا من أهل العراق الموادعة صلة لأرحامهم، وحفظاً لحقهم، فأبوا إلا قتالنا، فقد بدأونا بالقطيعة، فكفوا أيديكم عنهم، حفظاً لحقهم أبداً ما كفُّوا عنكم، فإذا قاتلوكم فقاتلوهم.

---

(1) صفين للمنقري ص256 والكافي ج5 ص40 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص25 و (ط الأعلمي) ج4 ص17 والكامل في التاريخ ج3 ص304 و 305 ونهج البلاغة الخطبة ج2 ص2 - 4 ومستدرك الوسائل ج11 ص71 و 72 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص57 و 58 وبحار الأنوار ج97 ص28 .

فخرج رجل من أصحابه فقال: [إنهم] قد ردوا عليك رأيك وأقبلوا يقاتلونك.

ثم برز فنادى: رجل لرجل يا أهل العراق.

فغضب رأس خثعم من أهل الشام، فقال: اللهم قيض له وهب بن مسعود ـ رجلاً من خثعم من أهل الكوفة، وقد كانوا يعرفونه في الجاهلية، لم يبارزه رجل قط إلا قتله ـ فخرج إليه وهب بن مسعود، فحمل على الشامي فقتله.

ثم اضطربوا [ساعة] فاقتتلوا أشد القتال، وأخذ أبو كعب يقول لأصحابه: يا معشر خثعم: خدموا.

وأخذ صاحب الشام يقول: يا أبا كعب، [الكل] قومك فأنصف! فاشتد قتالهم، فحمل شمر بن عبد الله الخثعمي من أهل الشام على أبى كعب رأس خثعم الكوفة فطعنه، فقتله، ثم انصرف يبكى ويقول:

رحمك الله يا أبا كعب، لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحماً منهم وأحب إلي نفساً منهم.

ولكن والله ما أدرى ما أقول، ولا أرى الشيطان إلا قد فتننا، ولا أرى قريشاً إلا قد لعبت بنا.

ووثب كعب بن أبي كعب إلى راية أبيه فأخذها، ففقئت عينه وصرع، ثم أخذها شريح بن مالك، فقاتل القوم تحتها، حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلاً، وأصيب من خثعم الشام نحو منهم.

ثم إن شريح بن مالك ردها بعد ذلك إلى كعب بن أبي كعب(1).

قادة قتلوا على راياتهم:

11 - وروى نصر، عن عمرو، عن عبد السلام بن عبد الله بن جابر: أن راية بجيلة في صفين كانت في أحمس، مع أبى شداد ـ وهو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار.

فقالت له بجيلة: خذ رايتنا.

فقال: غيري خير لكم مني.

قالوا: ما نريد غيرك.

قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب ـ قال: وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب، يستره من الشمس ـ قالوا: اصنع ما شئت.

فأخذها ثم زحف وهو يقول:

إن علـــياً ذو أنــاة صــارم جلـــد إذا مــا حضـــر العـزائم
لـمـا رأى مــــا تفعـل الأشـائم قـــام لــــه الـــذروة والأكــارم
الأشـــيبـان مـالـك وهـاشـم

(1) صفين للمنقري ص257 و 258 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص205 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج27 ص416 و 417.

[وعند ابن أعثم:

لا تســـتوي أمــية وهــاشم]

ثم زحف بالراية، حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب، وكان في خيل عظيمة من أصحاب معاوية ـ وذكروا: أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ [وصاح معاوية: ويلكم دونكم الرجل].

قال: فاقتتل الناس هنالك قتالاً شديداً.

قال: وشد أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس، فتعرض له رومي من دونه لمعاوية، فضرب قدم [يد] أبى شداد فقطعها، وضربه أبو شداد فقتله، وأشرعت إليه الأسنة فقتل.

وأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي وهو يقول:

لا يـبـعــد الله أبـا شـداد حيـث أجـاب دعـوة المنــادي
وشـــد بالسيف على الأعادي نــعم الـفـتـى كـان لدى الطراد
وفي طـعان الـخـيـل والـجلاد

ثم قاتل حتى قتل.

ثم أخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع، فقاتل فقتل.

ثم أخذها عفيف بن إياس [الأحمسى]، فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس(1).

(1) صفين للمنقري ص258 و 259 والفتوح لابن أعثم ج3 ص145 وبحار الأنوار ج32 ص473 و 474 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص205

لكن ابن أعثم قال:

«فأخذها العباس [عياش] بن شريك.

فأخذها مسروق بن سلم [أو مسروق بن الهيثم بن سلمة] فقتل.

فأخذها صخر بن سمي، فجرح.

فأخذها عبد الله بن بزار [أو النزال] فقتل»(1).

لكن المنقري يقول:

12 - نصر: عمر، عن الصلت بن زهير النهدي، أن راية بني نهد بن زيد أخذها مسروق بن الهيثم بن سلمة، فقتل.

وأخذ الراية صخر بن سمي، فارتث.

ثم أخذها علي بن عمير، فقاتل حتى ارتث.

ثم أخذها عبد الله بن كعب، فقتل.

ثم رجع إليهم سلمة بن خذيم بن جرثومة، وكان يحرض الناس، فوجد عبد الله بن كعب قد قتل، فأخذ رايته فارتث وصرع.

فأخذها عبد الله بن عمرو بن كبشة، فارتث.

ثم أخذها أبو مسبح بن عمرو الجهنى فقتل.

ثم أخذها عبد الله بن النزال فقتل.

و 206 وتاريخ مدينة دمشق ج48 ص454 و 455.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص145 و 146.

ثم أخذها ابن أخيه عبد الرحمن بن زهير فقتل.

ثم أخذها مولاه مخارق فقتل.

حتى صارت إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي(1).

13 - [قال نصر: فحدثنا عمر، وقال: حدثنا الصلت بن زهير قال: حدثني عبد الرحمن بن مخنف] قال: صرع يزيد بن المغفل إلى جنبي، فقتلت صاحبه، وقمت على رأسه، وقتل أبو زبيب بن عروة فقتلت صاحبه.

وجاءني سفيان بن عوف فقال: أقتلتم يا معشر الأزد يزيد بن المغفل؟! فقلت له: [إي والله إنه لهذا الذى تراني قائماً على رأسه.

قال: ومن أنت حياك الله؟!

قلت: أنا عبد الرحمن بن مخنف.

فقال: الشريف الكريم، حياك الله ومرحباً بك يا ابن عم، أفلا تدفعه إلي، فأنا عمه سفيان بن عوف بن المغفل؟!

فقلت]: مرحباً بك، أما الآن فنحن أحق به منك، ولسنا بدافعيه إليك، وأما ما عدا ذلك فلعمري أنت عمه ووارثه(2).

---

(1) صفين للمنقري ص261 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص208.

(2) صفين للمنقري ص261 و 262 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص208.

إخراج القبائل في القتال:

14 - وروى نصر، قال: قال عمر، عن الحارث بن حصيرة عن أشياخ من النمر من الأزد: أن مخنف بن سليم لما ندب أزد العراق إلى أزد الشام حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن من الخطب الجليل والبلاء العظيم أنا صرفنا إلى قومنا وصرفوا إلينا، فوالله ما هي إلا أيدينا [نقطعها بأيدينا]، وما هي إلا أجنحتنا نحذفها بأسيافنا، فإن نحن لم نفعل لم نناصح صاحبنا، ولم نواس جماعتنا، وإن نحن فعلنا فعزنا أبحنا، ونارنا أخمدنا.

فقال جندب بن زهير: والله لو كنا آباءهم ولدناهم، أو كنا أبناءهم ولدونا، ثم خرجوا من جماعتنا، وطعنوا على إمامنا، وآزروا الظالمين والحاكمين بغير الحق، على أهل ملتنا وذمتنا، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه، ويدخلوا فيما ندعوهم إليه، أو تكثر القتلى بيننا وبينهم.

فقال مخنف: أعز بك الله في التيه.

أما والله ما علمتك صغيراً و [لا] كبيراً إلا مشؤوماً، والله ما ميلنا الرأي بين أمرين قط أيهما نأتي وأيهما ندع، في الجاهلية ولا بعد ما أسلمنا، إلا اخترت أعسرهما وأنكدهما.

اللهم، فأن نعافى أحب إلينا من أن نبتلى، فأعط كل رجل منا ما سألك.

فقال أبو بردة بن عوف: اللهم احكم بيننا بما هو أرضى لك.

يا قوم إنكم سترون ما يصنع الناس، وإن لنا الأسوة بما اجتمعت عليه الجماعة، إن كنا على حق [وإن يكونوا] صادقين، فإن أسوة في الشر، والله ما علمنا، ضرر في المحيا والممات.

وتقدم جندب بن زهير، فبارز رأس أزد الشام، فقتله الشامي، وقتل من رهط عبد الله بن ناجد، عجلاً وسعيداً ابني عبد الله، وقتل مع مخنف من رهطه عبد الله بن ناجد، [و] خالد بن ناجد، وعمرو وعامر ابنا عريف، وعبد الله بن الحجاج، وجندب بن زهير، وأبو زينب بن عوف.

وخرج عبد الله ابن أبي الحصين [الأزدي] في القراء، الذين كانوا مع عمار بن ياسر فاصيب معه.

وقد كان مخنف قال له: نحن أحوج إليك من عمار.

فأبى عليه، فأصيب مع عمار(1).

هل هو إلا الموت؟!:

15 - وروى نصر، عن عمر، عن أبى زهير العبسى، عن النضر بن صالح أن راية غطفان العراق كانت مع عياش بن شريك

(1) صفين للمنقري ص262 و 263 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص19 والكامل في التاريخ ج3 ص303.

بن حارثة بن جندب بن زيد بن خلف بن رواحة، قال: فخرج رجل من آل ذى الكلاع يسأل المبارزة، فبرز إليه قائد بن بكير العبسي، فبارزه فشد عليه الكلاعي فأوهطه، فخرج إليه عياش بن شريك أبو سليم، فقال لقومه: أنا مبارز الرجل، فإن أصب فرأسكم الأسود بن حبيب بن جمانة بن قيس بن زهير، فإن قتل فرأسكم هرم بن شتير بن عمرو بن جندب، فإن قتل فرأسكم عبد الله بن ضرار من بنيي حنظلة بن رواحة.

ثم مشى نحو الكلاعي، فلحقه هرم بن شتير، فأخذ بظهره، فقال: ليمسك رحم، لا تبرز لهذا الطوال!

قال: هبلتك الهبول، وهل هو إلا الموت.

قال: وهل يُفَرُّ إلا منه؟!

قال: وهل منه بد؟!

قال: والله لأقتلنه، أو ليلحقني بقائد بن بكير.

فبرز له ومعه حجفة له من جلود الإبل، فدنا منه فنظر عياش بن شريك، فإذا الحديد عليه مفرغ لا يرى منه عورة إلا مثل شرائك النعل من عنقه بين بيضته ودرعه، فضربه الكلاعى فقطع حجفته إلا نحواً من شبر، ويضربه عياش على ذلك الموضع فقطع نخاعه، وخرج ابن الكلاعى ثائراً بأبيه، فقتله بكير بن وائل.

روى نصر، قال عمر: حدثنى أبو الصلت التيمي أن زياد بن

خصفة بارزه فقتله(1).

طمع أصحاب علي × بالشهادة:

16 - روى نصرعن عمر، عن الحارث بن حصيرة، عن أشياخ النمر أن عتبة بن جويرية قال يوم صفين:

ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح هشيماً، وأصبح زرعها حصيداً، وجديدها سملاً، وحلوها مر المذاق.

ألا وإني أنبئكم نبأ امرئ صادق، إني سئمت الدنيا، وعزفت نفسي عنها.

وقد كنت أتمنى الشهادة، وأتعرض لها في كل حين، فأبى الله إلا أن يبلغني هذا اليوم.

ألا وإني متعرض ساعتي هذه لها، وقد طمعت ألا أحرمها.

فما تنتظرون عباد الله من جهاد أعداء الله؟! أخوف الموت القادم عليكم، الذاهب بأنفسكم لا محالة، أو من ضربة كف أو جبين بالسيف؟! أتستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عز وجل، أو مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار القرار؟!

ما هذا بالرأي السديد.

---

(1) صفين للمنقري ص259 و 260 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص207 و 208.

ثم قال: يا إخوتاه، إنى قد بعت هذه الدار بالدار التى أمامها. وهذا وجهى إليه، لا يبرح الله وجوهكم، ولا يقطع الله أرحامكم.

فتبعه إخوته عبيد الله، وعوف، ومالك، وقالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك. قبح الله العيش بعدك.

اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك.

فاستقدموا [جميعاً]، فقاتلوا حتى قتلوا [منهم أعداد من قتل من أصحاب علي «عليه السلام»، وقتلوا بعد ذلك](1).

أفراراً واعتذاراً؟!:

17 - روى نصر عن عمر، حدثني رجل من آل الصلت بن خارجة، أن تميماً لما ذهبت لتنهزم [ذلك اليوم] ناداهم مالك بن حرى النهشلي: ضاع الضراب اليوم، والذى أنا له وسائر القوم عبد، يا بنى تميم.

قالوا: ألا ترى الناس قد انهزموا؟!

قال لهم: أفراراً واعتذاراً؟!

(1) صفين للمنقري ص263 و 264 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص146 والمعيار والموازنة ص159 و 160 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص210 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص19 والكامل في التاريخ ج3 ص303.

[وفي نص ابن أعثم: قال: اعلموا أن الفرار فيه العار. وأنا قد ابتعت هذه الدار بدار القرار، وهذا وجهي إليها، فإن لم تقاتلوا عن الدين، فقاتلوا عن الأحساب والأنساب إلخ..].

وحسب نص المنقري:

[ثم نادى بالأحساب، فجعل يكررها، فـ] قالت له بنو تميم: أفتنادى بنداء الجاهلية؟! إن ذا لا يحل.

قال: فالفرار ويلكم أقبح.

إن لم تقاتلوا على الدين واليقين، فقاتلوا على الأحساب [والأنساب].

ثم أقبل يقاتل ويرتجز، وهو يقول:

إن تميماً أخلفت عنك ابن مر وقد أراهم وهم الحي الصبر
فإن تخيموا أو تفروا لا نفر [فإنني أحمي ذماري وأكر

قال: ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل](1).

وقال أخوه نهشل بن حرى التميمي يرثيه:

تطاول هذا الليل ما كاد ينجلي كليل تمام ما يريد صراما(2)

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص45 و 46 و (ط دار الأضواء) ج3 ص33 وصفين للمنقري ص264 و 265.

(2) كذا في المصدر.

فبت لذكرى مالك بكآبة أؤرق من بعد العشاء نياما
أبى جزعي في مالك غير ذكره فلا تعذليني أن جزعت أماما
سأبكي أخي ما دام صوت حمامة يؤرق من وادي البطاح حماما
وأبعث أنواحاً عليه بسحرة وتذرف عيناي الدموع سجاما
وأدعو سراة الحي يبكون مالكاً وأبعث نوحاً يلتدمن قياما
يقلن ثوى رب السماحة والندى وذو عزة يأبى بها أيضاما(1)
وفارس خيل لا تساير خيله إذا اضطرمت نار العدو ضراما
وأحيا عن الفحشاء من ذات كلة يرى ما يهاب الصالحون حراما
وأجرأ من ليث بخفان مخدر وأمضى إذ رام الرجال صداما
فلا ترجون ذا إمة بعد مالك ولا جازرا للمنشئات غلاما
وقل لهم لا يرحلوا الأدم بعده ولا يرفعوا نحو الجياد لجاما

وقال أيضاً فيه:

أبكى الفتى الأبيض البهلول سنته عند النداء، فلا نكسا ولا ورعا

---

(1) كذا في المصدر.

أبكى على مالك الأضياف إذ نزلوا حــين الشــتاء وعــز الرســل فانجــــــــــــــــــــــــــــــــدعا

ولم يجــد لقــراهم غــير مربعــة مــن العــشار تُزَجِّــي تحتــها ربعــــــــــــــــــــــــــــــــا

أهوى لها السيف ترّاً وهى راتعــة فــأوهن الســيف عظــم الســاق فانقطعــــــــــــــــــــــــــــــا

فجاءهم بعد رقــد الحي أطيبها وقــد كفــى مــنهم مــن غــاب واضــــــــــــــــــــــــــــــطجعا

يا فارس الروع يوم الروع قد علموا وصــاحب العــزم لا نكــسا ولا طبعــــــــــــــــــــــــــــــا

ومـدرك التَّبْل في الأعـداء يطلبه وإن طلـبت بتـبل عـنده منــعا

قالوا: أخوك أتى الـناعي بمصرعه فارتــاع قلبــي غــداة البــين فانصدعـا

ثم ارعوى القلب شيئا بعد طيرته والــنفس تعلــم أن قـــد أثبتــت وجعـا

وقتل محيا بن سلامة بن دجاجة، من تيم الرباب بصفين، وقتل المسيب بن خداش من تيم الرباب، ودينار عقيصاً مولاه(1).

---

(1) صفين للمنقري ص264 - 267 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص211 و 212.

معاوية يمنع من دفن الشهداء:

18 - [قال نصر]: [حدثنا عمرو قال: حدثنا عبد السلام قال]: قتل حازم بن أبى حازم، أخو قيس بن أبى حازم، يومئذ، وقتل نعيم بن صهيب بن العلية [البجلى]، فأتى ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث بن العلية معاوية ـ وكان معه ـ فقال: إن هذا القتيل ابن عمي، فهبه لى أدفنه.

فقال: لا تدفنهم، فليسوا أهلاً لذلك، فوالله ما قدرنا على دفن عثمان معهم إلا سراً.

قال: والله لتأذنن لى في دفنه، أو لألحقن بهم، ولأدعنك.

فقال له معاوية: [ويحك] ترى أشياخ العرب لا نواريهم، وأنت تسألني دفن ابن عمك؟!

ثم قال له: ادفنه إن شئت أو دع.

فأتاه فدفنه(1).

الشمر بن ذي الجوشن «لعنه الله» في صفين:

19 - روى نصرعن عمر بن سعد، حدثنى يونس بن أبى إسحاق قال: قال [لنا] أدهم بن محرز [الباهلى] ونحن معه بأذرح: هل رأى

______

(1) صفين للمنقري ص259 والغدير ج10 ص287 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص18.

أحد منكم شمر بن ذى الجوشن؟!

فقال عبد الله بن كبار النهدي، وسعيد بن خازم السلولى: نحن رأيناه.

قال: فهل رأيتما ضربة بوجهه؟!

قالا: نعم.

قال: أنا والله ضربته تلك الضربة بصفين(1).

20 - روى نصرعن عمر، عن الصلت بن زهير النهدي، عن مسلم قال: خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية بصفين إلى شمر بن ذى الجوشن فاختلفا ضربتين، فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم، وضربه شمر فلم يصنع سيفه شيئاً.

فرجع إلى عسكره، فشرب من الماء، وأخذ رمحاً، ثم أقبل، وهو يقول:

إنـي زعـيم لأخـي باهـلة بطعنة إن لـم أمـت عـاجلة
وضـربة تحـت الوغى فاصـلة شـبيهة بالقـتل أو قـاتلة

ثم حمل على أدهم وهو يعرف وجهه، وأدهم ثابت له لم ينصرف، فطعنه، فوقع عن فرسه، وحال أصحابه دونه فانصرف.

---

(1) صفين للمنقري ص267 و 268 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص212 و 213.

فقال [شمر]: هذه بتلك(1).

وجال الشمر في ميدان الحرب، وهو يقول:

لله در عصـــابة فـي مــاقـــط شـــهدوا مجـــال الخيـل تحـت قتامها

شهدوا ليوثاً ليـس يدرك مثلــهم عـــند الهـــياج يـــذب عـــند زحـامها

جرت العـيون إذا أردت قتالهـم بـــــرزوا سماحـــــاً كلـــــهم بحـمامها

لا ينكلـون إذا تقـرَّض صفــهم جـــزعاً علــى الإخــوان عنــد جلامها

أسـد العرين على السوابح بالقنا يــــردون مهيـــعة الطـــريق بهامها(2)

---

(1) صفين للمنقري ص268 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص47 و (ط دار الأضواء) ج3 ص33 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص19 و 20 والكامل في التاريخ ج3 ص202 و 303 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص213.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص47 و 48 و (ط دار الأضواء) ج3 ص34 وفي صفين للمنقري ص374 نسبها لمرة بن جنادة العليمي.

لا يترك أخاه حتى يأذن له علي ×:

21 - روى نصر، قال: قال عمر: وخرج رجل يسأل المبارزة، من أهل الشام، فنادى من يبارز؟! - وهو بين الصفين - فخرج إليه رجل من أهل العراق، فاقتتلا بين الصفين قتالاً شديداً، ثم إن العراقى اعتنقه فوقعا جميعاً تحت قوائم فرسيهما، فجلس على صدره وكشف المغفر عنه يريد ذبحه، فلما رآه عرفه فإذا هو أخوه لأبيه وأمه، فصاح به أصحاب علي «عليه السلام»:

أجهز على الرجل!

فقال: إنه أخي.

قالوا: فاتركه.

قال: لا، حتى يأذن لى أمير المؤمنين.

فأخبر علي «عليه السلام» بذلك، فأرسل إليه: دعه.

فتركه، [فقام فعاد إلى صف معاوية](1).

مبارزات أخرى في صفين:

قال المنقري:

---

(1) صفين للمنقري ص271 و 272 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص50 و 51 و (ط دار الأضواء) ج3 ص35 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص215.

22 ـ وخرج سويد [بن قيس] بن يزيد الأرحبي من عسكر معاوية يسأل المبارزة، فخرج إليه من عسكر العراق أبو العمرطة قيس [بن عمرو بن عمير] بن يزيد، وهو ابن عم سويد، وكل منهما لا يعرف صاحبه، فلما تقاربا تعارفا، وتواقفا وتساءلا، ودعا كل واحد منهما صاحبه إلى ما هو عليه، فقال أبو العمرطة: أما أنا فوالله الذى لا إله إلا هو لئن استطعت لأضربن بسيفي هذه القبة البيضاء ـ يعنى قبة معاوية التى هو فيها ـ ثم انصرف كل منهما إلى أصحابه.

فقال في ذلك همام:

ألوم بن لوم ما غدا بك حاسر إلى بطل ذى جرأة وشكيم
معاود ضرب الدارعين بسيفه على الهام عند الهيج غير لئيم
إلى فارس الغاوين حيث تلاقيا بصفين قرم نجل خير قروم(1)

قال: وخرج بشر بن عصمة المزني يسأل المبارزة ـ وكان من أهل الكوفة، فلحق بمعاوية ـ فخرج إليه مالك بن الجلاح، وكان يقال له: ابن العقدية، وكان رجلاً ناسكاً، فأقبلا في خيلهما، فتغفله بشر بن عصمة فطعنه، فصرع ابن العقدية.

فقال بشر بن عصمة:

______

(1) صفين للمنقري ص268 و 269.

إنــى لأرجــو من مليكى وخالقي ومـن فـارس الموسوم في الصـدر هـــاجس

دلـفـت له تحت الغبار بطعـــنة علــى ســـاعة فيهـا الطـــعان يخـالس

فرد عليه ابن العقدية:

ألا أبـلـغـا بـشـر بن عصـمة أننى شـــــغلت وألهــــاني الـــذين أمــارس

وصــادفـت مـنــي غرة فأصبتها كـــذا كانـــت الأبطـــال مـــاض وحابس(1)

قال: وخرج ذو نواس بن هذيم بن قيس العبدى ـ وكان ممن لحق بمعاوية ـ يسأل المبارزة، فخرج إليه ابن عمه الحارث بن منصور، فاضطربا بسيفهما، وانتميا إلى عشائرهما، فعرف كل منهما صاحبه فتتاركا.

ثم خرج مالك بن يسار الحضرمي يسأل المبارزة، فخرج إليه الجون بن مالك الحضرمي من أهل الشام، فقتل الشامي الكوفى.

---

(1) صفين للمنقري ص269 و 270 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص41 و 42 و (ط دار الأضواء) ج3 ص33 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص20 والكامل في التاريخ ج3 ص475 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص213.

وخرج زياد بن النضر الحارثى يسأل المبارزة، فخرج إليه رجل من أهل الشام من بنى عقيل، فلما عرفه انصرف عنه(1).

ثم خرج رجل من أزد شنوءة يسأل المبارزة، فخرج إليه رجل من أهل العراق فقتله.

فخرج إليه الأشتر، فما لبث أن قتله، فقال رجل: كان هذا ناراً فصادفت إعصاراً(2).

أبو أيوب؟! أو ابن بديل؟!:

ويتابع المنقري، فيقول:

فاقتتل الناس قتالاً شديداً يوم الأربعاء، فقال رجل من أصحاب على «عليه السلام»: والله لأحملن على معاوية حتى أقتله! فأخذ فرساً، فركبه، ثم ضربه حتى إذا قام على سنابكه دفعه، فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية، ودخل معاوية خباء، فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه، فخرج معاوية من [جانب] الخباء [الآخر]، وطلع الرجل في إثره، فخرج معاوية، وهو يقول:

أقـول لها وقـد طـارت شعاعـاً من الأبطـال إنـك لـن تـراعى

(1) صفين للمنقري ص270.

(2) صفين للمنقري ص270 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص214 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص571.

فـإنـك لـو سـألت خـلاء يـوم　　　عـلـى الأجـل الـذى لـك لـم تطـاعى

فأحاط به الناس، فقال: ويحكم، إن السيوف لم يؤذن لها في هذا، ولولا ذلك لم يصل إليكم.

عليكم بالحجارة.

فرضخوه بالحجارة حتى همد الرجل.

ثم عاد معاوية إلى مجلسه، وهو يقول: هذا كما قال الآخر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها　　　وإن شـمرت عـن سـاقها الحـرب شمرا(1)

وقد تقدم: أن عبد الله بن بديل، هو الذي قصد معاوية، حتى أزاحه عن موضعه، وتراجع عن مكانه القهقرى كثيراً.

وتقدم: أن معاوية أمرهم أن يرضخوه بالحجارة، وأنه قال: ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها

إلى آخر الأبيات. فراجع.

ونفس هذه القضية نسبها ابن أعثم إلى أبي أيوب الأنصاري، وأنه وقف بين الجمعين، وطلب البراز، فلم يبرز إليه أحد.. ونظر إلى

(1) صفين للمنقري ص270 و 271 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص475 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص214.

معاوية، فلما دنا منه دخل معاوية إلى خيمته، وخرج من جانب الخيمة، وهو يقول:

أقول لـهـا وقـد طـارت شعاعاً ....إلخ(1)

ثم قال ابن أعثم:

وقامت أهل الشام في وجه أبي أيوب، فقاتلهم ساعة ورجع إلى موضعه سالماً.

ورجع معاوية إلى موضعه متغير اللون، وهو يقول: هذا والله كما قال الأول:

أخـــو الــحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شــمــرت عن ساقها الحـرب شمرا
ويـــحـــمـــي إذا مـــا الموت كـــان أمـامـه
كـذا الشبل يـــحـــمـــي الابن أن يتـــأخرا
كلـيـــث هـزبـر وهـو يحمي عـريـــنه
رمـــتـــه الـــمـــنـــايا نعـــيه فتقطـرا

ثم أقبل معاوية على أصحابه، فقال: ويحكم! إن السيوف لم يؤذن لها في قتل هؤلاء، ولولا ذلك لما وصل إلي هذا، ولكن إذا رأيتم مثل هذا فعليكم بالحجارة.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص48 و 49 و (ط دار الأضواء) ج3 ص34.

فقال رجل من أهل الشام، يقال له المبرقع بن منصور: والله يا معاوية، لأفعلن كما فعل، ولأقتلن علياً «عليه السلام» إن قدرت عليه.

قال: ثم حمل يريد علياً «عليه السلام»، ونظر إليه أبو أيوب، فاستقبله بالسيف، فنفحه نفحة أبان بها عنقه، فثبت رأس الشامي على الجسد، فظن الناس أنه قد أخطأه.

قال: وتحرك الفرس، فسقط الرأس ناحية وسقط الرجل ميتاً، فعجبت الناس من ضربة أبي أيوب.

فقال علي «عليه السلام»: والله لأنا أشد تعجباً من ثبات الرجل على فرسه منكم لضربة أبي أيوب! والله ما أنت إلا كما قال الأول:

وعلمنا الحرب آباؤنا وسوف نعلم أيضا بنينا(1)

لكن المنقري يقول:

حمل يومئذ أبو أيوب على صف أهل الشام، ثم رجع فوافق رجلاً [من أهل الشام] صادراً قد حمل على صف أهل العراق ثم رجع، فاختلفا ضربتين، فنفحه أبو أيوب، فأبان عنقه، فثبت رأسه على جسده كما هو.

وكذب الناس أن يكون ضربه وأرابهم، حتى إذا دخل في أهل الشام وقع ميتاً، وندر رأسه.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص48 - 50 و (ط دار الأضواء) ج3 ص34 و35.

فقال علي «عليه السلام»: والله لأنا من ثبات رأس الرجل أشد تعجباً مني لضربته، وإن كان إليها ينتهي وصف الضارب.

وغدا أبو أيوب إلى القتال، فقال له علي «عليه السلام»: أنت والله كما قال القائل:

وعلمنا الضرب آباؤنا فسوف نعلم أيضاً بنينا[1]

ونقول في ختام هذا الفصل:

كانت تلك طائفة من النصوص التي حملت معها أخباراً عن بعض ما جرى في صفين.

ولنا معها وقفات نجملها في الفصل التالي، مع مراعاة الإختصار والإقتصار على ما لا بد منه، ولا غنى عنه بزعمنا..

فإلى الفصل التالي، وما فيه من إشارات ولمحات..

---

(1) صفين للمنقري ص271 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص214 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص218.

الفصل الثاني:

أحداث نتوقف عندها..

بداية:

تقدم في الفصل السابق نصوص كثيرة يستحسن التوقف عندها، لبيان بعض ما ترمي إليه، أو تدل عليه، وهي التالية:

إيضاحات:

يستثيب الناس: أي يطلب منهم أن يثوبوا ويرجعوا.

المفصِّل: وهي الكلمة التي وردت في شعر حرب مولى عثمان. ويراد بها السيف القاطع الذي يفصل الأعضاء عن بعضها..

الشَّمِر: بفتح الشين وكسر الميم، الشديد.

العنزة: شبيه العكازة، أطول من العصا، وأقصر من الرمح، ولها زج من أسفلها. والزج: حديدة في أسفل الرمح.

القليب: البئر.

الفزع: أي موضع الحرب، الذي يفزع فيه الناس.

الهن: كناية عن كل اسم جنس. ومعناه: الشيء. يقال: هذا هنك، أي

شيئك.

أخلِصوا إلي مذحجاً: أي دعوها تصل إلي.

الجندل: الحجارة.

فرسان الصباح: فرسان الغارة، فإنها تكون في وقت الصباح.

طُلَّ دمه: ذهب هدراً.

أَعَدُّ: أي أكثر عدداً.

أحدّ: أي أكثر حدّة.

القَلوص من الإبل: الشابة. والناقة الطويلة القوائم.

همدان زرق: أي زرق العيون. والعرب يتهاجون بذلك، ويعدونه من اللؤم.

ترَّحه الله: دعاء عليه بالترح، وهو الحزن والهم.

الظهور: الظفر والفوز.

استُلحم: بالبناء للمفعول، احتوشه العدو في القتال.

أشفى به على القتل: شارف به عليه.

الغمرات: الشدائد.

عُظم: بضم العين، معظم الشيء.

يعشي البصر: يضعفه.

الهام: جمع هامة. وهي رأس كل شيء.

لهاميم الناس: أشياخهم وأسخياؤهم، والكثيروا الخير منهم.

السنام: حدبة ظهر البعير.

أُحاح النفس: بضم الهمزة، اشتداد الحزن والغيظ.

المطَرَّدة: من الطرد، وهو التنحية، والسوق والإبعاد. وطرد الإبل ضمها من نواحيها.

الهيم: العطاش.

أوبق نفسه: أهلكها.

خَدِّموا: أي إضربوا موضع الخدمة، وهي الخلخال. أي إقطعوا أرجلهم.

الأشائم: جمع الأشأم، وهو من الشؤم، ومن يأتي به، وهي ضد الأيامن.

أُشرعت الأسنة: سدِّدت إلى الأعداء.

ارتُثَّ: بالبناء للمفعول، من ضُرِبَ في الحرب، فأثخن، وحمل وبه رمق، ثم مات من بعد.

ندب إليه: دعا إليه.

أوهطه: صرعه صرعة لا يقوم منها.

هبلتك الهبول: أي ثكلتك الثكول. والهبول: بفتح الهاء، المرأة التي لا يبقى لها ولد.

الطُّوال: بضم وتشديد الطاء، المفرط الطول.

مُفرَغ عليه الحديد: لابس له.

شَرائِكُ النعل: جمع شِراك، وهو سير النعل على ظهر القدم.

البيضة: ما يصنع من الحديد ويلبسه المقاتل على رأسه، ليقيه ضربات السيوف وغيرها.

الزرع الحصيد: المحصود، وهو المقطوع بالمنجل.

سمل الثوب: أخلق.

بَرَّح الله وجهه: البَرَحُ، الشدة والأذى.

يحوزه: ينحّيه عن مركزه.

أَعْزَبَكَ الله: الإعزاب الإبعاد. والتيه والضلال.

ابن مرّ: أي أن تميم بن مرّ أخلفت عنك، وهم: تميم بن مرّ بن أد بن طابخة.

أخلفت عنك: أي تخلفت عنك.

الذمار: كل ما يلزم حفظه وحياطته.

خام يخيم: نكص وجبن.

أماما: (الوارد في الشعر) أي يا أُمامة

الأنواح: جمع نُوَّح، وهنَّ النسوة النائحات.

السُحرة: بالضم، السَّحَر.

ذرف الدمع: سال.

سجام: جمع ساجم، أي سائل.

نُوَّحاً: جمع نائحة.

يلتدمن: يلطمن.

ذات كِلَّة: المراد بالكلة، الستر الرقيق. والمراد بذات الكلة المرأة.

خِفان: بكسر الخاء، اسم موضع.

مخدر: الأسد إذا لزم عرينه، وأقام به.

ذا إمَّةٍ: الإمة بالكسر، النعمة.

الجازر: الذابح.

المشنئات: النوق اللواقح.

الأُدم: جمع آدم وأدماء، وهي الإبل الخالصة البياض.

رحَّل البعير: حط عليه الرحل.

البُهلول: السيد الجامع لكل خير.

النِّكس: بكسر النون، المقصر عن غاية النجدة والكرم.

الورع: التقوى.

انجدع: انقطع. ويقال ذلك لقطع الأنف. وجدع فلاناً: حبسه.

الرِسل: بكسر الراء، اللبن.

عزّ: قلّ.

القِرى: الضيافة.

مربعة: ذات الرُّبَعِ، بضم ففتح. وهو ما ولد من الإبل في الربيع.

العِشَار: جمع عُشَراء، بضم العين، وفتح الشين، مثل نفساء، وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر.

تُزَجِّي: بضم التاء، وكسر الجيم المشددة، تسوق.

رُبَعا: بضم الراء, وفتح الباء، ما ولد من الإبل في الربيع.

التَرّ: القطع والإبانة.

الرَقد: بفتح الراء، النوم. والرِفد: بالفاء، وكسر الراء، الصلة والعطاء.

طَبِع: بفتح وكسر، الدنيء الخلق، الدنس.

التَبل: بالفتح، الثار والذحل.

المأقِط: موضع القتال.

القتام: الغبار الأسود.

تقرض: تقطع. وإن كان تقوض بالواو، فمعناه: تهدم.

عند جلامها: لعل المراد به في الأبيات التي ورد فيها: عند اقتطاعها.

مهيعة: واسعة.

بِهامها: لعل المراد به في أبيات الشمر: أولاد الضأن، والمعز، والبقر.

السوابح: الخيل السريعة، لسبحها بيديها في السير.

المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت

القلنسوة. وقيل: حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة، تسبغ على العنق، فتقيه.

شكيم: لعله من الشكيمة، وهي الحزم، والصرامة، والأنفة، والإنتصار من الظلم.

القرم: جمعه قروم، وهو السيد العظيم.

دلف إليه: أسرع إليه.

السنابك: اطراف الحوافر.

نهنه عن الشيء: كفه عنه.

قِدى الشبر: بكسر القاف أو فتحها، أي قدر الشبر.

الهزبر: من أسماء الأسد. والشديد الصلب.

تقطّر: سقط صريعاً.

نفحه بسيفه: تناوله بالسيف من بعيد.

الصادر عن الشيء: الراجع عنه.

علي × يكره تسابق أبنائه لحمايته:

ذكر النص المتقدم في أول الفصل السابق في الحديث رقم [1] قول زيد بن وهب، عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه، فيكره علي «عليه السلام» ذلك، فيتقدم عليه، فيحول بينه وبين أهل الشام. ويأخذ بيده إذا فعل ذلك. فيلقيه بين يديه، أو من ورائه.»

فقد يقال: إن هذا الكلام غير واضح للوهلة الأولى، ولا سيما العبارة الأخيرة منه..

ولكن يبدو لنا أن المقصود من هذه العبارات، هو التالي:

إن علياً «عليه السلام» حين كان يسير نحو الميسرة، كان أهل الشام يمطرونه بالنبل، فكان بنوه، وهم الحسنان ومحمد «عليهم السلام» يقونه بأنفسهم، فيكره علي «عليه السلام» ذلك.

فكان كل ولد منهم يتقدم على أبيه، ليحول بين أبيه وبين أهل الشام، لكي لا يروه، أو لكي يقع نبلهم فيه هو دون أبيه، فكان علي «عليه السلام» إذا فعل ولده ذلك أخذ بيده، وجره إلى الخلف، ورده عن هذا الفعل.. فهذا كان حال أبنائه، وحاله مع أبنائه..

أما النبل، فكان «عليه السلام» إذا فُعِل ـ بالبناء للمجهول ـ ذلك، أي إذا حاول أبناؤه وقايته، يأخذه (أي النبل) بيده من عاتقه ومنكبه، فيلقيه بين يديه، أو من ورائه.. غير مكترث به.

ألم يخطئ الحسنان ' ؟!:

ومهما يكن من أمر، فإن كراهة علي «عليه السلام» لما كان يفعله الحسنان «عليهما السلام» وأخوهما محمد من وقايتهم له «عليه السلام» بأنفسهم، لا يتضمن تخطئة منه لهم، لأن هذا هو تكليف أبنائه ـ الذين يعرفون عظيم فضله في الإسلام ومنزلته عند الله، ويعرفون أن حفظه والدفع عنه واجب على جميع البشر، كحفظ رسول الله

«صلى الله عليه وآله».

ويجب عليهم أيضاً تعريف الناس كلهم بما يجب على الناس تجاهه ـ وإنما يتم ذلك بالمبادرة العملية منهم «عليهم السلام» لمزاولة هذا الأمر بأنفسهم، وليكون لهم بذلك أعظم المثوبة والمقام عند الله..

أما تكليفه هو «عليه السلام»، فهو أن يكره ذلك منهم، وأن يصدهم عنه، إيثاراً منه لما عند الله، وحفظاً لسبطي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذين ادخرهما الله تعالى للأمة أئمة وهداةً، لأن حفظهم واجب على جميع البشر أيضاً.

يضاف إلى ذلك: أنه «عليه السلام» يريد أن يعلم الناس درساً في القيادة، وما يجب توفره في القائد من شجاعة وإقدام. وأن يعرِّف الأعداء بهذه الخصوصية فيه، فيصيبهم ذلك باليأس والحزن، ويرى الأولياء منه هذه الشجاعة الفائقة، فتقوى قلوبهم، وتشتد عزائمهم، وتشحذ هممهم..

الحسن × لم يشارك في قتل أحمر:

وقد يفسر عدم مشاركة الإمام الحسن «عليه السلام» في قتل أحمر، بطريقة مغرضة، ومشينة ومهينة، حين يُدَّعى أنه «عليه السلام» كان عثمانياً، يخالف أباه في هذه الحروب، ويرى أنها غير مشروعة، أو هي على الأقل في غير محلها. ولكنه كان مكرهاً على الحضور في تلك الحروب.

أما الحسين «عليه السلام» فهو رجل جريء على الدماء، بل هو يأنس بسفكها، وهو يشبه أباه في هذا الأمر.. ولذا بادر إلى قتل أحمر.

ولأجل بيان زيف هذا النوع من الترّهات والأباطيل، التي كان يعرف علي «عليه السلام» أنها سوف تظهر في مستقبل الأيام، سأله أبوه «عليه السلام» عن سبب عدم مشاركته أخويه في الإجهاز على أحمر، لكي يُسمِع أولئك المغرضين الذين سيرعف بهم التاريخ جوابه، ولكي يفقدهم الحجة والمبرر لإشاعة أباطيلهم تلك.

وجوابه «عليه السلام» لأبيه، كان يكفي للإقناع بأن ما فعله، كان هو الصواب، إذ لم تكن هناك حاجة لمشاركته. لوجود من يكفيه وزيادة. لا سيما بعد كسر منكب وعضد وأضلاع ذلك الرجل. فما هي الحاجة لهجوم ثلاثة رجال عليه للإجهاز عليه؟!

كما أنه لا شك في أن أباه كان يعلم بأنه لا حاجة إلى مشاركته، ولكنه أراد ـ كما قلنا ـ إسماع الناس ذلك من فم الإمام الحسن «عليه السلام».

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان الإمام الحسن في تلك اللحظات بالذات يحاول أن يقي أباه النبل بنفسه، وكان يجعل نفسه حائلاً بينه وبين أهل الشام، لكي يقع النبل فيه دون أبيه «عليهما السلام».. فهل تراه سوف يشفق على من قصد أباه بسيفه حتى خالطه، لكي يضربه به، فحال اللطف الإلهي بينه وبين ما أراد، وكانت الدائرة عليه لعنه الله؟!

ليس منهم قاسط:

وقد كذب ذلك الرجل المخذول المسمى بأحمر حين قال عن جيش معاوية: «قوم حماة ليس منهم قاسط».. كما تقدم في الحديث رقم 1، فإنه في قوله هذا إنما يكذب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي أخبر عنهم أنهم هم القاسطون، الذين يحاربهم علي «عليه السلام» بعد الناكثين..

ونظن: أن هذا الرجل كان يشعر بالعقدة وبالعار تجاه هذا الأمر، فكان يحاول أن ينكره، ويتبرأ منه، ولكن على قاعدة: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)**[1].

مولى التقي الصادق الإيمان:

وقد كان كيسان مولى علي «عليه السلام» صادقاً في قوله عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: إنه التقي الصادق الإيمان، كما تقدم في الحديث رقم 1، فإن قوله هذا موافق للقرآن الذي تضمن عشرات الآيات في فضل وميزات وكرامات ومقامات أمير المؤمنين «عليه السلام».

ويكفي أن نشير إلى قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ**

(1) الآية 14 من سورة النمل.

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(1). فإنها مما نزل في أمير المؤمنين «عليه السلام»(2).

قتلني الله إن لم أقتلك:

وتقدم في الحديث رقم [1]: أن علياً «عليه السلام» قال لأحمر بعد قتله لمولاه كيسان: قتلني الله إن لم أقتلك.

---

(1) الآية 119 من سورة التوبة.

(2) راجع: شواهد التنزيل ج1 ص341 - 345 وتفسير فرات ص53 ومناقب آل أبي طالب (ط قم) ج3 ص92 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص288 والبرهان في تفسير القرآن ج2 ص170 وغاية المرام ج1 ص141 و 233 وج2 ص109 وج3 ص51 و 53 و 108 وج5 ص148 وفرائد السمطين ج1 ص370 وكشف الغمة ج1 ص315 و (ط دار الأضواء) ج2 ص375 وتفسير الحبري.. وخصائص الوحي المبين ص238 و (ط دار القرآن الكريم - قم) ص233 و 234 وتهذيب الكمال ج5 ص84 وبحار الأنوار ج27 ص57 و 58 وج35 ص408 و 409 و 411 ونظم درر السمطين ص91 و 92 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص194 وتفسير العياشي ج2 ص116 وتفسير نور الثقلين ج2 ص281 وتنبيه الغافلين ص85 والمناقب للخوارزمي ص280. وراجع: كمال الدين ص278 وكتاب سليم بن قيس ص201 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص215 و216 والتحصين لابن طاووس ص635 وبحار الأنوار ج31 ص413 و 414 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص221 و 222 وتفسير نور الثقلين ج2 ص280 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص37.

فهل أراد قتله بداعي التشفي؟! أم ماذا؟!

ونجيب:

أولاً: بأن علياً «عليه السلام» إنما يغضب لله، وقد تجرأ ذلك الرجل على قتل النفس التي حرمها الله، ويريد «عليه السلام» أن يقتله عقوبة له على جرأته على الله بقتل عباده ظلماً وعلواً.

وقد صرح «عليه السلام» بما دل على أنه لم يكن هاوياً لقتلهم، وحربهم، فقد قال:

لم أرد في الدهر يوماً حربهم وهم الساعون في الشر الشَّمِر

ثانياً: إن كل مؤمن لا بد أن يحزن ويتأذى روحياً بسبب ظلم وبغي هؤلاء الناس، وبسبب جرأتهم على الله، وقتلهم عباد الله المتقين، وسعيهم لاطفاء نور الله..

فلماذا لا يكون للمؤمنين الحق في بلسمة هذه الجراح الروحية؟!

وماذا يضير الشرع والدين لو أن الله تعالى أعطاهم هذا الحق؟! ولا سيما بعد أن جاء هؤلاء البغاة الظالمون بقضهم وقضيضهم، لقتالهم واستئصالهم بغياً منهم، وظلماً وعتواً، وقد صرح القرآن: بأن من غاياته شفاء صدور المؤمنين بقتل أعدائهم.. قال تعالى: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ**

حَكِيمٌ)(1).

القائد في ثباته وسرعة حركته:

وقد رأينا من خلال النصوص التي أوردناها في أوائل الفصل السابق أنه «عليه السلام» قدم نموذجاً حياً للقائد الفذ في جهات عديدة:

أولاً: إنه «عليه السلام» أفهمنا أن على القائد أن يظهر عدم المبالاة بعدوه، مهما كان ذلك العدو قوياً، وماكراً وشرساً، لأن اهتمامه به مهما كان ضئيلاً، قد يؤدي إلى فشل وخيبة، وهزيمة روحية ورعب لدى عامة الجند لدى هذا القائد.

ثانياً: أن لا يظهر الإرتباك حين تصيبه سهام العدو، أو فقل حين يتعرض لبعض الأذى منه، حتى ولو هددت حياته، لأن ذلك سيؤدي إلى فقدانه السيطرة على جنده، وإلى عدم التركيز لدى جميع من هم تحت يده، وربما أدى ذلك إلى فقدان القدرة على إدارة الأمور بطريقة صحيحة، ويضيع القرار الصحيح، الذي يعالج الموضوع بنظرة شمولية ومستوعبة.

وسيؤدي ذلك: إلى أن يصبح همَّ كل واحد من الناس حفظ نفسه، ولا يفكر بما عداها. وتتفكك عرى الجيش، وتتضاءل قوته، لتصبح في مستوى الأفراد، ولا يبقى للمجموع من حيث هو مجموع تلك

---

(1) الآية 14 و 15 من سورة التوبة.

النفحة الجماعية التي تضاف إلى جهد الأفراد، وتزيدهم قوة إلى قوتهم.

وهذه النفحة هي التي عبر القرآن عنها بالريح في قوله تعالى: **(وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)**[1].

ثالثاً: إن إسراع القائد في المشي حين يقترب العدو منه، يعطي الإنطباع بأن القائد قد شعر بالخطر، وأنه بصدد التحرز منه. وذلك يطمع عدوه به، ويزيد من خوف جنده على حياة قائدهم. وهذا يعطي نفحة من القوة الروحية للعدو، ويبقي هذه الصورة كرجل خائف في ذهن جنوده، في حين أنه يفترض أن يروه ثابت الجأش. قوي العزيمة.. لأنهم إذا ضعفوا حين القتال، وأراد أن يقوي عزائمهم، فإنهم سوف يستحضرون هذه الصورة له في ذهنهم، وستمنع من تفاعلهم بكلامه، الذي لا يتلاءم معها..

رابعاً: سرعة ردة الفعل القتالي، التي من شأنها أن تجرد الطرف الآخر من أقوى أسلحته، وتجعله لا يملك أي سلاح، ويصبح المسيطر على الساحة هو هذا الطرف دونه؛ لأن سرعة حركة المقاتل تربك الطرف الآخر، وتجعله غير قادر على التكهن بطبيعة حركة قرنه، كي يخطط لمواجهتها، بل هو مضطر للصبر إلى ما بعد صدور

---

(1) الآية 46 من سورة الأنفال.

الحركة من خصمه، ليقرر ماذا يصنع، وهذا يعني: أن خصمه هو الذي يتحكم به، وأنه قد فقد عنصر المبادرة، ونقله من الفعل إلى ردة الفعل..

وهذا ما حصل لعلي «عليه السلام» مع ذلك الرجل المسمى بأحمر، فإنه «عليه السلام» قد تغلب على سلاح أحمر، بالرغم من أنه «عليه السلام» لم يستعمل أي سلاح، بل لعله «عليه السلام» لم يكن معه سلاح في تلك اللحظة ـ نعم لقد تغلب عليه بسرعة الحركة التي لم تدع لأحمر أي مجال لاستعمال سلاحه، فقد أخذه من جيب درعه، ثم حمله، وجلد به الأرض، فكسر منكبه وعضده وأضلاعه، وأصبح ينتظر من يجهز عليه..

خامساً: إنه «عليه السلام» حين فعل بأحمر ذلك، لم يظهر سروره بقتله، ولا افتخر به على أعدائه، بل عبر عن أسفه لما يجري على الناس..

ولعله «عليه السلام» أراد بذلك أن يصوب مسار الأمور، فلا يدع الناس ينطلقون مع مشاعرهم وانفعالاتهم الشخصية، بحيث يلهيهم ذلك عن التفكير في الصالح العام، بموضوعية وتجرد وإنصاف.. لأن الانسياق مع المشاعر الشخصية يضيّق أفق التفكير، ويحدّ من جولانه، ويحملهم على الإسفاف فيه، فإن التلهي بالجزئيات الصغيرة يشغلهم عن قضاياهم الكبرى، والتي هي قضايا الأمة، والدين والإسلام والإيمان..

وهذا ما لا يريده القائد، لأنه مرب ومسؤول، يريد أن يسوق الناس إلى النجاة، والسعادة في الدنيا والآخرة. ولا يريد أن تكون الحرب خسارة لمن يموت منهم، ولا أن يكون النصر الذي يتحقق لهم مصدر شعور بالغطرسة والتكبر، بل يريد الحرب في حلوها ومرِّها مدرسة لهم، يستفيدون منها في صلاح دينهم ودنياهم..

سادساً: ما سنذكره تحت العنوان التالي، حول أن علياً «عليه السلام» لا يبالي بالموت..

الموت بنظر علي ×:

وتقدم في الفصل السابق برقم [2] و [3] و [4]، تحت عنوان: علي «عليه السلام» لا يبالي بالموت.. تصريح علي «عليه السلام» بهذا الأمر أكثر من مرة..

ويجب أن لا يفهم ذلك على أنه استهتار بالأخطار، بلا مبرر. وأنه لا يمكن التأسي به في هذا الأمر، لأن الله تعالى قد نهى عن إلقاء الإنسان نفسه إلى التهلكة.. وذلك لما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» كان يعرف حدود الشريعة، ويعرف أيضاً إن كان تصرفه هذا من مصاديق إلقاء الإنسان بيده إلى التهلكة، أو لا.

ولا يمكن تأكيد أن الأمر كان قد وصل إلى هذا الحد، لأن الناس كانوا يبالغون في الإحتياط والتحرز من العدو، إلى حد أن ذلك يصبح

نقطة ضعف فيهم، بدل أن يكون مصدر قوة وثبات..

وقد يوضح ذلك: أن السؤال الذي وجهه الإمام الحسن لأبيه ـ وقد تقدم في الفصل السابق برقم [3] ـ قد اقتصر على سؤاله عن سبب عدم أخذه للحرب أهبتها، وذلك حين كان يطوف بين الصفين في غير آلة.

يوضح ذلك أيضاً: الإحتمال الذي تذرع به سعيد بن قيس، والقاضي بلزوم التحرز من اغتيال العدو له، حين يكون بالقرب منه.

فإن اغتيال العدو له، يبقى مجرد احتمال. ولعله لم يبلغ حداً يوجب الخوف المعتدّ به في مثل هذه الحالة..

ولعله «عليه السلام» كان يعرف أنهم لن يجرؤوا على التعرض له بسوء، ضمن الشرائط التي كانت متوافرة له آنئذ..

ثانياً: إن الحرب وإن كانت تحمل معها احتمالات الخطر، ولكن قد يكون من الضروري أن يقدم لهم النموذج العملي للشجاعة والثبات في مثل هذه المواقف، لكي لا يتحول تحرزهم من عدوهم إلى اختباء واختفاء، ثم إلى خوف ورعب، ثم إلى جبن عن مواجهته والإشتباك معه، ليبقى هو الذي يسرح ويمرح في الميدان متعجرفاً ومتجبراً.

بل قد تقضي المصلحة بالمبادرة إلى مهاجمته، والبروز له، وإظهار عدم المبالاة به، ولا سيما من القادة الكبار، فكيف بعلي «عليه

السلام»؟!

إذ من غير المقبول أبداً أن تنتهي الأمور إلى الحد الذي حكاه الله تعالى لنا عن بعض الناس، حيث قال عنهم: **(لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)**(1).

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد أجاب سائليه عن سبب عدم اتخاذه الإحتياطات التي يتوقعونها، بأمرين:

أحدهما: إنه «عليه السلام» لا يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه. وهذا درس صريح في لزوم تربية الإنسان نفسه على المفاهيم الصحيحة، وأن يروّضها على قبول الواقع كما هو، بعيداً عن التهويل، وعن التقليل، ثم التعامل معه بما يستحقه من اهتمام، ومن دون إفراط، أوتفريط. فيضع الأمور في نصابها، ولا تجرّه أهواؤه وميوله إلى ما لا ينبغي له، ولا تخرجه عن حالة التوازن، فيكون عقله ويقينه فوق شهواته، ومهيمناً على مشاعره وعواطفه، وضابطاً لأحاسيسه، وحاكماً على ميوله وأهوائه.

وبذلك يصل إلى حالة الرضا بقضاء الله، والإستقامة في خط الله، ويعيش السكينة والأمان في ظل الرعاية الإلهية.. ويكون هادياً إلى الحق، مهدياً به، وثابتاً عليه..

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

ولذلك قال «عليه السلام» لسائليه: إنه لا يبالي: وقع على الموت، أو وقع الموت عليه..

الثاني: إنه «عليه السلام» قد أوضح لهم: أن ما يخوِّفونه به ومنه، ليس هو الذي يمكن أو يجب التحرّز منه، لأنه خارج عن دائرة الإختيار.. مما يعني أنه «عليه السلام» لم يكن قد أخل بما يجب عليه مراعاته في مقابل أعدائه..

وقد اتضح ذلك من جوابه لسعيد بن قيس، بقوله: «إنه ليس من أحد إلا عليه من الله حفظة، يحفظونه من أن يتردّى في قليب، أو يخرّ عليه حائط، أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه».

واتضح أنه «عليه السلام» يريد أن يعرفهم ما يجب عليهم معرفته، فيما يرتبط بقضاء الله وقدره، فذكر لهم: أن القدر بيد الله، الذي قدَّر كل شيء، وفق سنن ومصالح وحيثيات، وتابعاً لعلل وأسباب، ومقدمات قريبة، أو بعيدة، يكون منها أحياناً اختيار الإنسان وإرادته.. وهذا الإختيار متوقف على مبادئ ومعدّات وشرائط، مثل العلم بالأمر وحيثياته، والترجح بينها، ثم اختياره والشوق إليه، وإرادته والتحرك نحوه..

ولعل من وسائل حفظ الحفظة الموكلين به هو تهيئة الأجواء التي يلتفت بسببها ومن خلالها إلى وجود قليب (أي بئر) في طريقه، أو إلى وجود آفة في مسار عمله، فيتحرّز من الوقوع فيها، أو يحفظ نفسه منها..

فإذا جاء القدر، وكانت المصلحة العامة تقضي بعدم تدخل الحفظة بتهيئة أسباب إلتفاته إلى ما خفي عنه، خلّوا بينه وبينها، فتبقى الأمور مستورة عنه، فيقع فيما قدره الله تعالى له، وفقاً لقانون التسبيب الذي أراد الله سبحانه أن تجري الأمور على وفقه، ومن خلاله..

وهذا يدل على أن ما سألوا عنه، خارج عن دائرة إلقاء الإنسان بيده إلى التهلكة..

أسئلة الإمام الحسن لأبيه ÷:

ولسنا بحاجة إلى التذكير: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يكن يسأل أباه مستفهماً، لأننا لا نرتاب في أنه كان عارفاً بما يسأل عنه، بل كان يسأله عما يعلم أنه يدور في أذهان الناس.. ولا يجدون له جواباً يدفع الشبهة عنهم.. فكان «عليه السلام» يريد أن يسمعهم الجواب من فم علي «عليه السلام» مباشرة، ليكون ذلك أدعى لقبولهم، ولحصول الطمأنينة لهم..

معالجة انتكاسة الجيش:

وفي الرواية المتقدمة في الفصل السابق برقم [5] حديث عن معالجة أمير المؤمنين «عليه السلام» لانتكاسة تعرضت لها ميمنة جيشه، وقد لاحظنا أنه «عليه السلام» قد اتبع أسلوباً في المعالجة غير متوقع. وبيان ذلك:

أننا تعودنا من القادة الذين تنهزم طائفة من جيشهم، أنهم يحاولون

التصدي للمنهزمين، وتقوية معنوياتهم، والعمل على إقناعهم بالعودة إلى ساحة القتال..

ولكن علياً «عليه السلام» لم يفعل ذلك، بل إنه حين انهزمت الميمنة ذهب إلى الفرقة الأخرى، وهي الميسرة، ولم تكن قد انهزمت، ولكنها شارفت على الهزيمة، وبدأت تظهر ملامحها عليها، وصار يعمل على تثبيتها، وترميم الخلل الذي بدأ يظهر فيها، وردّ من تراجع عن ساحة القتال إلى موقعه من المعركة، وبالأخص إلى المواضع الحساسة منها..

ثم انتزع «عليه السلام» من ميسرته أهم قائد عنده، وأعظمهم نفوذاً لدى أهل العراق.. وهو الأشتر «رحمه الله»، وأرسله إلى الذين انهزموا من الميمنة، ليردّهم.

ولو أنه «عليه السلام» ذهب بنفسه ليردّ الميمنة، فلربما تفاقمت المشكلة، فيما إذا دعاها ذلك إلى الإيغال بالهزيمة، لأنها ستظن أن الجيش كله قد هزم، بدليل أن قائده حضر إليهم بنفسه، وأنه «عليه السلام» يحاول أن يتخذ منهم نواةً وركيزة يلتف الجيش المنهزم حولها، ليعيد الكرّة بهم من جديد..

فبقي هو «عليه السلام»، ليحفظ الميسرة والقلب، وأرسل إليهم قائد الخيل، لأنه كان هو القادر على الإنتقال في أي اتجاه أراد، ولأن وجوده في الأمكنة المختلفة، وتصدّيه لإرجاع من ينهزم، وإعادته إلى مركزه، ليس بالأمر الغريب عليه، ولا المستهجن منه..

فإذا تبين للميمنة التي هزمت، أن الهزيمة قد وقعت عليها دون سائر الجيش، وأن ذلك سوف يبقى وصمة عار على جبين كل واحد منهم، وسيحرجهم مع المحيط الذي يعيشون فيه إحراجاً هائلاً، وسيوجب استمرارهم في الهزيمة، شكوكاً في دينهم، وفي شجاعتهم، وفي كل معاني النبل والكرامة فيهم ـ إذا تبين لهم ذلك ـ فإنهم سوف يفضّلون الموت بعز وكرامة، على الحياة بذل، ومهانة.. وسيفكرون في التراجع عن هذا القرار اللئيم، وسيفهمون جيداً مغزى قول أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم:

«أين فراركم من الموت، الذي لن تعجزوه إلى الحياة، التي لا تبقى لكم».

فإن هذه الكلمة القصيرة، قد أفهمتهم: أن فرارهم لا يزيد في عمرهم، إذا كان قد حان أجلهم.. وأنهم لو بقي في أجلهم فسحة، فإنها ستكون وجيزة، وغير ذات قيمة، ولا توازي الضرر الأبدي، الذي سيحل بهم في الدنيا والآخرة..

بصيرة الأشتر، كشفت عن بصائرهم:

والمتأمل في كلمات الأشتر، وحركته الواعية، والهادفة إلى إعادة المنهزمين، يلمس: أنه «رحمه الله» كان على بصيرة من أمره، عارفاً بحال هؤلاء القوم، كما هو عارف بحال أعدائه..

وتحتاج كلماته إلى دراسة وتحقيق، وتأمل وتدقيق، لنيل مراميها،

والتدبر في آثارها.. وليس في وسعنا القيام بذلك، لأن أولويتنا هي للفت الأنظار إلى مواقف أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكلماته، وسياساته بالدرجة الأولى، وإنما نذكر طرفاً مما صدر من الآخرين من فعل وقول، كالأشترونظرائه وفاءً لبعض حقهم على هذه الأمة، ولأجل أنه صدر في سياق نصرته في حروبه «عليه السلام» وهو يعنيه، بنحو أو بآخر..

وعلى كل حال، فإن كلمات الأشتر «رحمه الله» هنا، قد تضمنت إشارات إلى العديد من الأمور، نقتصر منها على النقاط التالية:

عضضتم بهَن أبيكم:

قد يقال: إن الأشتر قد تجاوز الحدود المسموح بها شرعاً، لأنه استفاد من الكلمات التي يقبح التصريح بها، بقوله: عضضتم بهَن أبيكم، لأن الهَن من الألفاظ التي يعبر بها عن الفرج.. ولو فرض جدلاً أن التصريح بهذه الألفاظ ليس حراماً، فهو يخالف المروءة، ولا يليق بالرجل الكريم أن يلجأ إليه..

ونجيب:

أولاً: لو كان هذا مما يستقبح التصريح به، وكان حراماً لم ينسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد رووا عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: «من تعزّى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهَن أبيه ولا

تكنوا..»(1).

أي قولوا له: «عض على هَن أبيك»، وصرِّحوا له بما قصدتم من كلمة «هَن»، ولا تبقوها مبهمةً، ولا تكنّوا بها عن شيء يحتمل فيه العديد من الأمور.

وهذه التعابير يقصد بها إفهامهم: أن ندمهم سوف لا يفيدهم مهما كان شديداً، ولذلك قال الأشتر لمذحج: عضضتم بصم الجندل.. فإنه دعاء عليهم بالندم الشديد، الذي يدعوهم للعض حتى على الحجر، مع

(1) المجموع للنووي ج20 ص206 والبحر الرائق ج2 ص337 وبحار الأنوار ج32 ص91 ومسند أحمد ج5 ص136 والأدب المفرد ص207 5 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص272 وصحيح ابن حبان ج7 ص425 والفائق في غريب الحديث للزمخشري ج2 ص358 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص150 وموارد الظمآن ج3 ص13 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج1 ص260 وكشف الخفاء ج2 ص240 وتفسير الثعلبي ج3 ص357 ومفردات غريب القرآن ص334 وشرح السير الكبير ج1 ص90 وتهذيب الكمال ج19 ص330 وج28 ص169 وغريب الحديث لابن سلام ج1 ص300 و 301 والصحاح للجوهري ج3 ص1091 وج6 ص2425 و 2536 ومعجم مقاييس اللغة ج4 ص309 والنهاية في غريب الحديث ج3 ص253 و 255 و ج5 ص278 ولسان العرب ج7 ص188 وج13 ص515 وج15 ص53 و 233 و 367 والقاموس المحيط ج2 ص337 وتاج العروس ج10 ص103 وج19 ص67 و 673 وج20 ص134 و 342.

علمهم بعدم الفائدة لهم في ذلك.

ثانياً: إن كلمة «هَن» ترادف كلمة «شيء».. وكلمة شيء ليست من الألفاظ الفاحشة. فكذلك ما يراد منها، فهي ـ يعني كلمة هن ـ كناية عن كل اسم جنس، فيقال: هذا هَنك، أي شيئك، وليست كلمة «هَن» من أسماء عورة الإنسان لا القُبل ولا الدبر، ولا هي من التعابير عن أي فعل يرتبط بها مما يقبح إظهاره، ويطلب إخفاؤه واستتاره.

ثالثاً: ما ينسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه قال: «فأعضوه بهَن أبيه.. إلخ» يراد به ـ كما قلنا ـ قولو له: عضّ هَن أبيك، أي شيء أبيك.. واذكروا له اسم ذلك الشيء: يده، أو رجله، أو ثوبه، أو أي شيء يعود إليه.. مما يكون التصريح به حلالاً.. أو لا يخالف المروءة.. لكي لا يذهب الوهم إلى أمور قبيحة، أو غير لائقة بالقائل، ولا بمن تقال له.

شدّوا شدّة الموتور:

وقد لاحظنا: أن الأشتر طلب من المهزومين أن يشدّوا على عدوهم شدّة الموتورين بآبائهم وأبنائهم، وإخوانهم.. إلى آخر ما قال..

ويلاحظ: أنه «رحمه الله» قد ألمح لأولئك الفارين، ـ من دون أن يصرح لهم ـ أن فرارهم لا مبرر له، لأن رميهم بالجبن من قبله بصورة صريحة، سوف يترك أثراً سلبياً على معنوياتهم. فآثر أن يلمح لهم بالأمر من دون أن يحرجهم. فذكر لهم:

أولاً: أن قتالهم كان في خصوص ذلك اليوم قبيحاً.. ولعل ذلك لأجل إخلالهم بفنون القتال، أو بسبب تراخي بعضهم فيه، أو لغير ذلك..

ثانياً: إن مستوى فعاليتهم في القتال كان متدنياً. لأنه لم يصل إلى مستوى قتال الموتورين، الذين قتل آباؤهم، وأبناؤهم، وإخوانهم. وهذا يدل على عدم جديتهم.. لأن المتوقع منهم أن يوطنوا أنفسهم على الموت، بسبب قتل أحبائهم على يد أعدائهم..

ثم إنه «رحمه الله» أخذ بيدهم، ليضعها على أمور حساسة وأساسية بالنسبة إليهم، أي أنه «رحمه الله» ذكر لهم أموراً كثيرة، لا بد أن يجد فيها كل منهم ما يهمه، ما يشكل حافزاً قوياً لكل فرد منهم لمراجعة حساباته، ويدرك أن فراره، سيكون أشرّ وأضر عليه من ثباته في ساحة المعركة حتى لو استشهد، وهذه الأمور هي التالية:

ألف: إن ذلك العدو قد وترهم بأعز الناس عليهم، وهم آباؤهم، وأبناؤهم، وإخوانهم..

ب: إن المتوقع من أهل النجدة والكرامة، هو: أن لا يسبقهم أحد بثأر.

ج: إن عدوهم إنما يحاربهم، ليسلبهم أعز شيء لديهم، وهو دينهم، لأنه يريد إطفاء السنة، وإحياء البدعة.

د: إن عدوهم يريد لهم أن يعودوا إلى جاهليتهم، وإلى الشرك الذي أخرجهم الله منه بحسن البصيرة..

هـ: إنهم يريدون أن يسلبوهم عزّهم..

و: إنهم يريدون أن يغلبوهم على الفيء..

ز: إن في هذا الفرار ذل المحيا والممات..

ح: فيه عار الدنيا، والآخرة..

ط: فيه سخط الله، وأليم عقابه..

خطاب الأشتر لمذحج:

وقد خاطب الأشتر «رحمه الله» مذحجاً بما أعادهم إلى صوابهم، وبث فيهم روح النخوة، فذكر لهم ما يلي:

ألف: أن الذين يحاربونهم هم أعداء الله..

ب: إنهم في قتالهم الضعيف، ما أرضوا ربهم، وما نصحوا له في قتال عدوه.

ج: إنهم أبناء الحرب وفرسانها.

د: إنهم لا يسبقون بثأرهم.

هـ: لا تطلّ دماؤهم.

و: لا يعرفون في موطن من المواطن بخسف.

ز: إنهم أحدّ أهل مصرهم.

ح: أكثر قومهم عدداً. فما معنى هذا الضعف الذي ظهر فيهم ومنهم.

ط: إن ما يفعلونه في هذا اليوم، سوف تتناقله الأجيال بعدهم، فعليهم أن يحذروا من أن ينقل عنهم ما ينقص قدرهم، ويسقط محلهم..

ي: إنه ليس في أعدائهم رجل على شيء من دين الله..

ك: إن عدم جديتهم في الحرب في ذلك اليوم.. قد سوّدت وجهه، وهو يريد منهم أن يجلوا السواد، حتى يرجع دمه في وجهه..

ل: إن عليهم أن يعمدوا إلى ضرب صميم الأعداء، والنقطة المركزية فيهم، وحيث السواد الأعظم، لأن إيراد الضربة في هذا الموقع قد تنتهي إلى انهياره، ووقوع الفوضى فيه، وإذا حصل ذلك، فإن الكتائب المحيطة به، سوف تنهار أيضاً تبعاً له، كما يتبع مؤخر السيل مقدمه..

وكانت هذه التوجيهات كافية لقلب المعادلة. وصمد بهم نحو عظم جيش معاوية من جهة الميمنة. وصار يردّ من يلتقيه ممن تأخرت هزيمتهم، واستقامت له الأمور، وأعيدت إلى نصابها..

علي × والمنهزمون:

ولا ريب في أن الذين انهزموا، ثم عادوا إلى القتال، كانوا يشعرون بالخجل من علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وربما كانوا يتوقعون منه عتباً، أو لوماً، وتقريعاً قاسياً.. فلننظر ماذا قال «عليه السلام» لهم في هذه اللحظات الحرجة.. فنقول:

تقدم في الفصل السابق في الحديث رقم [9]: أنه «عليه السلام»

قد ساق الكلام بطريقة حفظ لهم بها كرامتهم وعنفوانهم، أمام أقرانهم، ونظرائهم في سائر القبائل.

ولم يسجل «عليه السلام» عليهم ما قد يُتخذ ذريعة لمؤاخذتهم، أو ما يمكِّن عدوهم من التبجح به، أو التسويق له، على أنه نصر له عليهم، فلاحظ ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» في كلماته التي وجهها إليهم اعتبر أن ما كان منهم هو مجرد جولة، ولكنها جولة على سبيل الإنحياز، لا الفرار، وهناك فرق بين الأمرين. فالفرار من الزحف هروب وهزيمة توجب لفاعلها البوار والهلاك، والذل والعار في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.. أما الإنحياز فهو الخروج من الصف بسبب ضغوط كثيرة يتعرضون لها التماساً منهم للسبيل الذي يمكنهم من تحصيل المعونة، عن طريق الإتصال، أو من الوصول إلى فئة من المؤمنين بهدف التقوّي بها على العدو..

وهذا أمر قد تفرضه الضرورة أحياناً، ويصبح أمراً لا بد منه في حدّ نفسه، لأنه يمنع العدو من تسديد ضربات موجعة، أو تسجيل نصر، ولو محدود له، على فئة من أهل الإيمان، يحاول أن يستغل قلة عددها، أو ضعف عدّتها، أو حالة اختلال عرضت لها، لسبب خارج عن إرادتها..

فإذا اتصلت بالفئات الأخرى، فإنها تفوّت على العدو هذه الفرصة، وتحتفظ بكامل قوتها، لتستفيد منها في الموقع وفي الوقت

المناسب..

والذي يؤكد: أن ما صدر عن تلك الفئة كان انحيازاً، وليس فراراً، هو نفس إقبالها على الحرب بعد إدبارها، وكرّها على عدوها، بعد انحيازها عنه..

2 - ثم بين «عليه السلام»: أن اللجوء إلى هذا الإجراء، إنما يكون عند الضرورة القصوى، وحيث لا سبيل إلى تلافي الخطر بدونه..

أما في الظروف العادية، فلا يجوز فعل ذلك، لأنه يحمل معه أخطاراً جساماً، من حيث أنه يوهم الأولياء بوقوع الهزيمة على تلك الفئة، فتضعف نفوسهم، وتنهار عزائمهم، وربما يتعاظم الشعور بالضعف إلى حدّ وقوع الهزيمة الحقيقية عليهم أيضاً..

يضاف إلى ذلك، أن لهذا التحيّز أثراً سلبياً على نفوس المتحيزين أنفسهم، لأنه يشعرهم بعدم قدرتهم على مواصلة المواجهة بدون المعونة.

هذا عدا عن كونه يوجب أن يطمع العدو في المتحيزين، ويدعوهم لتشديد ضغوطهم عليهم، حتى يحوّلوا تحيُّزهم إلى هزيمة حقيقية، إن أمكنهم ذلك..

ولذلك نلاحظ علياً «عليه السلام» قد انزعج وحزن كثيراً من حصول هذا الأمر، ولم يشف إحاح صدره، إلا رؤيته أخيراً أن أولئك المتحيزين قد حازوا عدوهم، وأزالوه عن مصافه، كما حازهم،

وأزالهم..

وقد رآهم يحوزونهم بسيوفهم بطريقة قوية، حتى إنهم ليركب أوَّلهم آخرهم، كالإبل المطردة الهيم، التي تذاد عن حياضها، حسبما قال «عليه السلام»..

3 - إنه «عليه السلام» قد بين المبررات التي دعت الميمنة إلى الخروج من الصف، والإنحياز طلباً لفئة تمد لها يد العون، فذكر أن جيش الشام الذي كان يهاجم الميمنة كانوا:

ألف: جفاةً..

ب: كانوا طغاماً، يعني أراذل، وأوغاداً..

ج: كانوا أعراباً. وقد ذم الله تعالى الأعراب في القرآن، ووصفهم بقلة الدين والجهل، وهذه الصفات إذا اجتمعت في فئة من الناس، فإنها تجعل التعامل معها صعباً، لأن الموازين عندها سوف تختل، ولا يبقى للمشاعر والعواطف الإنسانية مجال للتأثير فيها، ولا للقيم الأخلاقية، ولا لأحكام الشرع والدين مجال، أو دور في سلوك الجفاة والأراذل، والأوغاد والأعراب..

4 - ولم يهمل «عليه السلام» الإشارة إلى أنه كان يتوقع من ميمنته أن تستعيد توازنها، وفعاليتها، وقوة تأثيرها، وأن تمسك من جديد بزمام المبادرة، لأن رجالها وإن كانوا قد فوجئوا بالواقع المزري لعدوهم، ولكنهم كانو يملكون صفات وميزات كانت هي الضمان، والأمان لهم، الذي يمكن التعويل عليه في ساعات الشدة، وهذه

الميزات كما ذكر «عليه السلام» هي التالية:

ألف: إنهم لهاميم العرب. ولهاميم: جمع لهميم، وهو الجواد الغزير الجري. أو المراد: أنهم أشياخ العرب.. وأهل التجربة، والحكمة، والشعور بالمسؤولية فيهم.

ب: إنهم يآفيخ الشرف ـ كما في رواية نهج البلاغة ـ ويآفيخ جمع يافوخ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل. أي غير الصلب.

فهو كناية عن أنهم في أعلى قمم الشرف، والمواضع التي لا يسمح بمسها والوصول إليها.

ج: إنهم الأنف المقدم، والسنام الأعظم، كما في رواية نهج البلاغة أيضاً. والسنام هو حدبة البعير.

د: إنهم عمَّار الليل بتلاوة القرآن..

هـ: إنهم أهل دعوة الحق، إذ ضل الخاطئون..

وهذا يعطي: أن عودتهم إلى مراكزهم، واستعادة زمام المبادرة من يد عدوهم، كان متوقعاً، ولكن وفق المعايير الصحيحة، وفي دائرة قيم الشرف والشعور بالكرامة، والسؤدد، وبذل الجهد الكثير والغزير، والسريع، ومع الترفع عن الإبتذال وعن كل ما يهين ويشين.

كما أن أهل دعوة الحق، وعمَّار الليل بتلاوة القرآن، هم الذين يلتزمون بحدود الشرع، ويراعون القيم الإنسانية والأخلاقية، في تعاملهم، وفي مواقفهم..

5 ـ ثم إنه «عليه السلام» أنهى كلامه بوضع النقاط على الحروف فيما يرتبط بالهزيمة في الحرب، من دون أن يشير إلى أحد باصبع الإتهام بهذا الأمر.. فلاحظ ما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» قد حصر كلامه حول الهزيمة وتبعاتها بخصوص الأفراد، ولم ينسبها للجماعات، ليدل بذلك على أن الهزيمة، إنما تعني الأفراد أنفسهم، فهم المسؤولون عنها بأشخاصهم وأعيانهم. وهذا معناه أنه ليس لأحد أن يبرر هزيمته بهزيمة غيره، لأنه لا يحق له ذلك حتى لو رأى غيره يفعل هذا الأمر المشين.

ثانياً: ذكر «عليه السلام» آثاره على النحو التالي:

ألف: أن المنهزم مسخط لربه.. وكفى بهذا وازعاً له عن الإقدام على هذا الذنب العظيم.

ب: إنه موبق نفسه، أي مهلكها في الآخرة.

ج: في الفرار الذل اللازم له.

د: فيه العار الباقي.

هـ: فيه اعتصار الفيء من يده.. ويلاحظ دقة التعبير بكلمة «اعتصار»، فإن المراد به أخذه منه بالقوة والقهر، وبمزيد من الضغط، حتى لا يبقى له منه شيء. وربما يكون المراد أيضاً، الإشارة إلى أن أخذه منه يتم بصورة تدريجية، وبضغط متواصل لا ينقطع، ما دام في يده شيء منه مهما كان ضئيلاً، كما أن هذا التعبير لا يخلوا من إلماح إلى أنهم سوف يبقون مناشيء المال في أيديهم،

لكي يشتغلوا بها، ويحصلوا على الأموال، ثم يعمدون إلى اعتصار ناتج عملهم هذا من أيديهم إلى آخر قطرة منه..

و: إن في الهزيمة فساد العيش أيضاً..

ز: فيه موجدة لله سبحانه.. والظاهر أنه «عليه السلام» أراد أن يبين أن سخط الله تعالى على المنهزم لا يأتي عرضاً، ثم يزول ويتلاشى، بل هو متواصل ومستمر، لأن الموجدة تعطي معنى الإستمرار والإتصال..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» بعد أن تحدث عن آثار الهزيمة من الناحية الإعتقادية، ثم من الناحية الحياتية، وعلى صعيد الربح والخسارة المعيشية، وعلى صعيد الموقع الإجتماعي، والكرامة الإنسانية، انتقل إلى تلمس الدافع الأعمق للفرار من العدو، فذكر «عليه السلام» أنه يتمثل بأمرين:

أولهما: تشبثه بالحياة، والسعي لتلافي كل ما يرى منه خطراً وضرراً عليها، وحرصه على عدم التفريط بها.

وقد عالج «عليه السلام» ذلك بإرجاع هذا الفار إلى وجدانه، لأنه يعلم أن قرار البقاء في الدنيا ليس بيده، وأن الفرار لا يزيد في عمرالإنسان.. الأمر الذي يجعل هذا التصرف عبثياً، وغير ذي جدوى.. بل هو مجرد استدراج مصائب وبلايا، وكوارث ورزايا محققة.

الثاني: إن الإنسان قد يحاول أن يزين لنفسه أموراً هي إلى

خداعها أقرب، وبه أنسب، فيزعم لها أن الله تعالى قد كلفه بحفظ نفسه، وألزمه بدفع الأخطار والأسواء عنها، وبذلك يصبح فراره من العدو حفظاً لنفسه من موجبات رضا الله سبحانه.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لمن تغزوه هذه الأباطيل: لا تخدع نفسك بهذه الترهات، فإن الذي أوجب عليك حفظ نفسك من الأخطار هو نفسه الذي قال لك: إن تعريضها للأخطار حين يتوجه الخطر إلى دينك.. وهو الذي قال لك: إن حفظ دينك، وحفظ نظام الأمة، والدفاع عن الأنبياء والأئمة المعصومين وعن المستضعفين واجب، ولا بد من القيام به، وأن التخلف عن امتثال هذا الواجب من موجبات سخط الله تعالى، والتعرض للبلاء العظيم في الدنيا، والعقاب الأليم في الآخرة..

ولذلك قال «عليه السلام»: «وإن الفار لا يزيد الفرار في عمره، ولا يرضي ربه.. فموت الرجل محقاً قبل إتيان هذه الخصال (وهي الخصال التي ذكرها لمن يفر وينهزم) خير من الرضا بالتلبس بها، والإقرار عليها..».

لا مجال للمساومة:

وغير خفي: أن الذين يطلبون رضا الله سبحانه، ويريدون إحقاق الحق، ودفع الظلم، لا خيار لهم سوى الدفاع عن الدين وأهل الدين، ومحاربة الباطل بكل السبل الممكنة التي توجب إزهاقه، وكبت أهله ومناصريه، وحماته والمروِّجين له. ولا مجال للمساومة، أو للمهادنة

في شيء من ذلك..

أما المبطلون، والمعتدون، والظالمون، فلا يرون أن ثمة حرجاً في المساومة والأخذ والعطاء، وقد يتراجعون عن بعض ظلمهم مقابل ظلم آخر، يتجلى في مكاسب يحصلون عليها بغير حق..

وهذا بالذات هو ما يجب اعتماده في فهم ما ورد في الرواية رقم [10] من أن رئيس خثعم الذي كان مع معاوية، قد عرض على رأس خثعم أهل العراق، رجوعهما في قبيلتيهما عن نصرة صاحبيهما علي «عليه السلام» ومعاوية..

فرفض ذلك رئيس خثعم العراق.. وقد أصاب في رفضه هذا، لأن من يريد رضا الله سبحانه، لا يمكنه خذلان الحق وأهله.. وكان على رئيس خثعم الشام أن ينحاز إلى أهل الحق، ويكون معهم، ويدافع عنهم وعن حقهم. وليس له أن يعتزل الفريقين، فضلاً عن أن يكون مع المعتدين والظالمين..

ولأجل ذلك نقول:

إن ما فعله رئيس خثعم الشام كان باطلاً وعاراً عليه، ولا يستحق عليه ثواباً ولا ثناءً.. إذ ليس له أن يستجيب لعصبيته وقبيلته، ولا يستجيب لنداء الواجب الإلهي الذي يحتم عليه محاربة الباطل وأهله، وهم معاوية وشيعته، ونصرة الحق وأهله، وهم علي «عليه السلام» ومن معه..

الشامي يقتل العراقي ويبكي!!:

والأغرب والأعجب هنا، ما ورد في الرواية العاشرة أيضاً، من أن شمر بن عبد الله الخثعمي، وهو من أهل الشام، قد قتل رئيس خثعم العراق، ثم انصرف يبكي، ويقول: «رحمك الله يا أبا كعب، لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحماً منهم، وأحب إلي نفساً منهم. ولكن والله ما أدري ما أقول. ولا أرى الشيطان إلا قد فتننا، ولا أرى قريشاً إلا قد لعبت بنا..»

فإذا كان هذا الشقي شاكاً إلى هذا الحد، فكيف يقدم على أمر يتيقن بأن الله تعالى قد نهاه عنه، وهو قتل المسلم، والخروج على الإمام، وما إلى ذلك؟! وكيف نقض هذا اليقين بذلك الشك، مع أن الله سبحانه يقول: **(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)**[1]، فكيف إذا كان شكاً؟!

وأين شك هذا الشقي من يقين عمار بن ياسر، الذي يقول: والله لو ضربونا، حتى أبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أننا على الحق، وأنهم على الباطل؟!

كل قبيلة تقابل أختها:

وتقدم في الرواية رقم [14] ما قاله مخنف بن سليم حول صعوبة

(1) الآية 36 من سورة يونس.

أن تقاتل قبيلة أزد العراق قبيلة أزد الشام، واعتبر ذلك من البلاء العظيم والخطب الجليل.. وأنهم إنما يقطعون بذلك أيديهم، ويحذفون أجنحتهم بأسيافهم.

وأنهم إن لم يفعلوا لم يناصحوا إمامهم، ولم يواسوا جماعتهم، وإن فعلوا ذلك، فقد أباحوا عزهم، وأخمدوا نارهم..

ولعل هذه المشاعر والخواطر لم يتفرد بها هذا الرجل، بل هي عامة في سائر القبائل..

وهذا يؤكد ما قلناه، من أن مواجهة القبائل لبعضها كان إجراءً حكيماً منه «عليه السلام»، لأن من شأنه أن يقلل القتلى بين الفريقين، كما أن من فوائد ذلك: إمكان تضميد الجراح، ورأب الصدع بسرعة، وعدم اتساع العداوات، والحد من تسلسل القتل في القبائل على سبيل الثأر والإنتقام.

كما أن ذلك يقطع أمل أهل الباطل، ويجعل من الصعب عليهم اتخاذ قرار مناوأة الحق وأهله، فإن معرفتهم بأن أهل الحق على استعداد حتى لقتل آبائهم وأبنائهم دفاعاً عنه، يجعلهم يحسبون ألف حساب قبل الدخول في هذا الأمر الكبير والخطير..

ومهما يكن من أمر، فإن أحد أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» قد تصدى لمخنف هذا، ورد عليه كلامه، فقد قالوا: إن جندب بن زهير، أجابه: بأنه على استعداد لقتل آبائه وأبنائه إن خرجوا عن الجماعة، وشقّوا عصا الطاعة للإمام، وآزروا الضالين والحاكمين

بغير الحق..

وأعلن أن قتاله لهم سوف يتواصل مهما كثرت القتلى بينهم، حتى يرجعوا عما هم عليه..

وقد كان الحق مع جندب، لا مع مخنف. لأن جندب بن زهير قد وافق وصدق وعمل بقوله تعالى: **(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[1].

كما أنه إذا بلغ الولاء والطاعة لله سبحانه ولرسوله «صلى الله عليه وآله» حداً يصبح الإنسان فيه على استعداد لمواجهة حتى أبنائه وإخوانه وآبائه بالحرب، دفاعاً عن الإمام وعن الدين والحق، فإن الدنيا تصبح بخير، ويصير المعيار في الولاء والعداء، هو القرب من الحق، والبعد عنه، والطاعة لله سبحانه ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، ومعصيتهما، وليست العصبيات القبلية، ولا الأهواء، ولا المصالح الشخصية، ولا غير ذلك مما من شأنه أن يقوّض دعائم الحق والدين، ويهدم أسس التعامل السليم، ويختار السير في سبل الضلال عن الصراط المستقيم..

(1) الآية 22 من سورة المجادلة.

ويلاحظ هنا: أن عصبية مخنف بن سليم، هي التي انتهت به إلى الضلال والخيانة، حيث إن علياً «عليه السلام» ولّاه أصبهان وهمدان، فهرب بالمال. فروي أن علياً «عليه السلام» قد عبّر عن احتقاره له، بقوله: عذرت القردان، فما بال الحَلَم؟![1].

والقردان: جمع قراد، بالضم. والحلم جنس منه صغار.

وما ألطف هذا التشبيه لهؤلاء السارقين بالقراد والحَلَم هنا، فإنهما إنما يمتصان الدماء، فكأنه «عليه السلام» يقول: إن سراق الأموال يفعلون نفس ما يكون من الحَلَم والقُراد.

طلب الشهادة سمة المحقين:

وإذا وصلنا إلى الرواية التي برقم [16] من الفصل السابق، فنجد أنها تحدثت عن عتبة بن جويرية، الذي كان يتمنى الشهادة، وقد أناله الله تعالى إياها..

وعلينا أن نشير إلى أن التاريخ والحديث يحدثنا عن كثيرين جداً، كانوا في صفين يسعون إلى نيل وسام الشهادة، من أمثال: ابن بديل، وعمار بن ياسر، وهاشم المرقال، ومالك بن حري، وعتبة بن جويرية.. وذلك الرجل الذي أصر على حمل القرآن إلى جيش معاوية، وإلى جيش عائشة، ليعرضه عليهم، مع أن علياً «عليه

---

(1) صفين للمنقري ص11 ومجمع الأمثال للميداني ج1 ص443 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص497 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص21.

السلام» أخبره بأنه مقتول.. وغيرهم كثيرون..

ولم نجد في أصحاب معاوية من يسعى لنيل الشهادة، بل كانوا يجهرون بأنهم يقاتلون عصبية، أو انسياقاً مع حميّة الجاهلية، أو حقداً وحنقاً، أو انخداعاً، أو طمعاً بدنيا يصيبونها، أو خوفاً.. ولغير ذلك من دوافع، ومن تزيينات وتسويلات شيطانية، يمقتها الله سبحانه ورسوله «صلى الله عليه وآله»..

فهذه ميزة ظاهرة، لها دلالتها الكبيرة، التي يدركها أهل الدين والبصائر..

أما الذين يفجرون في هذه الأيام أنفسهم في الموالين لأهل البيت «عليهم السلام»، بادِّعاء أنهم يفعلون ذلك رغبة في ثواب الله، وحباً للقاء برسول الله «صلى الله عليه وآله» فهم يعانون من مزيج هجين من الحقد والجهل، والتعصب المقيت.

ومن الواضح: أنهم لا يعذرون بجهلهم، لأنهم يرفضون الحوار، بل يرفضون سماع أية كلمة من الطرف الذي يشنون حربهم عليه. وإن كلموهم، فإنهم يكلمونهم بالسباب والشتائم، والتكفير، ونحو ذلك من الأساليب العنيفة، والتحريضية الرافضة.

دفن عثمان.. ودفن شهداء صفين:

وتقدم في الرواية رقم [18]: أن معاوية لم يكن يرضى بدفن أحد من شهداء صفين الذين قتلوا مع علي «عليه السلام».. ولا شك في أنه

لم يكن يفعل ذلك انطلاقاً من شبهة دينية، أو التزام بشرع، لأن الشرع يوجب دفن المسلم، فكيف إذا كان المسلم شهيداً مظلوماً، وضحية عدوان صريح وواضح ممن يعرف الحق، ويتعمد محاربته وطمسه؟!.

وقد أقيمت عليه الحجج، وأظهرت له الحقائق عشرات، إن لم يكن مئات المرات..

يضاف إلى ذلك: أن معاوية، وإن كان قد صدق في قوله لصاحبه: إنهم منعوا من دفن عثمان.. ولكنه زوّر الحقيقة، حين أوهم أن علياً «عليه السلام» كان هو المانع من دفنه، لأن علياً «عليه السلام» كان هو الذي سهل لهم أمر دفن عثمان، بعد أن كان الناس قد منعوا من ذلك، فكان حريّاً به أن يكافيء علياً «عليه السلام» على حسن صنيعه، لا أن يبادئه بهذه الطريقة القبيحة، والمخالفة لشرع الله تبارك وتعالى..

وأخيراً: فإن كلمات معاوية قد أوضحت أنه ينطلق في قراره هذا من عصبية مقيتة، وحقد شخصي، لا من مباديء وأصول، حتى لو كانت ساقطة وهزيلة..

الشمر «لعنه الله» في صفين:

وتقدم في الفصل السابق برقم [19] و [20] ما دلّ على مشاركة الشمر في حرب صفين، وأنه قد جرح بوجهه فيها..

والشمر «لعنه الله»، هو الذي قتل الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء، وباء بغضب من الله ورسوله، واستحق من العذاب ما لا يمكن وصفه، ولا تقديره..

وقد أظهرت هذه النهاية المخزية له في الدنيا والآخرة، أن حضوره في صفين لم يكن دفاعاً عن الدين والحق، بل لأجل الدنيا. فحاله كان حال قزمان الذي قتل مع المسلمين، ودخل النار، لأنه لم يكن يدري ما جنة ولا نار، وإنما قاتل عن الأحساب.. وقد تقدم حديثه في هذا الكتاب، فراجع..

ترك أخاه، فعاد إلى صف معاوية:

وتقدم برقم [21] في الفصل السابق حديث ذلك الذي بارز رجلاً من أهل الشام، فلما صرعه وأراد أن يقتله، تبين له أنه أخوه لأبيه وأمه، فلم يتركه حتى أذن له أمير المؤمنين «عليه السلام» فتركه، فعاد إلى معاوية..

ومر برقم 22 حديث أبي العمرطة، وابن عمه.. وغير ذلك.

وما نريد أن نشير إليه هنا، هو:

1 - إن هذا الذي لم يترك أخاه حتى أذن له أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد عمل بما يمليه عليه الواجب الشرعي، وفقاً للآية المباركة التي ذكرناها قبل قليل: **(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ**

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1].

2 - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أحسن للأخوين معاً، حين أمر الأخ بأن يترك أخاه ولا يقتله. فأحسن إلى العراقي، لأنه رفع عنه أمراً محرجاً، لم يكن له مناص من المضي في إجرائه، لولا عفو أمير المؤمنين «عليه السلام».. فإذن علي «عليه السلام» وحده، هو الذي يجعله معذوراً بتركه عدو الله، حتى لو كان أخاه..

كما أنه قد أحسن لأخيه الشامي، الذي جاء لحرب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وسعى في إضعاف أمره، وأراد إطفاء نور الله، ولو قدر على قتل علي «عليه السلام» لقتله، ولقتل معه الحسن والحسين «عليهما السلام»، فضلاً عن سائر أصحابه.. كل ذلك بغياً منه، وعدواناً وظلماً، ومن دون أي عذر أو مبرر، ومع قيام الحجة عليه، وإيضاح الأمور له، ولكل الناس..

3 - وبعد هذا العفو فإن عودته إلى جيش معاوية، والوقوف في الصف للقتال، تدل دلالة واضحة على مزيد من اللؤم والخسة، والسقوط الأخلاقي لدى ذلك الشخص، لأنه لم يحسن تقدير هذا العفو، ولا ميز بين علي «عليه السلام» في دينه، وقيمه، وأخلاقه، ونبله،

---

(1) الآية 22 من سورة المجادلة.

وكرمه، وشرف نفسه.. وبين الباغي والظالم والمعتدي، والمخالف لأحكام الله، ولكل القيم والأخلاق الإنسانية..

لم يؤذن للسيوف في هذا:

أما الحديث الأخير المتقدم في الفصل السابق، عن مهاجمة أبي أيوب لمعاوية، حتى دخل خباءه، فتبعه أبو أيوب، ثم خرج فتبعه..

فقد قلنا: إن ذلك قد روي عن ابن بديل أيضاً، وعن رجل من أصحاب علي «عليه السلام» لم يذكر اسمه..

ونقول:

1 - إننا لا نرى ما يمنع من تكرّر هذا الأمر مع عدة أشخاص، فإن إحاطة أصحاب معاوية بسرادقه، لا تجعل الوصول إليه محالاً..

2 - نريد أن نشير إلى أن الشعر المنسوب إلى معاوية، حين هوجم في خبائه.. وهو قوله:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال إنك لن تراعي

إما مكذوب عليه، لأنه قد ارتاع من مهاجمه، وهرب منه.

وإما أنه قد تمثل بهذا الشعر، للتعمية والتغطية على ما صدر منه، وما ظهر منه من رعب وخفة..

ولعل هذا البيت قد سرق من قيس مجنون ليليى، ونسب لمعاوية لأجل معالجة هذا الرعب الظاهر الذي حصل له..

3 - إن معاوية قد بدا متناقضاً جداً في هذا الموقف، ويوضح ذلك

ملاحظة قوله لأصحابه: إن السيوف لم يؤذن لها في هذا، ولولا ذلك لم يصل إليه، فقد قال هذا على سبيل الخداع منه، والتلبيس على أصحابه، والتغطية على فشله، والإنتقاص من شجاعة مهاجميه، وإلا فلماذا لم يؤذن للسيوف، وأُذن للحجارة؟! مع أنه يعود فيعترف لهم بأعظم الشجاعة في الشعر الذي تمثل به، وهو قوله:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمـرت عـن سـاقها الحـرب شمرا

ولئن أراد معاوية الإنتقاص من هؤلاء الأشخاص، فإنه قد سجل اعترافاً: بأن لهم خصوصية عند الله تعالى، ليست لغيرهم..

رأس الشامي قطع ولم يقع:

وقد زعمت الرواية الأخيرة في الفصل السابق: أن أبا أيوب قد نفح المبرقع بن منصور بالسيف، فقطع رأسه، ولكن الرأس بقي على الجسد، وسار به الفرس إلى أن دخل في أهل الشام فوقع ميتاً، وندر رأسه..، فقال فيه أمير المؤمنين «عليه السلام» ما دلّ على شدة تعجبه مما جرى..

ونقول:

1 - إن ما ذكره المنقري غير معقول، إذ كيف يمكن أن يبقى الرأس ثابتاً على البدن، وأن يسير الجواد، والبدن والرأس فوقه ثابتان على ظهره، إلى أن يدخل الجواد بهما جيش الشام؟!

2 - بل إن ثبات الرأس على البدن بعد قطعه بالسيف، مما لا يمكن تصوره أيضاً. فرواية ابن أعثم غير معقولة أيضاً، لا سيما مع ضخامة الرأس، وعدم وجود ما يحفظ له توازنه على البدن سوى عظام الرقبة، وهي لا تفي بذلك..

3 - أما ثبات البدن وحده على ظهر الجواد، ليمشي به خطوات، فإنما يتصور ذلك لو كان البدن قد حُزِّم بالجواد، بطريقة خاصة تحفظ له ثباته واستقامته عليه.. وهذا ما لم يحصل أيضاً..

4 - ويبدو لنا: أن هذه الروايات قد اقتبست من الرواية التي ذكرها ابن أعثم عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، حين تزيّا بزي العباس بن ربيعة، وخرج إلى أحد اللخميين «فالتقيا بضربتين: ضربه علي «عليه السلام» ضربة على مرق بطنه، فقطعه نصفين.

قال: فظن الناس أنه أخطأه، ثم تحرك الفرس، فسقط الرجل قطعتين. وغار فرسه، فصار إلى عسكر «عليه السلام»..»[(1)].

وهذا أمر معقول.. فإن البدن يمكن أن يتماسك الشطر الأعلى منه على الشطر الأسفل، ولو للحظات، بسبب سعة مورد الإلتقاء بينهما..

وسوف نذكر هذه القصة بتمامها في الفصل التالي..

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص144 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص600 وكشف الغمة ج1 ص450.

الفصل الثالث:

أحداث أخرى: نصوص وآثار..

بداية:

إننا نذكر هنا طائفة من النصوص التي تحكي لنا ما جرى في حرب صفين، ثم نعقب عليها بما يناسب المقام، فنقول:

من القتال المرير:

1 ـ قال المنقري: ثم تمادى الناس في القتال، فاضطربوا بالسيوف، حتى تعطّفت وصارت كالمناجل، وتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت، [وتناثرت أسنتها]، ثم جثوا على الركبات، فتحاثوا بالتراب، يحثو بعضهم في وجوه بعض التراب، ثم تعانقوا، وتكادموا [بالأفواه]، وتراموا بالصخر والحجارة، ثم تحاجزوا فجعل الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام، فيقول: من أين آخذ إلى رايات بنى فلان؟ فيقولون: هاهنا لا هداك الله.

ويمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول: كيف آخذ إلى رايات بنى فلان؟! فيقولون: هاهنا لا حفظك الله ولا عافاك.

وكان من أمراء النمر بن قاسط عبد الله بن عمرو، من بنى تميم.

وقتل يومئذ فلان بن مرة بن شرحبيل، والحارث بن عمرو بن شرحبيل(1).

أبو عرفاء، وراية حضين:

2 - روى نصر، عن عمر بن سعد، عن البراء بن حيان الذهلى أن أبا عرفاء جبلة بن عطية الذهلى، قال للحضين يوم صفين: هل لك أن تعطيني رايتك أحملها، فيكون لك ذكرها، ويكون لى أجرها.

فقال له الحضين: وما غناي [يا عم] عن أجرها مع ذكرها؟!

قال له: لا غنى بك عن ذلك، أعرها عمك ساعة، فما أسرع ما ترجع إليك. فعلم أنه يريد أن يستقتل.

قال: فما شئت.

فأخذ الراية أبو عرفاء فقال: يا أهل هذه الراية، إن عمل الجنة كره كله [وثقيل]، وإن عمل النار خف كله [وحبيب]، وإن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون، الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره، وليس شيء مما افترض الله على العباد أشد من الجهاد، هو أفضل الأعمال ثواباً.

فإذا رأيتموني قد شددت فشدوا.

ويحكم، أما تشتاقون إلى الجنة، أما تحبون أن يغفر الله لكم.

---

(1) صفين للمنقري ص304.

فشد وشدوا معه، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، وأخذ الحضين يقول:

شدوا إذا ما شد باللواء ذاك الرقاشي أبو عرفاء

فقاتل أبو عرفاء حتى قتل[1]، [وشدت ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضتها].

وفي ذلك قال مجزأة بن ثور:

أضربهم ولا أرى معاويه الأبرج العين العظيم الحاويه
هوت به في النار أم هاويه جاوره فيها كلاب اويه
أغوى طغاماً لا هدته هاديه[2]

قال: وقال معاوية لعمرو: أما ترى يا أبا عبد الله ما قد دفعنا (لعل الصحيح: وقعنا) فيه؟! كيف ترى أهل العراق غداً صانعين؟! إنَّا لبمعرض خطر عظيم.

فقال له عمرو: إن أصبحت ربيعة متعطفين حول علي «عليه السلام» تعطف الإبل حول فحلها لقيت منهم جلاداً صادقاً، وبأساً شديداً. [وكانت التى لا يتعزى لها].

فقال له معاوية: أبخؤولتك تخوفنى يا أبا عبد الله؟!

قال: إنك سألتنى فأجبتك[1].

---

(1) صفين للمنقري ص304 و 305.

(2) صفين للمنقري ص305.

حرب اليوم العاشر:

فلما أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وربيعة محدقة بعلي «عليه السلام» إحداق بياض العين بسوادها، وقام خالد بن المعمر فنادى: من يبايع نفسه على الموت, ويشرى نفسه لله؟!

فبايعه سبعة آلاف [تسعة آلاف] على ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يرد سرادق معاوية. فاقتتلوا قتالاً شديداً [لم ير الناس مثله]، وقد كسروا جفون سيوفهم.

[حتى بلغوا فسطاط معاوية، فهرب معاوية، فنهبوا فسطاطه](2).

معاوية يرشو خالد بن المعمر:

3 - روى نصر، قال عمر: حدثنى ابن أخى عتاب بن لقيط البكري من بنى قيس بن ثعلبة أن علياً «عليه السلام» حيث انتهى إلى رايات ربيعة قال ابن لقيط: إن أصيب علي «عليه السلام» فيكم افتضحتم، وقد لجأ إلى راياتكم.

وقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة، ليس لكم عذر في

---

(1) صفين للمنقري ص305 و 306.

(2) صفين للمنقري ص306 ومناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص348 وبحار الأنوار ج32 ص580 و 581 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص55 و 56.

العرب إن أصيب علي فيكم ومنكم رجل حي، إن منعتموه فحمد الحياة ألبستموه.

فقاتلوا قتالاً شديداً لم يكن قبله [مثله] حين جاءهم علي «عليه السلام».

ففى ذلك تعاقدوا وتواصوا ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يرد سرادق معاوية.

فلما نظر إليهم معاوية قد أقبلوا قال:

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد

ثم قال معاوية لعمرو: ماذا ترى؟!

قال: أرى ألا تحنث أخوالي اليوم.

فخلى معاوية عنهم وعن سرادقه، وخرج فاراً عنه لائذاً إلى بعض مضارب العسكر، فدخل فيه.

وبعث معاوية إلى خالد بن المعمر: إنك قد ظفرت، ولك إمرة خراسان إن لم تتم.

فطمع خالد في ذلك ولم يتم، [فتفل أصحابه في وجهه، وحاربوا إلى الليل]، فأمَّره معاوية ـ حين بايعه الناس ـ على خراسان، فمات قبل أن يصل إليها.

وفي ذلك قال النجاشي:

ولو شهدت هند لعمري مقامنا بصفين فدَّتنا بكعب بن عامر

فيا ليت أن الأرض تنشر عنهم فيخبرهم أنباءنا كل خابر
بصفين إذ قمنا كأنا سحابة سحاب وليٍّ صوبه متبادر(1)
فأقسم لو لاقيت عمرو بن وائل بصفين الفاني بعهدة(2) غادر
فولوا سراعا موجفين كأنهم نعام تلاقى خلفهن زواجر(3)
وفر ابن حرب عفر الله وجهه وأراده خزياً، إن ربى قادر
معاوي لولا أن فقدناك فيهم لغودرت مطروحا بها مع معاشر(4)
معاشر قوم ضلل الله سعيهم وأخزاهم ربى كخزى السواحر

قال: وقال مرة بن جنادة العليمى، من بنى عليم من كلب:

أَلَّا سألتَ بنا غداة تبعثرت بَكْرُ العراق بكل عضب مقصل
برزوا إلينا بالرماح تهزها بين الخنادق مثل هز الصيقل

(1) في هذا البيت إقواء.
(2) عند ابن أعثم: ألقاني امرءاً غير غادر.
(3) في هذا البيت إقواء.
(4) في هذا البيت والذي بعده إقواء.

والـخـيـل تـضـبـر فـي الحديد كأنها أســـــد أصابتهـــــا بَــــــلِيلٌ شمأل[1].[2].

4 - وفي حديث عمر بن سعد قال: ثم إن علياً «عليه السلام» صلى الغداة، ثم زحف إليهم، فلما أبصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق، فاقتطعوا من أصحاب علي «عليه السلام» ألف رجل، أو أكثر، فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم، فلم يروهم.

فنادى علي «عليه السلام» يومئذ: ألا رجل يشرى نفسه لله، ويبيع دنياه بآخرته؟!

فأتاه رجل من جعف، يقال له عبد العزيز بن الحارث، على فرس أدهم كأنه غراب، مقنعاً في الحديد، لا يرى منه إلا عيناه، فقال: يا أمير المؤمنين، مرني بأمر، فوالله ما تأمرني بشيء إلا صنعته.

فقال علي «عليه السلام»:

سمحت بـأمر لا يـطاق حفيظة وصـدقا، وإخـوان الحفـاظ قليـل
جـزاك إلــه النــاس خيرا فقد وفت يـداك بـفـضـل مـــا هناك جزيل[3]

---

(1) في هذا البيت إقواء.

(2) صفين للمنقري ص306 و 307 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص580 و 581 عن المناقب (ط النجف) ج2 ص348.

(3) في هذا البيت إقواء.

أبا الحارث، شد الله ركنك، احمل على أهل الشام، حتى تأتي أصحابك فتقول لهم: أمير المؤمنين «عليه السلام» يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: هلّلوا وكبّروا من ناحيتكم، ونهلل نحن ونكبر من هاهنا، واحملوا من جانبكم، ونحمل من جانبنا على أهل الشام.

فضرب الجعفي فرسه حتى إذا قام على السنابك، حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي «عليه السلام»، فطاعنهم ساعة، وقاتلهم، فانفرجوا له، حتى أتى أصحابه، فلما رأوه استبشروا به، وفرحوا، وقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟!

قال: صالح يقرئكم السلام، ويقول لكم: هلّلوا وكبّروا، واحملوا حملة رجل واحد من ذلك الجانب.

وحملوا على أهل الشام من ثم، وحمل علي «عليه السلام» من هاهنا في أصحابه، فانفرج أهل الشام عنهم، فخرجوا وما أصيب منهم رجل واحد.

ولقد قتل من فرسان أهل الشام يومئذ زهاء سبعمائة رجل.

قال: وقال علي «عليه السلام»: من أعظم الناس غناء؟

فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: كلا، ولكنه الجعفي(1).

---

(1) صفين للمنقري ص307 و 308 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص58 و 59.

فأنشأ رجل من أصحاب علي «عليه السلام» يقول:

لقد رأيت أموراً كلها عجب ... وما رأيت كأيام بصفينا

لما غدوا وغدونا كلنا حنقاً ... كما رأيت كمال أكلة[1] الجونا

فجالت الخيل خيل في أعنتها ... وآخرون على كثب يرامونا

ثم ابتذلنا سيوفا في جماجمهم ... وما فعلنا بهم في ذاك يجزونا

كأنها في أنوف القوم إذ لمعت ... تسلسل البرق تحسين العرانينا[2]

ثم انصرفنا وقتلاهم مطرحة ... والقوم طرّاً على القتلى يصلونا[3]

لكن المنقري ذكر أن هذه الأبيات قيلت في مورد آخر، وتحقيق هذا الأمر لا يعنينا الآن.

مضر تغضب من حضين:

5 - وذكروا: أن علياً «عليه السلام» كان لا يعدل بربيعة أحداً من

---

(1) في صفين للمنقري ص375 :

.... كما رأيت الجمال الجلة الجونا

(2) في صفين للمنقري ص375 :

كأنها في أكف القوم لامعة ... سلاسل البرق يجد عن العرانينا

(3) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص60.

الناس، فشق ذلك على مضر، وأظهروا لهم القبيح، وأبدوا ذات أنفسهم، فقال حضين بن المنذر [الرقاشى] شعراً أغضبهم، فيه:

رأت مضر صارت ربيعة دونهم شعار أمير المؤمنين، وذا الفضلُ

فأبدوا إلينا ما تجن صدورهم علينا من البغضا وذاك له أصلُ

فقلت لهم لما رأيت رجالهم بدت بهمُ قَطْوٌ كأن بهم ثقلُ

إليكم أهيبوا لا أبا لأبيكم فإن لكم شكلا وإن لنا شكلُ

ونحن أناس خصنا الله بالتى رآنا لها أهلا وأنتم لها أهلُ

فأبلوا بلانا أو أقروا بفضلنا ولن تلحقونا الدهر ما حنت الإبل

فغضبوا من شعر حضين، فقام أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى، وعمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي، ووجوه بنى تميم، وقبيصة ابن جابر الأسدى في وجوه بنى أسد، وعبد الله بن الطفيل العامري في وجوه هوازن، فأتوا علياً.

فتكلم أبو الطفيل فقال يا أمير المؤمنين، إنا والله ما نحسد قوما خصهم الله منك بخير إن أحمدوه وشكروه، وإن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا، وأنك لهم دوننا، فأعفهم عن القتال أياما، واجعل لكل امرئ منا يوما يقاتل فيه، فإنا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا.

فقال علي: أُعْطِيتُم ما طلبتم يوم الأربعاء، وأمر ربيعة أن تكف

عن القتال، وكانت بإزاء اليمن من صفوف أهل الشام.

مضر تنافس ربيعة:

فغدا [أبو الطفيل] عامر بن واثلة في قومه من كنانة، وهم جماعة عظيمة، فتقدم أمام الخيل وهو يقول: طاعنوا وضاربوا.

ثم حمل، وهو يقول:

قد صابرت في حربها كنانه والله يجزيها بها جنانه

من أفرغ الصبر عليه زانه أو غلب الجبن عليه شانه

أو كفر الله فقد أهانه غداً يعض من عصى بنانه

فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرف أبو الطفيل إلى على «عليه السلام» فقال: يا أمير المؤمنين، إنك نبأتنا أن أشرف القتل الشهادة، وأحظى الأمر الصبر، وقد والله صبرنا حتى أصبنا، فقتيلنا شهيد، وحيّنا ثائر(1)، فاطلب بمن بقي ثأر من مضى، فإنا وإن كان قد ذهب صفونا، وبقي كدرنا، فإن لنا ديناً لا يميل به الهوى، ويقيناً لا يزحمه الشبهة.

فأثنى علي «عليه السلام» عليه خيراً.

ثم غدا يوم الجمعة، عمير بن عطارد بجماعة من بنى تميم، وهو

(1) من الثأر، لا من الثورة.

يومئذ سيد مضر من أهل الكوفة، فقال: يا قوم، إني أتبع آثار أبي الطفيل، وتتبعون آثار كنانة.

فتقدم برايته، وهو يقول:

قد ضاربت في حربها تميم إن تميماً خطبها عظيم
لها حديث ولها قديم إن الكريم نسله كريم
إن لم تزرهم رايتي فلوموا دين قويم وهوى سليم

فطعن برايته حتى خضبها دماً، وقاتل أصحابه قتالاً شديداً، حتى أمسوا، وانصرف عمير إلى علي «عليه السلام» وعليه سلاحه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان ظني بالناس حسناً، وقد رأيت منهم فوق ظنّي بهم، قاتلوا من كل جهة، وبلغوا من عفوهم جهد عدوّهم، وهم لهم إن شاء الله.

ثم غدا يوم السبت قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد، وهم حي الكوفة، بعد همدان، فقال: يا معشر بني أسد، أما أنا، فلا أقصر دون صاحبي، وأما أنتم فذاك إليكم.

ثم تقدم برايته وهو يقول:

قد حافظت في حربها بنو أسد ما مثلها تحت العجاج من أحد
أقرب من يُمْنٍ وأنأى من نكد كأننا ركنا ثبير أو أحد(1)
لسنا بأوباش ولا بيض البلد لكننا المحة من ولد معد

---

(1) ثبير، وأُحد: جبلان.

كـنـت تـرانـا في العجاج كالأسد يـاليـت روحـي قـد نـأى عـن الجسد

فقاتل القوم، ولم يكونوا على ما يريد في الجهد، فعذلهم على ما يجب، فظفر، ثم أتى علياً «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، إن استهانة النفوس في الحرب أبقى لها، والقتل خير لها في الآخرة.

ثم غدا يوم الأحد عبد الله بن الطفيل العامري، وكان سيد بنى عامر، فغدا بجماعة هوازن، وهو يقول:

قد ضـاربت فـي حـربها هوازنُ أولاك قـــوم لهـــم محاســـنُ
حـبى لـهـم حـزم وجأشى ساكنُ طعـن مـداريك وضـرب واهـنُ
هـذا وهذا كـل يـوم كـائـنُ لـــم يـخبـــروا عنـــا ولـــكن عاينوا

واشتد القتال بينهم حتى الليل، ثم انصرف عبد الله بن الطفيل، فقال: يا أمير المؤمنين، أبشر، فإن الناس نقمة، لقيت والله بقومي أعدادهم من عدوهم، فما ثنوا أعنتهم حتى طعنوا في عدوهم، ثم رجعوا إلي، فاستكرهوني على الرجوع إليهم، واستكرهتهم على الإنصراف إليك، فأبوا ثم عادوا، فاقتتلوا.

فأثنى علي «عليه السلام» عليهم خيراً.

وفخرت المضرية بما كان منهم على الربعية، وانتصفوا من الربعية.

وقال عامر بن واثلة:

وحامت كنانة في حربها وحامت تميم وحامت أسد
وحامت هوازن يوم اللقا فما خام منا ومنهم أحد
لقينا قبائل أنسابهم إلى حضر موت وأهل الجَنَد
لقينا الفوارس يوم الخميـ ـس والعيد والسبت ثم الأحد
وأمدادهم خلف آذانهم وليس لنا من سوانا مدد
فلما تنادوا بآبائهم دعونا معدا ونعم المعد
فظللنا نفلق هاماتهم ولم نك فيها ببيض البلد(1)
ونعم الفوارس يوم اللقاء فقل في عديد وقل في عدد
وقل في طعان كفرغ الدلاء وضرب عظيم كنار الوقد
ولكن عصفنا بهم عصفة وفي الحرب يُمْن وفيها نكد
طحنا الفوارس وسط العجاج وسقنا الزعانف سوق النقد
وقلنا، علي لنا والد ونحن له طاعة كالولد

قال: وبلغ أبا الطفيل أن مروان وعمرو بن العاص يشتمون أبا الطفيل، فقال أبو الطفيل الكناني:

أيشتمني عمرو ومروان ضلة بحكم ابن هند والشقي سعيد
وحول ابن هند شائعون كأنهم إذا ما استقاموا في الحديث قرود
يعضون من غيظ علي أكفهم وذلك غم لا أجب شديد
وما سبنى إلا ابن هند وإنني لتلك التى يشجى بها لرصود

(1) بيض البلد يقصد بها: أنهم ضعفاء مهانون.

ومـا بـلـغـت أيام صفين نفسه تراقيـــه والشـــامتون شـــهود
وطـارت لعمرو في الفجاج شظية ومــروان مــن وقتــع الرمــاح يحيد(1)

عقبة بن مسعود، وسليمان بن صرد:

6 - روى نصر عن عمرو، عن الأشعث بن سويد، عن كردوس قال: كتب عقبة ـ وهو ابن مسعود، عامل علي «عليه السلام» على الكوفة ـ إلى سليمان بن صرد [الخزاعى]، وهو مع على «عليه السلام» بصفين:

أما بعد، فإنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم، أو يعيدوكم في ملتهم، ولن تفلحوا إذا أبداً.

فعليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين.

والسلام عليك(2).

ولا أدري إن كانت هذه الرسالة تشير إلى تردد أو تلكؤ في الحرب لسليمان بن صرد!! أم أنها عفوية!!

---

(1) صفين للمنقري ص308 - 313.

(2) صفين للمنقري ص313.

علي × يخطب في صفين:

7 ـ روى نصر، عن عمر [بن سعد] وعمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر قال: قام علي فخطب الناس بصفين يومئذ فقال:

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر، وعلى حججه البالغة على خلقه، من أطاعه فيهم، ومن عصاه. إن رحم فبفضله ومنِّه، وإن عذب فبما كسبت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد. أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وأستعينه على ما نابنا من أمر دنيا، أو آخرة، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك، وكان أهله، [و] اصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً.

أكرم خلق الله حسباً، وأجمله منظراً، وأسخاه نفساً، وأبره بوالد، وأوصله لرحم، وأفضله علما، وأثقله حلماً، وأوفاه بعهد، وآمنه على عقد.

لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يظلم فيغفر، ويقدر فيصفح، ويعفو، حتى مضى «صلى الله عليه وآله» مطيعاً لله صابراً على ما أصابه، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين،

«صلى الله عليه وآله».

فكان ذهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض، والبر والفاجر.

ثم ترك كتاب الله فيكم يأمر بطاعة الله، وينهى عن معصيته.

وقد عهد إلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهداً فلست أحيد عنه، وقد حضرتم عدوكم، وقد علمتم مَنْ رئيسُهم، منافق ابن منافق، يدعوهم إلى النار، وابن عم نبيكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى [الجنة وإلى] طاعة ربكم، ويعمل بسنة نبيكم «صلى الله عليه وآله».

فلا سواء من صلى قبل كل ذكر.

لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد، وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق ابن طليق.

والله إنكم لعلى حق، وإنهم لعلى باطل. فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه، وتَفَرَّقون عن حقكم، حتى يغلب باطلهم حقكم.

(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ)(1).

فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدى غيركم.

فأجابه أصحابه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلا، نموت معك ونحيا معك.

---

(1) الآية 14 من سورة التوبة.

فقام لهم علي «عليه السلام» مجيباً لهم: والذى نفسي بيده لَنَظَرَ إليَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أضرب قدّامه بسيفي، فقال «صلى الله عليه وآله»: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

وقال: يا علي، أنت منى بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبيَّ بعدى، وموتك، وحياتك يا علي، معى.

والله ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت ولا ضُلَّ بى، وما نسيت ما عهد إليَّ، وإنى لعلى بينة من ربى، وإنى لعلى الطريق الواضح ألفظه لفظاً.

ثم نهض إلى القوم، فاقتتلوا من حين طلعت الشمس، حتى غاب الشفق، وما كانت صلاة القوم إلا تكبيراً(1).

كريب.. وعلي ×:

8 - روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبى، عن صعصعة بن صوحان، ذكر أن على بن أبى طالب «عليه السلام» صافَّ أهل الشام، حتى برز رجل من حمير من آل ذى يزن، اسمه كريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدة بالبأس منه.

ثم نادى: من يبارز؟!

---

(1) صفين للمنقري ص313 - 315.

فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدى، فقتل المرتفع [المبرقع].

ثم نادى: من يبارز؟!

فبرز إليه الحارث بن الجلاح، فقتل؟!

ثم نادى: من يبارز؟!

فبرز إليه عائذ [عباس] بن مسروق الهمداني، فقَتَل عائذاً، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثم قام عليها بغياً واعتداءً، ثم نادى: هل بقي من مبارز؟!

فبرز إليه علي «عليه السلام»، [قال ابن أعثم: فقال له علي «عليه السلام»: ويلك يا كريب، إني أحذرك الله في نفسك، وأدعوك إلى كتاب الله، وسنة نبيه محمد «صلى الله عليه وآله».

فقال: ومن أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب، فالله الله في نفسك، فإني أراك فارساً بطلاً، لك ما لنا وعليك ما علينا].

قال المنقري:

ثم ناداه: ويحك يا كريب، إنى أحذرك [الله وبأسه ونقمته]، وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك، لا يدخلنك ابن آكلة الأكباد النار.

فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها.

أقدم إذا شئت.

[ثم جعل يلوح بسيفه، ويقول]:

من يشترى سيفى، وهذا أثره؟! [أضربه ضرباً ولا أنتظره]

فقال علي «عليه السلام»: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم مشى إليه، فلم يمهله أن ضربه ضربة خرّ منها قتيلاً يتشحط في دمه.

ثم نادى «عليه السلام»: من يبارز؟!

فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميرى، فقتل الحارث.

ثم نادى «عليه السلام»: من يبارز؟

فبرز إليه المطاع بن المطلب القينى، فقتل مطاعاً.

[قال ابن أعثم: فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة من أهل الشام، ثم نزل إليهم، فرمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، وهو يقول: (**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**)].

وحسب نص المنقري:

ثم نادى: من يبرز؟!

فلم يبرز إليه أحد.

ثم إن علياً «عليه السلام»، نادى: يا معشر المسلمين، (**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا**

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[1] .

ويحك يا معاوية هلم إلي، فبارزني، ولا يقتلن الناس فيما بيننا.

[قال ابن أعثم: فقال معاوية: لا حاجة في مبارزتك، إنك قد قتلت أربعة من سباع العرب، فحسبك].

فقال عمرو: اغتنمه منتهزاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإنى أطمع أن يظفرك الله به.

فقال معاوية: ويحك يا عمرو، والله إن تريد إلا أن أقتل، فتصيب الخلافة بعدى، اذهب إليك، فليس مثلي يخدع[2].

9 - وقال المخارق بن الصباح الحميرى في ذلك، وقد قتل إخوة له ثلاثة، وقتل أبوه، وكان من أعلام العرب.

فقال وهو يبكى على العرب:

أعوذ بالله الذى قد احتجب بالنور والسبع الطباق والحجب
أمن ذوات الدين منا والحسب لا تبكين عين على من قد ذهب

---

(1) الآية 194 من سورة البقرة.

(2) صفين للمنقري ص315 و 316 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص112 و 113 والبداية والنهاية ج7 ص264 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص265.

ليـس كـمـثـل الله شيء يرتهب   يـا رب لا تَهلـكُ أعـلام العـرب
الـقـائليـن الفاعلـين في التعب   والــمطعمين الصــالحين فـــي السغب

أفـنـــاهـم يوم الخميس المعتصب

قال: فأرسل إليه معاوية بألف درهم(1).

ابن العاص يحرض أصحابه:

10 - روى نصر، قال عمر: حدثنى خالد بن عبد الواحد الجزرى، قال: حدثنى من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين، وهو يحرض أصحابه بصفين، فقام محنياً على قوس، فقال: الحمد لله العظيم [في] شأنه، القوي في سلطانه، العلي في مكانه، الواضح [في] برهانه.

أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وفي كل لزبة من بلاء، أو شدة أو رخاء. وأشهد ألا إله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم إنا نحتسب عند الله رب العالمين، ما أصبح في أمة محمد «صلى الله عليه وآله» من اشتعال نيرانها، وظلام جنباتها، واضطراب حبلها، ووقوع بأسها بينها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) صفين للمنقري ص316 و 317.

أولا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم، وصيامنا وصيامهم، وحجّنا وحجهم، وقبلتنا وقبلتهم، وديننا ودينهم واحد، ولكن الأهواء متشتتة.

اللهم أصلح هذه الأمة بما أصلحت به أولها، واحفظ فيها بنيها. مع أن القوم قد وطئوا بلادكم، وبغوا عليكم، فجدوا في قتال عدوكم، واستعينوا بالله ربكم، وحافظوا على حرماتكم.

ابن عباس يحرض أصحابه:

ثم إنه جلس، ثم قام عبد الله بن العباس خطيبا فقال:

الحمد لله رب العالمين، الذى دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً، ثم خلق فيما بينهن خلقاً، وأنزل لنا منهن رزقاً، ثم جعل كل شيء يبلى ويفنى، غير وجهه، الحى القيوم، الذى يحيا ويبقى.

ثم إن الله بعث أنبياءً ورسلاً، فجعلهم حججاً على عباده، عذراً، أو نذراً، لا يطاع إلا بعلمه وإذنه، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده، ثم يثيب عليها، ويعصى [بعلم منه]، فيعفو، ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا يبلغ شيء مكانه، أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً.

ثم إنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله «صلى الله عليه وآله»، إمام الهدى والنبى المصطفى.

وقد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون، حتي كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمة، وانتشر من أمرها، أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من

طغام أهل الشام أعواناً على علي بن أبى طالب «عليه السلام»، ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدري قد شهد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كل مشاهده، التى فيها الفضل، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام.

واعلموا، والله الذى ملك الملك وحده، فبان به وكان أهله، لقد قاتل على بن أبى طالب «عليه السلام» مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام»، يقول: صدق الله ورسوله، ومعاوية وأبو سفيان، يقولان: كذب الله ورسوله.

فما معاوية في هذه بأبر، ولا أتقى، ولا أرشد، ولا أصوب منه في قتالكم.

فعليكم بتقوى الله والجد، والحزم، والصبر، وإنكم لعلى الحق وإن القوم لعلى الباطل.

فلا يكونُنَّ أولى بالجد في باطلهم منكم في حقكم.

أما والله، إنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم، أو بأيدى غيركم.

اللهم ربنا أعنا، ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا، ولا تَخَلَّ عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم(1).

---

(1) صفين للمنقري ص317 - 319.

عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبوه:

11 - روى نصر، عن حفص بن عمران الأزرق البرجمى قال: حدثنى نافع بن الجمحى عن ابن أبى مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: لولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر بطواعيتك ما سرت معك هذا المسير.

أما سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية ؟![1].

أويس القرني أصيب في صفين:

12 - روى نصر، عن حفص بن عمران البرجمى، عن عطاء بن السائب، عن أبى البختري قال: أصيب أويس القرنى مع علي «عليه السلام» بصفين[2].

ونقول:

إن لنا في هذه النصوص وقفات، نذكر بعضها، وهي التالية:

إيضاحات سريعة:

الحاوية: واحدة الحوايا، وهي الأمعاء.

---

(1) صفين للمنقري ص324.

(2) صفين للمنقري ص324.

الأبرج العين: الواسع العين.

جفن السيف: غمده.

العضب: السيف القاطع.

مقصل ـ بالقاف ـ: قطَّاع.

تضبر: تثب.

بَلِيلِ: الريح الندية.

الشمأل: ريح الشمال.

ثائر: من الثأر.

السنابك: أطراف الحوافر.

الجون: من الإبل والخيل الأدهم الشديد السواد، والنهار، والأحمر، والأبيض والأسود، وغير ذلك.

القَطْوُ: المشي الثقيل.

المحة: خالص كل شيء. وصفار البيض.

واهن: أي موهن.

مداريك: الذين يدركون ما يطلبونه.

خام: جبن ونكص.

أهل الجَنَد: بفتح الجيم والنون. قسم من أقسام اليمن.

الزعانف: أجنحة السمك.

النقد: جنس من الغنم قبيح الشكل، صغير الأرجل، يكون بالبحرين.

السغب: الجوع.

المعتصب: يقال يوم عصيب، أي شديد.

اللزبة: الشدة.

سمك. رفع.

الطغام: أوغاد الناس.

الفصل الرابع:

من سياسات الحرب في صفين..

أبو عرفاء يريد أن يستقتل:

تقدم في الرواية رقم [2]: أن حضين بن المنذر فهم من طلب أبي عرفاء أن يعطيه الراية ساعة: أنه يريد أن يستقتل.. فقد يفتح هذا باب المؤاخذة على أبي عرفاء، لجهة تعمد إقدامه على قتل نفسه، فإنه إلقاء النفس إلى التهلكة المنهي عنه في القرآن..

ونجيب:

بأن فهم حضين إما أن يكون خاطئاً، أو يكون تعبيره قاصراً عن أداء المعنى الذي قصده.. من أجل ذلك، رأينا أن نرجع إل كلام أبي عرفاء نفسه، فلعلنا نفهم منه ما يدفع هذه المؤاخذة عنه.. وحين راجعنا كلامه فهمنا أنه رحمه الله يريد أن يقول: إن الناس حين يطلبون الدنيا، فإنهم يبذلون كل ما في وسعهم، بل فوق ما في وسعهم، وربما عرضوا أنفسهم للأخطار الجسام، والمهالك العظام، وارتكبوا الجرائم والآثام، ولم يرعوا في أحد إلّاً ولا ذمة..

مع أن هذا ليس هو سبيل الحصول على الدنيا، ولا هو موجب

لدوام نعمها، أو زيادتها.. بل هو من موجبات ضياع النعم، وانقلابها إلى نقم، وبلايا، ومصائب، ورزايا، وإن كانوا لا يشعرون بذلك، إلا بعد فوات الأوان.

ولكن حينما يكون الأمر مرتبطاً بالآخرة، والجنة، فإنهم لا يسعون للآخرة سعيها المناسب لها. فإن الجنة لا يدخلها إلا الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله تعالى وأمره..

والناس يريدون الجنة، ولكنهم لا يريدون دفع ثمنها كاملاً، بما في ذلك بذل كل جهدهم في ساحات الجهاد، فإنهم يحضرون في ساحات القتال تعذيراً، أو تبريراً، ولا يندفعون إليها بكل ما لديهم من إخلاص وجهد تستحقه منهم. والأمثلة على ذلك كثيرة، فإن صدق النية والإخلاص في الجهاد هو الذي يأتي بالنصر للفئة القليلة على الفئة الكثيرة.

وتاريخ الإسلام، وجهاد علي «عليه السلام»، ومن سار في خط علي «عليه السلام» حافل بهذه النماذج. فراجع مواقفه «عليه السلام» في بدر، وأحد، وقريظة، والخندق، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، وسواها.. وهذا ما صنعه أبو عرفاء، فإنه ببذله غاية جهده جعل معاوية وحزبه ـ كما اعترف به معاوية نفسه ـ «بمعرض خطر عظيم».

أبخؤولتك تخوفني؟!:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم [2]: أن معاوية أعلن خوفه من خطر عظيم ينتظرهم، ونقول:

1 ـ اللافت هنا: أنه في نفس الوقت الذي يجد فيه معاوية وابن العاص ومن معهم أنفسهم في معرض خطر عظيم ـ على حد تعبير معاوية، يواجههم في اليوم التالي ـ فإن رأس الهرم في الفئة الباغية بما فيهم معاوية يتعاملون حتى في لحظة تحليلهم لطبيعة هذا الخطر، بالحساسيات العرقية القبائلية، وتكون هي الحاكمة، والمهيمنة على السلوك والموقف، والتعامل المباشر..

مع أن هذه النزعة من شأنها أن تحولهم في أية لحظة ـ مهما كانت حساسة وخطيرة ـ من متعاونين إلى متنابذين، ومن أصدقاء إلى أعداء..

كما أنها نزعة محرمة في الإسلام، واعتبرها دعوة منتنة. ولكنها تمثل المدماك الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بين القاسطين، أعداء أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وصدق الله سبحانه حيث يقول: **(لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)(1)**.

---

(1) الآية14 من سورة الحشر.

2 - لقد تحقق ما توقعه معاوية من الخطر الذي ينتظرهم في اليوم التالي، وذلك ببيعة تسعة، أو سبعة آلاف لخالد بن المعمر على الموت، وعلى ألّا ينظر رجل منهم خلفه حتى يرد سرادق معاوية..

وهذا ما حصل بالفعل، فقد بلغوا فسطاط معاوية، فهرب منهم، فنهبوا ما فيه..

3 - ولكن الرواية المتقدمة برقم [3]: ذكرت أن معاوية قد خلّى عن سرادقه بعد أن أشار عمرو بن العاص عليه بأن لا يُحِنثَ أخواله - يعني قبيلة ربيعة - وكأنّ راوي هذا الكلام يريد أن ينكر بذلك أن يكون معاوية قد فر من سرادقه مرغماً، ويدعي زوراً: أنه هو قد خلّى السرادق طوعاً، إجابة لطلب عمرو بن العاص.

وهذا - فيما يبدو - من دسائس أتباع معاوية، لكي يحفظوا له بعض ماء الوجه، ولا تظهر لعلي «عليه السلام» وجيشه هذه الغلبة. ولا يبوء معاوية بذل الهرب والهزيمة أمام ربيعة..

مع أن الرواية رقم [3] تروي: أن معاوية ينكر على عمرو أنه يخوفه بخؤولته.. وهم ربيعة. فما معنى أن يستجيب لرغبة عمرو في الهرب من ربيعة هنا، ويستنكر عليه تخويفه بهم هناك؟!

ومما يدل على عدم صحة هذا الزعم أيضاً، قوله في الرواية رقم [3]: أن معاوية بذل لخالد بن معمر قائد ربيعة ولاية خراسان إن لم يتم هجومه، فطمع خالد ولم يتم، فإن هذا يدل على أن معاوية لو كان قادراً على منع الهجوم، وأنه قد هرب طوعاً لم يحتج إلى الهرب، ثم

إلى بذل ولاية خراسان..

معاوية يعد ابن المعمر بولاية خراسان:

وجاء في الرواية المتقدمة برقم [3]: أن معاوية وعد خالد بن معمر بولاية خراسان إن لم يتم هجومه، الذي أدى إلى هرب معاوية، ونهب فسطاطه، فطمع خالد بذلك، ولم يتم، فتفل أصحابه في وجهه، وحاربوا إلى الليل. وقد أمَّره معاوية بعد ذلك على خراسان، ولكنه مات قبل أن يصل إليها..

ونعود فنقول:

إن هذا الحديث ملتبس أيضاً، كحديث فراره مع المنهزمين. فكما ادعى في فراره أنه إنما أراد أن يرجع المنهزمين.. فإنه يستطيع أن يدعي هنا أيضاً: أنه إنما لم يتم لأنه عجز عن ذلك بسبب الضغوط الشديدة التي تعرض لها، وأنه أراد أن يحفظ البقية الباقية ممن كانوا معه.

كما انه يستطيع أن ينكر ان يكون معاوية قد أرسل إليه شيئاً مما ذكر. وأن اصحابه الذين تفلوا في وجهه، واستمروا في الحرب إلى الليل، ، قد توهموا ذلك (وقد أخطأوا فيما توهموه)، وقد يدعى: أن بعض أصحاب الأغراض قد أطلق هذه الشائعة، فصدقوه..

وهذا يعطي: أن اتخاذ أي إجراء في حقه، سوف يكون غير حكيم ولا سليم. بل سينتج عنه أمور سلبية، وظنون وأوهام غير حميدة..

كما أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يرتب الأثر على أمر لا يملك دليلاً عليه..

لجوء علي × إلى رايات ربيعة!!:

إن تحركات علي «عليه السلام» في الجيش، وحضوره المفاجئ في مختلف قطعاته تدلنا على أنه كان يحرص على التواجد الفاعل والمؤثر في مختلف كتائبه، ومشاركتها في بعض جهدها الحربي بصورة مباشرة، فيراه المقاتلون بينهم ومعهم، يتعب كما يتعبون، ويجاهد كما يجاهدون..

فلم يكن «عليه السلام» يكتفي بإصدار الأوامر، وإبلاغهم إياها بالوسائط..

كما أنه لم يكن ليمر عليهم بصورة عابرة، لكي يحمسهم ببعض ما تيسر له، ثم يصدر لهم وصاياه وتوجيهاته، ثم يغادرهم..

ولا شك في أن هذه الطريقة هي الأسلم والأقوم، فإن ذلك يعطي المقاتلين نفحة شجاعة، وثقة، ولذة في ممارسة واجب الجهاد، وشعور بالقرب من القائد، ومزيداً من الإخلاص والسكينة والرضا.

كما أنه يمنح القائد فرصة الإطلاع المباشر على طبيعة تحركات، ومستوى حيوية ونشاط تلك الكتيبة، كما أنه يستطيع بعد هذا أن يحدد حجم الطاقة الكامنة ومستوى الجهد ويقدِّر الرصيد الذي تختزنه، ويرى بصورة مباشرة وطبيعية الموقع الذي هي فيه، ومستوى

التجهيز والإعداد والإستعداد، وغير ذلك مما يمكنه أن يعتمد عليه، ويحسب له حساباً في خططه..

ولا يكفي استحضار مقادير افتراضية في أحكام التدبير، ورسم مسار المعارك، وتحديد المستوى التقريبي المتوقع لنتائجها..

وقد اتضح مما ذكرناه: أن بعض المقاتلين لم يتلقف جيداً، بل لم يفهم مغزى حضور علي «عليه السلام» في قبيلة ربيعة، وتوهم أنه مجرد لجوء منه إليها، بعد أن كانت الحرب في مدها وجزرها قد قذفت به إلى هذا الموقع..

ولذلك اعتبر هذا الرجل وجود علي «عليه السلام» بينهم، كأنه عبء عليهم. ولذلك قال لهم: إن أصيب علي «عليه السلام» فيكم افتضحتم. وقد لجأ إلى راياتكم الخ..

هل طلب علي × استشهادياً؟!:

وذكر في النص المتقدم برقم4: أن جيش معاوية اقتطع من أصحاب علي «عليه السلام» الف رجل، أو أكثر، فنادى علي «عليه السلام»: «ألا رجل يشري نفسه لله؟! ويبيع دنياه بآخرته؟!» إلخ..

وهذا النص يدلنا على العديد من الأمور، ففيه:

1 - إنه بمجرد أن حصل هذا الأمر بادر علي «عليه السلام» إلى تنفيذ خطة تهدف إلى فك الحصار عن تلك الجماعة.. وبدا وكأن الخطة كانت حاضرة ومعدة مسبقاً، وها هو يباشر تنفيذها بثقة وحزم،

مع أنها ربما كانت بديهة القائد الفذ هي أنتجتها بهذه السرعة الفائقة!!.

2 ـ إن أول شيء فعله أمير المؤمنين هو البحث عن وسيلة اتصال له بتلك الجماعة المحاصرة. لإبلاغها بخطة العمل..

3 ـ إنه «عليه السلام» كان يعرف أن الإستفادة من وسيلة النداء، إما غير ممكنة لبعد المسافة، أو للضجيج المانع من وصول الصوت. أو لأن الإسماع بالنداء من شأنه أن يسمع الأعداء توجيهاته إلى تلك الجماعة، فيبادرون إلى إفشال الخطة بأهون سبيل، قبل أن يتمكن أحد من فك الحصار عنها..

وأما إيصال التوجيهات بواسطة سهم يرمى إلى جهة الجماعة المحاصرة، فغير مضمون النتائج، لأن من الممكن أن لا يفطنوا لهذا السهم لاختلاط الحابل بالنابل، ولكثرة السهام التي تأتي من كل اتجاه.

أما إيصال التوجيهات عن طريق التسلل بالخفاء، فغير ممكن أيضاً في هذا الجو الحربي العاصف.

فينحصر الأمر بتكليف أشخاص ذوي مواصفات معينة بالقيام بمهمة إيصال الرسالة إلى تلك الجماعة..

ونقصد بالمواصفات الخاصة هي تلك التي يقتضيها الوضع القائم، الذي يطلب منها مواجهته، وحل عقده، والتغلب على مصاعبه، وتذليل وتجاوز عقباته..

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قد حدد لهذه المهمة من يملك

ميزة واحدة، لا أكثر..

وليست هذه الميزة هي الشجاعة.. ولا الحنكة والتجربة، ولا الدهاء، ولا قوة العقل، ولا أية ميزة من ميزات القوة التي تساعد على تحقيق أمثال هذه المقاصد والأغراض، لأن كل هذه الصفات قد تسقط حين يصل الأمر إلى مواجهة السيوف، ولقاء الحتوف ، والشيء الوحيد الذي لا يسقط، ولا يخشى الموت، ولا تزعزعه العواصف، ولا يتردد في مواجهة الأهوال، ولا يكترث لأعداد الرجال. هو أن يكون الإنسان قد باع نفسه لله تعالى، ودنياه بآخرته.. قال تعالى: **(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**(1).

وقال تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)**(2).

وشرى بمعنى: باع.

فمن كان هذا حاله.. لا يمكن أن تخونه شجاعته، ولا أن يتلاعب به الشيطان، ولا أن يصده حب الدنيا عن مواجهة الأقران. ولا يصده

---

(1) الآية111 من سورة التوبة.

(2) الآية207 من سورة البقرة.

عن هدفه شيء إلا الإستشهاد..

كما أن من يكون كذلك هو الذي لا بد أن يستنفد كل طاقاته الفكرية، والنفسية، والجسدية.. وكل ما يقع تحت يده في سبيل نيل مراده، والوصول إلى غرضه الذي يحقق له رضا الله تعالى.

5 - إن المهمة التي أوكلها علي «عليه السلام» لعبد العزيز بن الحارث، وإن كانت صعبة، ولكنها لم تكن مستحيلة، فإن الفارس الذي لا يهاب أحداً يستطيع أن يشاغلهم ساعة، ثم يباغتهم بسرعة حركته، وإقدامه على الأبطال، فيربكهم، ويجبرهم على التراجع. أما الضعفاء الجبناء منهم فسوف ينأون بأنفسهم عنه، والذين يعودون للكرة عليه سيكونون قلة

بحسب العادة، فإلى أن يثوب إليهم رشدهم يكون هو قد تجاوزهم إلى غيرهم، فيكلون أمره إلى ذلك الغير، فيكر عليهم أيضاً، ويكون حال هؤلاء كحال أولئك، فإذا قصرت المسافة بينه وبين أصحابه، فإنهم سيرون أنفسهم أنهم يتعرضون لهجوم يأتيهم من خلفهم، فينكشفون أمامه إلى أحد الجانبين طلباً لموضع آمن. فيتم الإختراق..

6 - وقد لاحظنا أنه «عليه السلام» لم يرسل مع عبد العزيز بن الحارث أحداً.. ربما لأنه لو زاد العدد لأصبحت المباغتة الموجبة للإختراق السريع أصعب، لأن العدو سيشعر بأنه يتعرض لهجوم واسع، فيأخذ الأهبة ويرص صفوفه، ويقيم حاجزاً بشرياً، ويأتيه المدد

من كل جانب.

7 - ويستوقفنا كثيراً الشعر الذي أنشده «عليه السلام» في مدح هذا الرجل المجاهد عبد العزيز بن الحارث، كما مدح حضين بن المنذر، وغيره من قبل، ومن بعد.. بل إنه «عليه السلام» اعتبر عبد العزيز بن الحارث، الذي كان رسوله إليهم أعظم الناس غناءً!!

8 - ويبدو: أن قوله «عليه السلام» لأصحابه: من أعظم الناس غناءً؟!

فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: كلا، ولكنه الجعفي. لم يرد به أن ينفي أن يكون هو أعظم الناس غناءً، ولكنه أراد أن يقول: لست أتكلم عن نفسي..

خطة علي ×:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم4: أنه «عليه السلام» طلب من عبد العزيز بن الحارث أن يبلغ المحاصرين سلامه، وأن يهللوا ويكبروا ويحملوا على العدو من جهتهم، ويهلل إخوانهم ويكبرون، ويحملون من الجانب الآخر وينتهي الأمر..

ونقول:

أولاً: إن من الواضح: أن الرسالة الشفهية هي الأكثر دقة، والأبعد أثراً، وتتوفر فيها شروط الأمانة، والسلامة، والسرية..

ثانياً: إن التهليل والتكبير في وجه العدو يوحي له بأن ثمة هجوماً

مخططاً له يستهدفه، ويتوخى أن يحقق نتائج طيبة، وربما نصراً حاسماً لصالح هذا الفريق يكون التعبير عنها هذا التهليل والتكبير.

وهذا سوف يوقع العدو في الإرباك، ويذهب بأوهامه في كل اتجاه..

فإذا جاءه التكبير من الجهة الأخرى، فإنه سيكون أكثر ضياعاً ، وأشد ارتباكاً، وخوفاً من أن يكون قد وقع في مأزق حقيقي وخطير..

ثالثاً: إن التهليل والتكبير يمثل علامة يتعارف بها المقاتلون لدى نظرائهم، ويميزون بها عدوهم من صديقهم، ويحددون بها مواقعهم لرفقائهم. فيعملون على إزالة الموانع، والوصول إلى بعضهم البعض ويحددون بواسطة هذه الشعارات أيضاً مواقع القتال، ويقيسون به إنجازاتهم، وما تحق لهم من تقدم، وما الذي يطلب منهم..

وكل هذه الأمور لا بد من العمل على توفيرها في ساحات الجهاد، فإنها من موجبات النجاح والفلاح.

ما فعل أمير المؤمنين ×؟!:

وقد حدثتنا الرواية المتقدمة برقم [4]: أن أولئك المحاصرين بمجرد أن وصل إليهم مبعوث أمير المؤمنين «عليه السلام» عبد العزيز بن الحارث، كان أول سؤال وجهوه إليه هو: ما فعل أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

وليس هذا سؤالاً عما فعله لأجل خلاصهم، ولا عن خطته لذلك،

بل هو سؤال عن سلامته «عليه السلام».. بدليل أن عبد العزيز بن الحارث أجابهم بقوله: «صالح».

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على مدى تعلقهم به ومحبتهم له «عليه السلام»، وعلى أن سلامته عندهم أهم من سلامتهم، وخلاصهم مما هم فيه..

النجاح الباهر:

وأعظم ما في هذه القضية أن خطته «عليه السلام» قد حققت نجاحاً عظيماً، ليس له نظير في تاريخ الحروب، لا قبل، ولا بعد صفين.. فقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن جميع المحاصرين، وهم ألف رجل، قد خرجوا من ذلك الحصار، وما أصيب منهم رجل واحد..

وليس هذا وحده المعجزة، بل المعجزة في موضع آخر أيضاً، وهو أن الذين قتلوا من فرسان أهل الشام، كانوا زهاء سبع مئة رجل.. أي أكثر من ثلثي الذين كانوا محاصرين من قبل أهل الشام أنفسهم.

مع أن القتال في تلك الأيام كان وجهاً لوجه، وبالسيوف والرماح، وبالسهام إذا كان هناك مجال للسهام.. فما معنى، وكيف سلم جميع أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقتل من الفريق الآخر سبع مئة رجل؟!

وهل هذا إلا من اللطف الإلهي بعباده.. إن لم نقل: إنه آية أراد الله للناس، من أهل الشام وغيرهم أن يهتدوا بها إلى الحق؟! ولكن الله

تعالى يقول: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**(1).

هل أيد علي × التنافس العشائري؟!:

وقد تضمنت الرواية الطويلة المتقدمة برقم [6]: ما جرى بين ربيعة ومضر، بسبب الأشعار التي قالها حضين بن المنذر، وأن وجهاء مضر أتوا علياً «عليه السلام» وطلبوا منه أن يعفي ربيعة من القتال أياماً، لتظهر مضر ما عندها في نصرته «عليه السلام»، فأعطاهم «عليه السلام» ما طلبوا..

ونقول:

قد يقال: إن هذا منه «عليه السلام» يتضمن الإنصياع والرضا بالتنافس والتعامل القبلي العشائري، فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب: بأن التنافس المذموم هو التنافس بمعنى التكاثر في أمور الدنيا.. أما التنافس في عمل الخير، وفي الجهاد، ودفع الأعداء فهو محبوب، ومطلوب لله تعالى، وقد أمر الله الناس به في قوله تعالى: **(..وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)**(2).

ولم يكن في هذا التنافس ما يجرح مشاعر الطرف الآخر، أو ما

---

(1) الآية 14من سورة المطففين.

(2) الآية 48 من سورة المائدة.

يغمط حقه، وينقص من قدره، بل هو تنافس على قاعدة: **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)**(1).

وعلى قاعدة: **(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**(2).

وهذا أمر حسن ومطلوب كما قلنا.

عهد، وثلاث مقارنات، ونتيجة:

وفي خطبة أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين، المتقدمة برقم7: ذكر «عليه السلام» أموراً كثيرة، نشير إلى بعضها هنا، وهي:

1 - ذكر «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» عهد إليه عهداً، فلن يحيد عنه.. ولكنه «عليه السلام» لم يذكر مضمون وطبيعة هذا العهد هنا..

ولكن الروايات تقول: إنه «عليه السلام» ذكر في مناسبات أخرى: أنه «صلى الله عليه وآله» عهد إليه أن يقاتل: الناكثين، والقاسطين، والمارقين..

---

(1) الآية رقم 7 من سورة الزلزلة.

(2) الآية 105 من سورة التوبة.

فلعله «عليه السلام» لم يذكر العهد اعتماداً على معرفتهم به، لأنه ذكره لهم في مرات سابقة.

2 ـ إن الذي يتأمل في هذه الخطبة المباركة يلاحظ أنه «عليه السلام» استفاض في وصف رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفسه، وعلاقته بغيره، وتعامله مع الآخرين، وقد أكد «عليه السلام» على رحمته، ورأفته بهم، وأنه أوصل الخلق لرحم، وتحدث عن حلمه، ووفائه بالعهد، وأمانته، وبعده عن ظلم الناس، وعن صفحه، وعفوه، وصبره، وجهاده، وغير ذلك.

3 ـ إن تذكير الناس في هذه اللحظات بالذات، بهذه المعاني والسمات، والحالات السلوكية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مهم جداً لاشتداد حاجة الناس إلى هذه المعاني في هذه الظروف، التي تهيمن فيها على القلوب معاني القسوة، والقطيعة مع الآخر، والرغبة في إيصال الأذى إليه، فالتذكير بهذه المعاني معناه: إن هذا الواقع كله لا يبرر استبعاد الرحمة، والرأفة، والعفو، وصلة الرحم، والحلم، والعلم، والوفاء بالعهود، إلى آخر ما ذكره «عليه السلام» في صفاته «صلى الله عليه وآله»..

وهذا يجعلنا نعيد النظر في اعلامنا، ونهتم بحفظ التوازن في شخصية الإنسان المسلم، فلا تكون ظروف الحرب والسلم التي يعيشها سبباً في اختلال هذا التوازن.

4 ـ وذكر «عليه السلام» أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان

أجمل خلق الله منظراً، وهذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان أجمل حتى من يوسف «عليه السلام»..

5 - وقد قارن «عليه السلام» بين نفسه، وبين عدوه الذي خرج عليه ظالماً له..

ثم قارن بين الذين جاؤوا معه، وبين الذين جاؤوا لحربه مع عدوه..

وقارن أيضاً بين ما يدعو «عليه السلام» أصحابه وسائر الناس إليه، وبين ما يدعو عدوه إليه أصحابه..

6 - إنه «عليه السلام» قد ذكر لمعاوية رئيس القاسطين صفات أربع، هي:

ألف: إنه منافق.

ب: ابن منافق.

ج: طليق.

د: ابن طليق.

وهذه الصفات كلها ترتبط بقضايا الإيمان، والإسلام من جهة.. وترتبط أيضاً، بأمر خلافة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإمامة الأمة، من جهة أخرى..

فإن المنافق الذي يبطن الكفر، ويظهر الإيمان، لا يمكن أن يكون خليفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا أميناً على دين الله، لأنه

لا يؤمن بالرسول، ولا بالرسالة..

كما أن الذي تربى في بيئة النفاق، وورث هذا النفاق من أكثر الناس إمعاناً فيه، وهو أبوه، ولا يوجد أمل بإصلاحه، لأن النفاق يكون متجذراً في أعماق نفسه، ومهيمناً عليها، ومستعمراً لها..

والطليق هو ذلك الذي بذل كل جهده في حرب الرسول والرسالة، وواصل هذه الحرب سنين متمادية، حتى إذا تبخرت قوته، وفقد فرص النجاح، أسره نبي الإسلام، ثم منّ عليه بإطلاق سراحه..

ولم يقتصر الأمر في العداء للإسلام ونبيه على هذا الشخص، بل تعداه إلى بيئته وأهله وأحب الناس إليه، فإنهم شاركوه في حقده وفي حربه، وذاقوا معه مرارة الفشل، ومواجهة ذل الأسر. ثم أصبحت الحرية منة لله ولرسوله عليهم، وإذا كان الرسول «صلى الله عليه وآله» أعدى أعدائهم، فإن هذه المنة تتحول إلى مرارة تضاعف حقدهم، وتزيد من حرصهم على الإنتقام، على قاعدة: اتق شر من أحسنت إليه..

وهذا يعني: أن أمر هذا الطليق ، لم يقتصر على مجرد تجاهل هذا الدين، وعدم الرغبة في الدخول فيه، ولكنه أراد أن لا يواجه مشكلة، فجارى الأمور، فأظهر الإيمان وأبطن الكفر، بل هو قد تجاوز ذلك ليبطن الحقد على الدين وأهله، ثم تنامى هذا الحقد، حتى انفجر قتالاً وعنفاً، وإجراماً يصل إلى المبادرة إلى المثلة بالأجساد، ومحاولة أكل الأكباد.

ثم إن الآيات الباهرة التي كانت تشد الناس إلى هذا الدين والإنتصارات الباهرة، لم تزد قلوب هؤلاء المنافقين إلا قسوة، وعزائمهم الإمضاء في مواصلة الحرب على هذا الدين وأهله..

7 ـ أما صفات أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلم يذكر «عليه السلام» منها سوى وصفين هما:

ألف: إنه «عليه السلام» قد صلى قبل كل ذكر، ولم يسبقه أحد بصلاته مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ب : إنه «عليه السلام» من أهل بدر..

ونلاحظ:

أولاً: إن من يصلي قبل الناس كلهم، ولم يسبقه أحد بصلاته مع الرسول. وقد جاهد بين يديه ودافع عنه وعن دينه، لا يزال يترسَّم خطاه.. ولا يمكن أن يقاس به من عاش حياته كلها منافقاً، ولا يزال.

وأين بيئة هذا المنافق الذي يشاركه أبوه في هذه الصفة، من بيئة ذاك المصلي، الذي بدأ صلاته ونصرته وجهاده منذ نعومة أظفاره..

ثانياً: هل يقاس من لا يزال يحارب الدين والرسول، وأهل الدين إلى تلك اللحظة، بمن لا يزال يجاهد في سبيل الله، ويدافع عن الرسول والرسالة منذ بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى هذه اللحظة. وحرب بدر خير شاهد على ذلك.

واللافت في هذه الحرب: أن علياً «عليه السلام» كان يجاهد فيها، ويخوض الغمرات دفاعاً عن الرسول والرسالة ضد نفس هذا

الذي وصفه «عليه السلام» بأنه منافق، وضد أبيه الذي يحمل نفس هذه الصفة أيضاً.

وها هو يحارب نفس هذا الشخص في هذا اليوم، فما يجري في صفين لا يبتعد عما جرى في بدر، فإن الشبه ظاهر للعيان.

8 - أما المقارنة بين الدعوتين.. فهي كما يلي:

ألف: إن معاوية يدعو جماعته إلى النار.

ب: إن علياً «عليه السلام»:

أولاً: يدعو الناس إلى الجنة.

ثانياً: يدعوهم إلى طاعة ربهم..

وشتان ما بين الدعوتين..

9 - ثم إنه «عليه السلام» قد المح إلى خمسة أمور هامة هنا، هي التالية:

الأمر الأول: إنه «عليه السلام» قد وصف معاوية بالنسبة لفريق القاسطين بأنه رئيسهم، مما يعني: أن معاوية يعطي نفسه، ويعطيه أتباعه دوراً متميزاً، متخماً بمعنى الطبقية، والهيمنة، والتسلط..

ولكنه «عليه السلام» حين يتحدث عن نفسه مع أصحابه، لم يصف نفسه، لا برئاسة، ولا سلطة ولا هيمنة، ولا أشار إلى أي معنى طبقي يميزه عنهم..

الأمر الثاني: إنه «عليه السلام» لم يذكر لنفسه، أية صفة حتى

صفة كونه خليفة، أو إماماً، أو وصياً، له حق التصرف، بل وصف نفسه بأنه ابن عم نبيهم «صلى الله عليه وآله».. مع أن كونه وصياً، وإماماً وخليفة، أمر ثابت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا مراء فيه، ولا شبهة تعتريه..

ويلاحظ أيضاً: أنه «عليه السلام» لم يقل: «ابن عم النبي» أو «ابن عم نبينا»، بل أضاف النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم، فقال: «ابن عم نبيكم».

ولعل المطلوب هو الإيحاء لهم بالرابطة التي تربطهم بالنبي «صلى الله عليه وآله» ليشعروا بالقرب منه، ومسؤوليتهم تجاهه «صلى الله عليه وآله»..

وفيه أيضاً: إلماح إلى الرابطة النسبية بينه وبين الرسول «صلى الله عليه وآله»، التي تعني أنه يعيش معنى الوفاء له، والحنين إليه، والمحبة له، والغيرة على قضاياه «صلى الله عليه وآله»..

ولأجل ذلك لم يشر إلى أنه «عليه السلام» صهره أيضاً، ربما لأن الصهر قد يكون غريباً، كما أن علاقة الصهريّة يمكن إزالتها وقطعها.. وهي أيضاً لا توحي بالمعاني، التي توحي بها القربى النسبية..

وإنما نقول هذا بملاحظة الإيحاءات العادية، التي يتلقفها عامة الناس، بغض النظر عن الخصوصيات والحالات الخاصة، التي اختص الله تعالى ورسوله بها علياً، وزوجته فاطمة الزهراء «عليهما

السلام».

الأمر الثالث: إنه «عليه السلام» اضاف إلى وصف نفسه، بأنه ابن عم نبيهم، قوله: إنه يعيش معهم، وبين أظهرهم. وكأنه «عليه السلام» يريد منهم أن يتلمسوا هذا الوضوح في شخصيته، وفي نهجه، وحالاته، وأخلاقه، وكل سلوكه، فليس لديه شيء يخفيه عنهم.

وهذه ميزة يتفرد بها نبينا الأعظم، وأوصياؤه الطاهرون «صلوان الله عليه وعليهم»، فإنهم يتعاملون مع الناس كل الناس بالواقعية التامة، وفق حدود الشرع الشريف، الأمر الذي يعطي الإنطباع بأنهم صلوات الله عليهم يثقون بأنه ليس لديهم أي شيء مهما كان صغيراً ينقص من قدرهم، أو يخالف القيم والمباديء الإنسانية والإيمانية والأخلاقية..

وما أصرح وأوضح قول أمير المؤمنين «عليه السلام» للناس: «إن لكم علي أن لا أخفي (أحتجز) عنكم سراً، إلا في حرب..»(1). فإن دلالة هذا القول، وهذه السياسة، على هذه الحقيقة ظاهرة لا تخفى.

وعلى العاقل أن يقارن بين من يكون كذلك، وبين غيره من المتوثبين على مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم يرتكبون العظائم، والجرائم والموبقات في الخفاء، ويتظاهرون بالخير والصلاح في العلن فلهم وجهان ولسانان.

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 3 ص 79.

الأمر الرابع: إنه «عليه السلام» ذكر أنه قد صلى قبل كل ذكر. وبذلك يكون «عليه السلام» قد أبطل سلفاً قول بعض أهل الأهواء، أو ما سيقولونه، من أنه «عليه السلام» كان أول من أسلم من الصبيان، وأبو بكر أول من أسلم من الرجال(1).

كما أنه «عليه السلام» قد قال: إنه أول من صلى.. ولم يقل: إنه أول من أسلم، ليشير إلى أنه لم يكن كافراً قط.. لكي يقال: إنه أسلم.. فضلاً عن القول: إنه أسلم قبل غيره.

الأمر الخامس: إنه «عليه السلام» قد عاد، فأضاف إلى ما تقدم قوله: «لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد».

فدل بذلك على أنه قد صلى أيضاً قبل الناس كلهم، ذكورهم وإناثهم.

فلا صحة لما يُزعم من أن خديجة كانت أول من أسلم. وهذا واضح.

وكل ذلك يفيد تأكيد وترسيخ ثقة الناس بقائدهم، ولا سيما في هذه اللحظات الحساسة التي يواجه فيها الإنسان مصيره، فإما ينال السعادة الأبدية أو يبتلى بالشقاء الأبدي..

10 ـ وأما مقارنته «عليه السلام» بين أصحابه وبين الذين جاء

---

(1) راجع: كتاب الأوئل للطبراني ص 82 عن كتاب الأوائل للسيوطي.

بهم معاوية فتتلخص في أمر واحد، قد أقسم «عليه السلام» على أنه هو المائز بينهما، وهو أن أصحابه «عليه السلام» على حق، أما أصحاب معاوية، فعلى باطل..

11 ـ وبعد أن تمهدت تلك المقدمات، أصبح من الضروري حسم الأمر، والخروج بنتيجة وموقف. وقد لخص «عليه السلام» هذا الموقف بقوله: أن على أصحاب الحق أن يجتمعوا، ويكونوا يداً واحدة في نصرة حقهم والذب عنه.. وأن لا يسمحوا بغلبة الباطل، الذي ينصره أعداؤهم على الحق، الذي يملكه أهل الحق..

وقد لاحظنا أنه «عليه السلام» استفاد في هذا المورد بالذات من أسلوب المقارنة، والتنافس الذي ينتج إذكاء الرغبة بالمبادرة إلى حفظ الحق.. من منطلق امتلاك امتياز لا يصح التفريط به، ولذلك قال «عليه السلام»: فلا يكونن القوم على باطلهم، اجتمعوا عليه، وتفرقون عن حقكم، حتى يغلب باطلهم حقكم.

وقد نسب الحق إليهم، والباطل إلى أولئك، فقال: «حقكم» «باطلهم» ولم يقل: الحق. والباطل. لأجل ترغيب هؤلاءبنصرة الحق، والدفاع عنه، لأنه لهم، ويعنيهم. وينفر أولئك من الباطل الذي هم عليه، ويثبط عزائمهم عن بذل الجهد، لأنهم يبذلونه في أمر مشين، ومهين.

12 ـ وبعد ما تقدم، فقد جاء التوجيه العملي، ولكنه لم يأت من قبل شخص يرى نفسه رئيساً، بل جاء من قبل الله تعالى، وما فعله

أمير المؤمنين «عليه السلام» هو مجرد لفت نظرهم إليه، ودلالتهم عليه، وهو قوله تعالى: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)**(1).

وهو أمر يستبطن:

أولاً: البشارة بنتائج هذا القتال وآثاره، وهو العذاب والألم والأذى للمبطلين..

ثانياً: إنه يدل على أن الله تعالى هو الذي يتولى عذابهم، مما يعني أنهم موضع غضبه. وأنهم مستحقون للعذاب والعقاب..

ثالثاً: ويدل أيضاً على أن الله تعالى راض عن الذين يتولون إيصال هذا الأذى إلى المبطلين، وينزلون بهم عقوبته وعذابه، وعلى أن لهم منه الكرامة والرضا، والقرب، والزلفى.

13 ـ ثم أتبع «عليه السلام» هذا الإبلاغ للأمر الإلهي بتوضيح لهذا الأمر، مفاده:

ألف: إن هذا العذاب الإلهي لهؤلاء القوم حتمي الحصول..

ب: إن معصية الأمر من طائفة من الناس، لا تعني صرف النظر عن هذا العذاب، لأن الله تعالى سوف يكرم بهذا الأمر جماعة آخرين، فيتولون القيام به.. على قاعدة: **(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ**

---

(1) الآية 14 من سورة التوبة.

وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)(1).

لا سيف إلا ذو الفقار:

وقد تضمنت الرواية رقم [7]: أنه «عليه السلام» بعد أن خطب في أصحابه، وقال له أصحابه: والله ما نريد بك بدلاً، نموت معك، ونحيا معك..

قال لهم «عليه السلام»: والذي نفسي بيده لنظر إلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أضرب قدّامه بسيفي، فقال:

لا سـيـف إلا ذو الـفـقـار ولا فـتـى إلا عـلـي

فقد يتساءل عن المناسبة التي لاحظها «عليه السلام» بين ما قالوه، وبين ما أجابهم به..

ونقول:

إنهم حين تعهدوا له بالموت معه، والحياة معه، كانوا بحاجة إلى تعميق هذا الشعور، بتوفير سكينة وجدانية لهم، تعطي لهذا التعهد بعداً واقعياً ينطلق من الإيمان، ويرتكز إلى عقد القلب على معنى يكون العقل قد حسم صحته، وصدقه، وواقعيته..

وقد اعتمدت هذه السكينة، على ثلاثة أمور:

---

(1) الآية 38 من سورة محمد.

أولها: تقديم الدليل المستند إلى الغيب الإلهي، الذي ينتهي إلى علّام الغيوب، الواقف على الضمائر، وخلجات القلوب، ليطمئنهم إلى أن خوض الغمرات لا يستبطن أي هدف دنيوي، ولا متاجرة بأرواح الناس لمأرب شخصي.. بل هو مفعم بالخلوص، والإخلاص، والطاعة لله سبحانه.

والشاهد على ذلك قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»، فإنه يدل على أن السيوف وإن كانت كثيرة حوله، ولكن السيف الخالص لله خلوصاً تاماً هو ذو الفقار فقط..

كما أن الفتى الذي يلتزم بمقتضيات الفتوة، فيفي بعهوده، ويقوم بواجباته، ويؤدي ما عليه، هو علي «عليه السلام» دون سواه، فماذا عليهم لو كانوا معه يموتون معه، ويحيون معه؟!

الثاني: تقديم الدليل على أن ما يتصدى له، ويقوم به، ليس من عند نفسه، وإنما هو امتداد لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه منه بمنزلة هارون من موسى، فهو أخٌ ووزير..

وهو لا يقول هذا على سبيل الإدعاء، بل هو ناقل لقول غيره فيه. وليس هذا أيضاً قول شيعته، ومحبّيه، بل هو قول الرسول «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى..

وهذا يدل على أنه «عليه السلام» يواصل العمل، الذي بدأه الرسول «صلى الله عليه وآله» عملاً بمقتضيات الأخوة والوزارة،

ولا يقترح شيئاً من عند نفسه، ولنفسه..

فهذه الحرب ليست ضد علي «عليه السلام»، وإنما هي ضد النهج النبوي.

وبذلك يعرف الناس مسار الأمور، وتخرج عن كون الحرب دفاعاً، أو خدمة لشخص علي «عليه السلام» أو لفريقه..

الثالث: إن هذه الكلمة النبوية عن أنه منه بمنزلة هارون من موسى، كما أنها قد كرست موقعه «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن هذا الدين، فإنها قد حدّدت مسار الحرب، وما يتوخّاه منها مثيروها عليه «عليه السلام»، ولكنها قد تضمنت أيضاً تحديداً للنتائج والغايات، والإمتدادات، والنهايات للمسيرة كلها..

فإنهم إذا كانوا قد تعهدوا له «عليه السلام» بأن يموتوا معه، ويحيوا معه. فإن عليهم أن يعرفوا: أن ذلك لا يعني أن مسيرتهم تقف، وتنتهي عنده، بل هي سوف تتعداه لتصبح ارتباطاً لهم بنبي الإسلام نفسه، فيكون موتهم وحياتهم معه «صلى الله عليه وآله» من خلال أمير المؤمنين «عليه السلام»..

مما يعني: أنهم قد دخلوا في مسار له شمولية وامتداد، ما كانوا يتوقعونه.. لأنه أصبح مرتبطاً بالنبوة الخاتمة، التي تستوعب الخلق كلهم من البداية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم تتسع وتمتد إلى العوالم الأرقى، والأوسع الضاربة في أعماق الخلود والبقاء. والشامخة في سماء المجد والكرامة والإرتقاء..

وهذا ما يشير إليه الربط بين قولهم: نموت معك ونحيا معك، وقول علي «عليه السلام» على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» له: «وموتك وحياتك يا علي معي».

خلاصات ونتائج:

وقد انتهى «عليه السلام» مع أصحابه إلى خلاصات ونتائج، قرّرها «عليه السلام» كما يلي:

1 - إن أول ما قاله «عليه السلام» هو: «والله، ما كَذبت ولا كُذِّبت». أي أنه يريد التأكيد للناس على أن ما يخبرهم به عما يكون، هو حقائق واقعة لا مناص منها، لأنها مستقاة من مصدر الوحي والإلهام الإلهي، وليست مجرد تحليلات واجتهادات.

كما أنه «عليه السلام» صادق آخذ من صادق، والدليل على ذلك، أنه لم يحدث أبداً أن أخبر بشيء، ثم ظهر كذب ما أخبر به، بل كانت كل أخباره صادقة. وكفى بهذا شاهداً لهم على ذلك.

2 - ثم قال «عليه السلام»: «ولا ضَللت، ولا ضُل بي».. فلا يتوهَّمن أحد أن صدقه «عليه السلام» فيما يقوله، وينقله، لا يعني أن ما يقوله، ويفعله حق، فلعله سلك طريق الضلال، وهو لا يشعر..

فأشار «عليه السلام» إلى أن هذا التوهم غير صحيح، لأن الذي يضل دون أن يشعر هو الشخص الغافل الذي لا يمحِّص الأمور من جميع جوانبها، ويأخذ الأمور من غير أهلها. وهو «عليه السلام»

ليس كذلك، لأنه لا يعمل بالهوى، ولا يدخل في أمر إلا بعد تمحيصه وعرضه على المعايير والضوابط التي أمر الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» باعتمادها. كما أنه لا يأخذ إلا من مصدر الوحي، ولا يستنير إلا بمشكاة النبوة، فمن أين يأتيه الضلال بعد هذا؟! وكيف يمكن لمن هو على الهدى أن يكون سبباً في ضلال غيره؟!

3 - ثم قال «عليه السلام»: «وما نسيت ما عُهد إلي»، ليؤكد أنه ماضٍ في تنفيذ ما أمره به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولن يتراجع عن ذلك. فمن يعينه ويكون معه، فإنما يعينه على الوفاء بعهد الله، وتنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا على أمر يعود نفعه إليه. أو لا برهان له، ولا دليل له عليه..

4 - ثم قال «عليه السلام»: «وإني لعلى بينة من ربِّي» فقيمه، ومفاهيمه، واعتقاداته، ونهجه، مأخوذٌ من مصادر صحيحة، وقويمة، هي عين الحق والصدق، لأنها من مشكاة النبوة وهدى الرسالة، وحكم العقل الصريح، فهو:

ألف: لا يشك في صوابية ما هو عليه, بل هو على يقين منه ما بعده يقين..

ب: إن يقينه «عليه السلام» لم يأت من رأي واجتهاد، بل بدلالة ربانية، وهي دلالة ظاهرة وبيِّنة.. «على بيِّنة من ربي».

ولا يستطيع غيره «عليه السلام» أن يدَّعي لنفسه شيئاً من ذلك، فإن معاوية كان حرباً على الله ورسوله ولا يزال.

5 - ثم قال أخيراً: «وإني على الطريق الواضح، ألفظه لفظاً». وهذا ناظر إلى المسار العملي، والتطبيقي والنهج والسلوك. فإنه «عليه السلام» لا يدخل في أمر مشكوك، أو مبهم، بل هو على الطريق الواضح. حتى كأنه في وضوحه، والتمكن من كل تفاصيله ودقائقه منه، هو الذي يصنعه ويتحكم فيه، ويلفظه لفظاً.

علي × ينصح كريب بن الصباح:

وفي حديث كريب بن الصباح المتقدم في الرواية رقم [8]: رأينا أن علياً «عليه السلام» لا يبادر إلى قتل كريب جزاء على أفعاله، وانتقاماً لمن قتلهم، وقام على أجسادهم، بغياً واعتداءً، بل بادر «عليه السلام» إلى نصيحة كريب، وإعطائه فرصة للتوبة، والعودة إلى الله تعالى، والنجاة من العقوبة التي يفترض أن يواجهها. وكأنه «عليه السلام» رأى أن البعض قد يظن أن كريباً ليس في حد نفسه معانداً، بل هو مضلل، ولو أن الحق عرض عليه لما رفضه، فأراد «عليه السلام» أن يزيل هذه الشبهة بهذا العرض الأكيد على كريب.

ونلاحظ هنا:

أولاً: أنه «عليه السلام» بدأ بالإنذار متدرجاً فيه على النحو التالي:

ألف: إنه «عليه السلام» بدأ بالتحذير، ولفت نظر كريب إلى أن عمله سيؤدي إلى نتائج غير سارّة له.

ب: إن هذه الأسواء لن تلحق أناساً آخرين ثم ينزعج كريب لهم.. بل هي ستلحق الضرر بشخص كريب بالتحديد.

ج: إن هذا الضرر سيأتي من الله سبحانه، مما يعني أنه سيكون مؤثراً وأليماً، وأنه لا مهرب منه. وهذا ما أشار إليه بقوله: «أحذرك الله في نفسك».

ثانياً: انتقل «عليه السلام» إلى التبشير.. وذلك على النحو التالي:

ألف: إنه «عليه السلام» لم يقل له: أدعوك للالتحاق بي، أو إلى ترك معاوية، واعتزال الحرب..

ب: دعاه «عليه السلام» إلى تحكيم من لا يمكن التشكيك في صحة حكمه، ولا في عدله، ولا يمكن اتهامه بالتحيز لأية جهة، أو فريق.

ج: أن يكون الذي يعرض المشكلة أمام ذلك الحكم العادل.. هو كريب نفسه وحده دون سواه، وبلا حاجة إلى حضور أحد غيره.

د: أن يأخذ كريب نفسه الأجوبة من ذلك الحكم، ويتخذ هو القرار بعد ذلك..

هـ: إن هذا الحكم يعطي لمن يقبل بحكمه جوائز، وعطايا لا تخطر على قلب بشر، ولا يقاس بها ما يتوخاه كريب من معاوية وغيره لو خرج كريب من هذه الحرب على قيد الحياة..

و: إن هذا الحكم عطوف على كريب، رؤوف به، ولا يريد له إلا

الخير.

ز: إن هذا الحكم هو الله تعالى من خلال شرائعه التي أودعها كتابه: «القرآن»، وبينها نبيه محمد «صلى الله عليه وآله» فيما سنه للناس.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد عرض على كريب هذا الأمر دون أن يعرّف كريباً بنفسه، ولولا أن كريباً سأله من هو، فلعله لم ير حاجة لكشف هويته؟!

رابعاً: إنه «عليه السلام» حين أخبر كريباً عن نفسه بادر إلى إظهار العطف عليه، والحرص على سلامته، معترفاً له بأنه يقدِّر له ميزته في الفروسية، ووصفه بأنه فارس بطل..

وهذا يعطي درساً من نوع آخر، مفاده: أن التوبة وتصحيح المسار، لا تعني أن يبقى التائب منبوذاً، محروماً من الإعتراف بميزاته، أو من تاريخه إذا كان فيه شيء صالح، أو مشرق، يبقى موضع شك وريب، وأن ينظر إليه بعين النقص والإستهانة، وأن لا يفسح له المجال للدخول في أي تنافس مع الآخرين، أو أن يبقى محاصراً، ومهزوماً، وذليلاً..

إن ما قاله علي «عليه السلام» لكريب يدين كل هذا السلوك تجاه العائدين إلى طريق الحق، ويعطي العائد التائب الحق في أن يترقّى، ويتقدّم، وينمو، ويكبر، بحسب ما يقدمه من طاقة وجهد.

خامساً: إنه «عليه السلام»: بادر إلى إعلام كريب بأنه إن قبل

بتحكيم الشريعة والدين، ورضي بحكم الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، فإنه ليس فقط لن يتعرض لأي أذى، بل هو سوف يكون له نفس الحقوق التي لهم.. وسيتمتع بحمايتهم، والمساواة معهم، له ما لهم، وعليه ما عليهم.

سادساً: إن علياً «عليه السلام» أراد أن يسمع أهل العسكر ما عرضه على كريب، بالرغم من كل ما ظهر منه من بغي وعدوان، وقد قتل عدداً من المسلمين.. لكي يعرفوا أن علياً «عليه السلام» ليس راغباً في قتل أحد، بل هو رحيم حتى بعدوه، وحتى بأمثال كريب. وأن الحرب حتى وهي في أعلى درجات الغليان فيها، لا تمنع من الإستفادة من هذا الإعلان، بل إن هذا هو ما يتمناه «عليه السلام» للناس كلهم، حتى لأعدى أعدائه. وهو يفرحه بل يسعده..

فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم:

لاحظ ما يلي:

1 ـ لقد تكرر استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» في حروبه، وفي حرب صفين بالذات بقوله تعالى: (**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**)[1]. ومن موارد الإستشهاد بها هذا المورد..

---

(1) الآية 194 من سورة البقرة.

2 - هناك فرق كبير بين وضع علي «عليه السلام» أجساد قتلى أهل الشام بعضها فوق بعض، وبين ما فعلته قريش في أجساد القتلى، فإن ما فعله علي «عليه السلام» ليس فيه مخالفة شرعية ولا أخلاقية، لأنها أجساد أناس ماتوا وليس في عنقهم بيعة لإمام زمانهم. بل لقد حاربوا هذا الإمام وسعوا في قتله، فلا حرمة لهم، ولا لأجسادهم.. ووضع الأجساد هنا بعضها فوق بعض من قبله «عليه السلام» إنما هو بغرض التهويل على الفريق الآخر لردعه عن التعرض لأجساد الشهداء، وليعرف أهل الشام. أن عليهم أن ينظروا في الأمر ملياً، وأن الفرصة التي أعطاها لكريب ممنوحة لهم، ولكنهم إذا فرّطوا بها، فسيكون مصيرهم مصير كريب، وأمثاله..

أما ما فعله كريب، فهو بغي وعدوان واستكبار وإصرار على محاربة الحق وأهله، والسعي في طمسه، وتقويض دعائم الدين، والعبث بشريعة سيد المرسلين.

فعمل كريب جريمة مركبة على جريمة..

3 - علينا أن نلتفت إلى أنه «عليه السلام» يريد بقراءته هذه الآية أن يلفت نظر الناس إلى عدّة أمور، نذكر منها ما يلي:

ألف: إنه إنما يقاتلهم رداً لعدوانهم، ودفاعاً عن النفس.

ب: إنه إنما يقتل الكثيرين منهم قصاصاً لهم على ما فعلوه بالمؤمنين..

ج: إن العدوان من البادئ به قد تضمن:

أولاً: هتكاً وتعدياً على حرمة صاحب الحرمة..

وتضمن ثانياً: جرأة على الله تعالى بفعل ما حرّمه، ولا يرضاه..

أما العدوان من الراد على العدوان، فهو عدوان على حرمة شخص كانت محرمة في الأساس.. ثم جاز استباحتها وهتكها مقابلة بالمثل، ورداً على العدوان. وردّ العدوان لا يتضمن جرأة على الله، بل يكون سائغاً أحياناً، وأحياناً واجباً.

4 - ثم هو يريد لفت النظر إلى أن المطلوب في رد العدوان هو تقوى الله، بالوقوف عند الحدود، التي يسمح له الشرع والدين بالإنتهاء إليها، وعدم تجاوزها..

علي × يطلب مبارزة معاوية مرة أخرى:

وقد تقدم في الرواية رقم [8]: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد قتل كريب قال لمعاوية: هلم إليّ، فبارزني، ولا يقتلن الناس فيما بيننا.

وهذه هي المرة الثانية التي يطلب فيها «عليه السلام» من معاوية هذا الطلب. وقد تقدم الحديث عن المرة الأولى..

وكما كان عمرو بن العاص قد حرّض معاوية على مبارزة علي «عليه السلام» في المرة الأولى، فإنه قد حرّضه عليها في هذه المرة. فكان جواب معاوية هو الجواب من حيث المضمون والمؤدى.

غير أن ما لفت نظرنا في هذه الحادثة هو جواب معاوية لعلي

«عليه السلام» الذي نقله ابن أعثم، حيث قال: «قد قتلت أربعة من سباع العرب، فحسبك»، فالإحالة على العرب إنما هو للإيحاء بأن علياً «عليه السلام» عدو للعرب، والساعي في إبادتهم.. وقد جاءت الأبيات التي رووها عن المخارق بن الصباح الحميري حول خشيته من أن تهلك أعلام العرب. وإرسال معاوية إليه ألف درهم، لتؤكد هذا المعنى الذي أراده معاوية.

فإن هذا السخاء من معاوية إنما هو لأن ما كان يريده بجوابه لعلي «عليه السلام»، ومن إشاعة شعر ابن الصباح، هو تحريض العرب على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وإثارة البلبة والريب حتى في جيش علي «عليه السلام» نفسه..

وقد ذكرنا أن أكثر العرب كانوا لا يحبون أمير المؤمنين «عليه السلام»، لأنه كان ينكر عليهم أخذهم بسياسة التمييز العنصري، التي أسسها لهم الخليفة عمر بن الخطاب، حسبما أوضحناه في مواضع سابقة من هذا الكتاب..

فكان معاوية يسعى لترسيخ هذه النظرة لدى العرب، بهدف إبعادهم أكثر فأكثر عنه «عليه السلام»..

لا تنظر إلى دموع عينيه:

وفي الرواية المتقدمة برقم [10]: خطبة عمرو بن العاص التي تظاهر فيها بأنه متأسف على هذه الأمة التي يحارب بعضها بعضاً،

مع أن الدين واحد، والقبلة واحدة. وما ذلك ـ كما قال ـ إلا لأجل تشتت الأهواء..

ثم دعا الله أن يصلح أمر الأمة، ويحفظ بنيها «مع أن القوم ـ يعني علياً «عليه السلام» وأصحابه ـ قد وطأوا بلادكم، وبغوا عليكم. فجدّوا في قتال عدوكم، واستعينوا بالله ربكم، وحافظوا على حرماتكم..».

وكلام عمرو هذا قد تضمن دس السم بالدسم، فلا حظ ما يلي:

1 - إن أسلوب عمرو بن العاص في تحريض أصحابه على القتال يذكِّرنا بقصة الصياد الذي كانت عيناه تدمعان، لأنه مصاب بالرمد، فصاد عصفوراً وصار يذبحه. وكان عصفوران على الشجرة، فقال أحدهما لرفيقه: أنظر إلى هذا الصياد ما أرحمه، وأرق قلبه.

فقال له الآخر: لا تنظر إلى دموع عينيه، بل انظر إلى فعل يديه.

ويذكرنا أيضاً بالمثل الذي يقول: يقتل القتيل، ثم يمشي في جنازته..

نقول هذا:

لأن عمرو بن العاص بالذات كان أول من باع دينه لمعاوية، واتفق معه على الإستيلاء على الملك، واقتسامه، فتكون مصر لعمرو بن العاص طعمة، ويكون ما عداها لمعاوية، فهما اللذين اتفقا واتسقا، وتآمرا على الأمة، وشنّا هذه الحرب على أصحاب الحق..

2 - إن ما كان يجري في صفين لم يكن بسبب اختلاف الأهواء

في الأمة كلها.. بل بسبب طموح أناس معينين إلى السلطة، وبسبب التآمر الذي حصل بين معاوية وابن العاص على بيع الدين والإستيلاء على مقاليد الحكم حسبما ذكرناه..

3 ـ إن ابن العاص من أعظم المفسدين في الأمة، فما معنى أن يدعو الله لإصلاحها.. فقد كان يكفيه أن يتراجع هو وشريكه معاوية عن موقفهما. وينصاع للحق. وينتهي الأمر..

4 ـ هل كان علي «عليه السلام» وأصحابه هم الذين أعلنوا الحرب على أهل الشام، أم كان العكس؟!

5 ـ هل لا يحق لإمام الأمة كلها أن يُرجع الخارجين عليه عن غيِّهم، بل بجب أن يفسح المجال للمفسدين ليعيثوا فساداً، ويقتلوا الناس، ويقتلوا الإمام، ويقلبوا النظام؟!

6 ـ هل كانت بلاد الشام مملكة مستقلة عن العراق، وسائر بلاد الإسلام فلا يجوز لأحد دخولها؟! ومن دخلها، فهو عدو تجب محاربته؟! أم أنها كانت جزءاً من مملكة الإسلام التي لها حاكم واحد، وهو علي «عليه السلام»، والآخر باغ عليه ظالم له، معتدٍ على الشرع والدين، وهو معاوية؟!

7 ـ لقد هتك معاوية حرمة الإسلام وحرمة الدين. ولم نجد علياً «عليه السلام» إلا حافظاً للحرمات ملتزماً بأحكام الشريعة. ولم يأت علي «عليه السلام» لهتك حرمة أحد. فما معنى طلب ابن العاص من أهل الشام أن يحافظوا على حرماتهم؟!

خطبة ابن عباس:

وأما خطبة ابن عباس المتقدمة في الرواية رقم [10]: فتكاد تكون نسخة طبق الأصل عن خطبة أمير المؤمنين «عليه السلام» التي تحدثنا عنها، فلعله كان يكرّر كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» في محيط آخر، لمن لم يكن قد سمع كلام الأمير مباشرة.

عبد الله بن عمرو بن العاص مع أبيه:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم [11]: أن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال لأبيه: لولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر بطواعيتك ما سرت هذا المسير.. ثم ذكر قوله «صلى الله عليه وآله» لعمار: «تقتلك الفئة الباغية».

ونقول:

تقدم معنا ما هو قريب من هذه الرواية، وذكرنا هناك بعض ما يتعلق بها.. ولكننا نحب لفت النظر هنا إلى أن في هذا النص تعبيراً موهماً لما لا يمكن السكوت عنه، وهو قوله: «لولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر بطواعيتك إلخ..»، فإنه يوهم أن الأمر بإطاعة عمرو بن العاص لا يختص بولده عبد الله، بل هو عام لجميع الناس..

ولا نشك في أن هذا من الكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. أو تحريف له عن قوله: «أمرني بطواعيتك».. وربما كان

تحريفاً متعمّداً من عبد الله بهدف حمل الناس على طاعة أبيه، وتنفيذ أوامره.. ولا سيما في ذلك الظرف العصيب بالنسبة إليهم.

وربما كان التحريف من غيره لحاجة في النفس.

وربما كان النسّاخ قد أسقطوا حرفين من كلمة «أمرني»، فصارت «أمر».

ونود لفت نظر القارئ الكريم إلى أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لعبد الله بن عمرو بطواعية أبيه، ربما كان قد جاء على سبيل التأديب لعبد الله، لا لاستحقاق أبيه الطاعة في نفسه..

فإن الشرع الشريف قد ألزم الولد بعدم الجرأة على أبيه، ولو كان فاسقاً، أو كافراً، فلعل عبد الله قد تجرأ على أبيه وتمرّد عليه، وكلّمه بفظاظة، فقال له «صلى الله عليه وآله» هذه الكلمة، ليعلمه بأن هذا النحو من التعامل مع الوالد ممنوع في الشرع حتى لو كان الوالد فاسقاً، أوفاجراً..

وعلى كل حال، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي يقول أيضاً: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، فإذا أمره أبوه بقتل عمار بن ياسر، أو بقتل علي، أو الحسن، أو الحسين «عليهم السلام»، أو بالخروج على إمام زمانه، أو بأية معصية موبقة أخرى، هل تجب عليه طاعته؟!

والحديث عن قوله «صلى الله عليه وآله» لعمار: «تقتلك الفئة الباغية..» سيأتي إن شاء الله حين ذكر استشهاد عمار..

الفـــهــــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الخامس: هكذا يحارب علي ×.................................. 7

الفصل السادس: الحرب عبادة.. 51

الباب الرابع: إلى ما بعد شهر رمضان..

الفصل الأول: أطع أباك.. 77

الفصل الثاني: مبارزات.. وقتال.. وهدنة............................ 101

الفصل الثالث: هدنة بعدها قتال.. 135

الفصل الرابع: دلالات غيبية في ساحة المعركة.. 157

الباب الخامس: القتال في شهر صفر..

الفصل الأول: من قتال صفين: نصوص وآثار...................... 177

الفصل الثاني: أحداث نتوقف عندها.................................. 221

الفصل الثالث: أحداث أخرى.. نصوص وآثار..................... 269

الفصل الرابع: من سياسات الحرب في صفين.. 297

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل الخامس: هكذا يحارب علي ×.

أوامر وتوجيهات قتالية: 9

نص آخر للخطبة: 14

إيضاحات: 17

لا بد من مراجعة ما سبق: 21

متى قال × هذا؟!: 21

الخشية.. والسكينة: 22

أنواع الأسلحة، ومختلف الفنون: 24

القائد في الميدان: 25

معالجة تأثيرات الكتيبة الشهباء: 26

استشعروا الخشية: 28

والحظوا الشزر، والخزر: 29
قلقلة السيوف وإعمال الأسنة: 30
كيف نتعامل مع النصوص؟!: 30
واطعنوا الهبر، أو الوجر أو إلخ..: 31
نافحوا بالظبا: 33
الكرّ بعد الفرّ: 35
المشي إلى الموت مشياً سُجُحاً: 37
اضربوا ثبجه: 37
لماذا يُستهدفُ قلب الجيش؟!: 39
ها أنا شاد، فشدوا: 39
القائد في شعر علي ×: 40
رجل جراد زفت به الريح: 42
التسوية بين الركب: 46
واضربوا القوانص أم القوابض: 47
مدوا جباه الخيول، ووجوه الرجال: 48
المبارزة، والمنازلة و..: 49

الفصل السادس: الحرب عبادة..

من أدعية علي × في الحرب: 53

الدعاء عند الزحف وفي ليلة الهرير: 56

إيضاحات لما سبق: 59

إليك نقلت الأقدام:.. 60

ما معنى هذا النداء؟!:.. 62

النبي ′ غائب لا مفقود:.. 65

بين قلة العدد وكثرته:... 66

أي نصر يطلبه علي ×؟! : 67

الجو المكفوف:... 67

ومختلف للنجوم السيارة:.. 68

مغيض الليل والنهار: 68

المطلوب بعد النصر: 69

الباب الرابع: إلى ما بعد شهر رمضان..

الفصل الأول: أطع أباك..

ابن العاص يهدد ولده!!: 79

هذه الأبيات لمن؟!:... 80

أطع أباك:.. 80

مما جرى في صفين: 85

راية عمرو بن العاص:... 88
يبايع على الموت ويربط نفسه: 90
عداوة معاوية للمسلمين:... 91
راية عمرو بن العاص:... 92
ما أسلموا، ولكن استسلموا:... 93
علي × لا يرضى لولده بمبارزة ابن عمر: 93
لا تذكر أباه، ولا تقل فيه إلا خيراً: 96
الوليد الفاسق يسب، ولا يبارز: 99
وكل إناء بالذي فيه ينضح:... 99

الفصل الثاني: مبارزات.. وقتال.. وهدنة..

مبارزات.. وقتلى:... 103
هجمات غير حاسمة: 105
نار صادفت إعصاراً: 106
الهدنة في محرم: 106
رسل علي × إلى معاوية:.. 107
رسل معاوية إلى علي ×:.. 110
القتال في الشهر الحرام:... 114
الجدل ليس اسم رجل: 114

رسل علي ×: 115
معاوية يعين على نفسه: 117
معاوية يرى المحاسن مساوئ:... 118
معاوية يريد قتل عمار:... 119
ما أنت لا أم لك والولاية والعزل؟!:..................................... 121
جواب علي × لشرحبيل:.. 123
استخلف الناس، أبا بكر وعمر: 124
الشيخان والعدل وحسن السيرة:.. 126
علي × ينصف عثمان أيضاً:.. 128
أتشهد: أن عثمان قتل مظلوماً؟!: 129
معاوية طليق وابن طليق: 131
معارك قبل شهر محرم:.. 132
لاختيار القادة مغزاه:.. 133

الفصل الثالث: هدنة بعدها قتال..

إعلان الحرب في صفر: 137
النداء بعد انقضاء شهر محرم: 139
أهل الشام لم يحترموا الهدنة:... 140
التعبئة الشاملة للقتال: 141

الكتائب والأمراء في جيش علي ×:.................................. 142
قادة جيش معاوية:... 144
القادة عند ابن أعثم: 146
صفات القادة:.. 148
علي وأهل البيت^: 148
من وصايا علي × لجيشه:... 149
لا تبدأوهم بقتال:.. 151
تركهم إياهم حجة أخرى: 152
لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح:.............................. 154

الفصل الرابع: دلالات غيبية في ساحة المعركة..

معالجة ريب المرتابين: 159
الصلاة واحدة: 163
إرجاع الأمر إلى عمار:... 164
عمار لم يكن إماماً:... 168
عمار يخبر بالغيب: 170
علي × وشمعون الصفا: 170
سند النص:.. 172
كرامة وهداية: 172

الأذان لصلاة العصر: 173

كيف ظهر شمعون الصفا؟!: 174

الباب الخامس: القتال في شهر صفر..

الفصل الأول: من قتال صفين: نصوص وآثار..

حجر الخير وحجر الشر: 179

حجر الخير في الميدان: 180

من هو الحكم بن أزهر؟!:.. 182

فرح علي × بقتل القاتل: 184

إبن العاص يحرض أصحابه: 184

إيضاحات: 185

علي × يثأر لمولاه:... 186

علي × لا يبالي بالموت: 188

الأشتر يستثيب الناس: 190

خطاب علي × مع المنهزمين: 196

خثعم العراق.. وخثعم الشام:... 197

قادة قتلوا على راياتهم: 199

إخراج القبائل في القتال: 203

هل هو إلا الموت؟!: 204
طمع أصحاب علي × بالشهادة:.. 206
أفراراً واعتذاراً؟!: 207
معاوية يمنع من دفن الشهداء:.. 210
الشمر بن ذي الجوشن «لعنه الله» في صفين:............................ 210
لا يترك أخاه حتى يأذن له علي ×: 212
مبارزات أخرى في صفين: 213
أبو أيوب؟! أو ابن بديل؟!:... 215

الفصل الثاني: أحداث نتوقف عندها..

بداية: 223
إيضاحات:.. 223
علي × يكره تسابق أبنائه لحمايته: 229
ألم يخطئ الحسنان '؟ !: 230
الحسن × لم يشارك في قتل أحمر: 231
ليس منهم قاسط:.. 232
مولى التقي الصادق الإيمان: 233
قتلني الله إن لم أقتلك: 234
القائد في ثباته وسرعة حركته:... 235

الموت بنظر علي ×: 238
أسئلة الإمام الحسن لأبيه ÷:.. 242
معالجة انتكاسة الجيش: 242
بصيرة الأشتر، كشفت عن بصائرهم:...................................... 244
عضضتم بهَن أبيكم: 244
شدّوا شدّة الموتور:.. 246
خطاب الأشتر لمذحج:... 248
علي × والمنهزمون: 249
لا مجال للمساومة:.. 256
الشامي يقتل العراقي ويبكي!!: 257
كل قبيلة تقابل أختها:.. 258
طلب الشهادة سمة المحقين: 260
دفن عثمان.. ودفن شهداء صفين: 261
الشمر «لعنه الله» في صفين:.. 262
ترك أخاه، فعاد إلى صف معاوية: 263
لم يؤذن للسيوف في هذا:... 264
رأس الشامي قطع ولم يقع: 266

الفصل الثالث: أحداث أخرى.. نصوص وآثار..

بداية: 271
من القتال المرير:... 271
أبو عرفاء، وراية حضين:...................................... 272
حرب اليوم العاشر: 274
معاوية يرشو خالد بن المعمر: 274
مضر تغضب من حضين:... 279
مضر تنافس ربيعة:.. 280
عقبة بن مسعود، وسليمان بن صرد: 284
علي × يخطب في صفين:....................................... 284
كريب.. وعلي ×: 287
ابن العاص يحرض أصحابه: 290
ابن عباس يحرض أصحابه: 291
عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبوه: 293
أويس القرني أصيب في صفين: 293
إيضاحات سريعة:.. 294

الفصل الرابع: من سياسات الحرب في صفين..

أبو عرفاء يريد أن يستقتل: 299
أبخؤولتك تخوفني؟!: 300

معاوية يعد ابن المعمر بولاية خراسان: 302
لجوء علي × إلى رايات ربيعة!!: 303
هل طلب علي × استشهادياً؟!: 305
خطة علي ×: 308
ما فعل أمير المؤمنين ×؟!: 310
النجاح الباهر: 310
هل أيد على × التنافس العشائري؟!: 311
عهد، وثلاث مقارنات، ونتيجة: 312
لا سيف إلا ذو الفقار: 322
خلاصات ونتائج: 325
علي × ينصح كريب بن الصباح: 327
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم: 330
علي × يطلب مبارزة معاوية مرة أخرى: 332
لا تنظر إلى دموع عينيه: 333
خطبة ابن عباس: 335
عبد الله بن عمرو بن العاص مع أبيه: 335
الفهارس: 339
1 ـ الفهرس الإجمالي 341

2 ـ الفهرس التفصيلي 343